الجُمهورِيَّة الجزَائريَّة الدِّيمُقرَاطيَّة الشَّعْبِيَّة
رئاسة الجمهوريّة
المجلس الأعلى للغة العربية
وزارة الشؤون الدينيّة والأوقاف

الذّكاء الاصطناعيّ

الملتقى الوطنيّ حول:

القرآن الكريم واللغة العربيّة

الجزء الثّاني

منشورات المجلس
2020

الملتقى الوطنيّ حول: القرآن الكريم واللّغة العربيّة 52









المجلس الأعلى للغة العربية
52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575 ، ديدوش مراد، الجزائر
الهـاتف : 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ : 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني : www.hcla.dz

الجُمْهُورِيَّة الجَزَائرِيَّة الدِّيمُقْرَاطِيَّة الشَّعْبِيَّة
رئاسة الجمهوريّة
المجلس الأعلى للغة العربية





وزارة الشؤون الدينيّة
والأوقاف

الملتقى الوطنيّ حول:

القرآن الكريم واللغة العربيّة

الجزء الثاني

كـتاب: القرآن الكريم واللّغة العربيّة

الجزء الثاني

- **إعداد : المجلس الأعلى للّغة العربيّة**
- **قياس الصفحة:** 23/15.5
- **عدد الصفحات:** 248

الإيداع القانوني: السّداسيّ الأوّل 2020
ردمك:

المجلس الأعلى للّغة العربيّة
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 575، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: 16/17 07 23 21 213+
النّاسوخ: 07 07 23 21 213+
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz




الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة





وزارة الشّؤون الدّينيّة — **المجَلِس الأَعْلَى للّغة الــعربيّة**

برنامج الملتقى الوطنيّ



القرآن واللغة العربيّة

المكتبة الوطنيّة 2019

فهرس الجزء الأوّل

تعدد التوجيه النحوي وأثره في فهم الخطاب القصصي القرآني
- قصة يوسف عليه السلام أنموذجا.

أ. دنيا باقل
د.ه. أحمد شهات
جامعة ابن خلدون، تيارت.

الملخص:

أنزل الله عز وجل القرآن على سيدنا -محمد ﷺ- وحفظه من كل تحريف، وشرف اللغة العربية بأن جعله منطوقا بها، ولا يخفى أن اللغة العربية تمتلك من الأدوات النحوية التي يعرف من خلالها معنى الخطاب القرآني، ولكن المتتبع لكتب التفسير سيجد اختلافا بين المفسرين في إعرابهم لآي القرآن مما يؤدي إلى اختلاف المعنى، وإذ ذاك وجد ما يصطلح عليه **بتعدد التوجيه النحوي** ويعرف **التوجيه النحوي** على أنه ذكر الحالات والمواضع الإعرابية، وبيان أوجه كل منها، وما يؤثر فيها، وما يلزم ذلك من تقرير وتفسير، أو تعليل، أو استدلال، أو احتجاج، أما المقصود من **التعدد في التوجيه النحوي** فذلك أن تتعدد العلامة الإعرابية، أو الوظيفة النحوية لكلمة ما، أو أن يتعدد احتمال شغل الجملة لأكثر من موقع إعرابي، وفقا لما يؤدي إلى ذلك من أسباب ويترتب على اختلاف الأوجه وتعددها تغير على مستوى الدلالة، فيتغير المعنى تبعا لتغير التركيب بمعطياته النحوية والصرفية، وما أكثر هذه الظاهرة في كتب التفسير.

إن ما يهمنا في هذا المقام هو **تعدد التوجيه النحوي في الخطاب القصصي القرآني**، ولعل القرآن حافل بقصص الأنبياء وسير الأمم السابقة، ولكن ما يتفق عليه أن قصة يوسف عليه السلام تعد أحسن القصص بما فيها من تكامل في

عناصر القصة وما تحمله من عبر وعضات، وهذا ما جعلنا نسلط عليها الضـــوء في ورقتنا البحثية هاته.

سنحاول أن نجيب على بعض المثيرات الاستفهامية: ما الأسباب التي أدت إلـــى ظهور التعدد في التوجيه النحوي عند علماء اللغة والمفسرين؟ ما الفائدة التي يمكن الحصول عليها من خلال هذا التعدد في التوجيه النحوي وخاصة في فهم الخطـــاب القرآني؟ ما أهم الآيات التي تعددت أوجهها الإعرابية في **قصة يوسف** عليه السلام وما المعاني والدلالات التي خرجت إليها؟

القرآن الكريم هو الأصل الأول من أصول النحو، والدليل المتواتر الـــذي يفيـــد العلم اليقيني من أدلته، وهو كتاب العربية الأكبر وحارسها الخالد، ويمثّـــل النحـــو خطوة كبيرة في العناية بالقرآن الكريم والمحافظة على ســـلامته، فظهـــر اتجـــاه النحويين مبكراً إلى اختصاص القرآن الكريم بكتب تتحدث عن لغتـــه، وإعرابـــه، وتحليل معانيه، وتوضح مشكله، فكتب معاني القرآن وإعرابه هي المرحلة الأولـــى من مراحل التفسير غير الأثري، وقد عرفت هذه الكتب باســـم: "**معـــاني القـــرآن**" مثل: **معاني القرآن للكسائي، ومعاني القرآن للفراء، ومعـــاني القـــرآن لقطـــرب، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن للمبرد، ومعاني القرآن لثعلب**، و **معـــاني القرآن وإعرابه للزجاج**، وغيرها من الكتب.[1]

واتفق العلماء على اشتراط العلم بالنحو في المفسر، فالنحو هـــو البـــديل الأول للسليقة العربية، وسلّم الوصول إلى سائر العلوم الأخرى، قـــال مالـــك بـــن أنـــس – رحمه الله "لا أوتى برجلٍ غيرِ عالمٍ بلغات العرب يفسر كتـــاب الله إلا جعلتـــه نكالاً"، ويقول **السيوطي** نقلاً عن مكي: "وتمام هذه الشرائط –أي شرائط التفسير – أن يكون ممتلئاً من عدة الإعراب، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكـــلام"، ويقـــول

الزركشي: " وأما الإعراب فما كان اختلافه محيلاً للمعنى وجـب علـى المفسـر والقارئ تعلمه ؛ ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم، وليسلم القارئ من اللحن".

إن العلاقة بين التفسير وتوجيه آيات القرآن توجيهاً نحويـاً لا يمكـن فصـلها، فتوجيه هذه الآيات يعد جزءاً من تفسيرها، فلا بد للمعرب أن يسـتعين بالمفسـر؛ للوصول إلى إعراب صحيح، كما لا بد للمفسر أن يستعين بإعراب النحوي ليصـل إلى معنى صحيح، فالعلاقة بينهما تبادلية.[2]

ومنه فورقتنا البحثية تدور حول مصطلحين أساسيين هما: **التفسير والنحو** وما نجم عن تعدد التوجيه النحوي في تفسير القرآن، وقبل أن نتحدث عن تعدد التوجيه النحوي وأثره في تفسير القرآن كان لزاما علينا إماطة اللثام عـن بعـض النقـاط الهامة لتوضيح أسباب تعدد الأوجه الإعرابية وتأثيرها في معنى الخطاب القرآني.

1/علم التفسير.

1-أ/المفهوم اللغوي لكلمة: التفسير:

يطلق لفظ (التفسير) في اللغة العربية ويراد منه: الإيضاح والتبـين، وقـد ورد اللفظ بهذا المعنى في القـرآن الكريم في قوله تعالى: ولا يأتونك بمثل إلا جئنـاك بالحق وأحسن تفسيرا».

1-ب/ المفهوم الاصطلاحي لكلمة التفسير: تطلق كلمة التفسير في اصـطلاح علماء التفسير والمعنيين به على العلم الذي يفهم به كتاب الله المنـزل علـى نبيـه محمد ﷺوبيان معانيه. واستخراج أحكامه وحكمه ...

وقد ورد تعريف جامع شامل للتفسير في كتاب "التسهيل لعلوم التنزيـل لابـن جزي حيث يقول فيه: «معنى التَّفسيرِ: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بمـا يقتضيه بنصِّه أو إشارَتِه أو نجواه»[3]

وهناك تعاريف أخرى للتفسير نقلها صاحب الإتقان هو وغيره عن بعض علماء التفسير. وكلها تدور على أن التفسير: علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقـة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى وبيان المراد.[4]

2-مراحل نشأة علم التفسير:

2-أ/ **تفسير مأثور عن الرسول عليه الصلاة والسلام:** حيث إن النبي صلّى الله عليه وسلّم هو المفسّر الأول للقرآن الكريم، فتفسيره شامل وكامل لما جاء بـالقرآن من عبادات ومعتقدات ومعاملات، أو أي شيء يتعلّق بالمجتمع؛ الأسرة ثم الجماعة ثم الأمة، وعلاقة الحاكم بالمحكوم وعلاقة المسلمين ببعضهم الـبعض وعلاقـتهم بغيرهم، سواء بالحرب أو السلم، حيث جاءت العديد من الأحاديث النبويـة التـي تُفسّر وتوضّح آيات قرآنية لزيادة البيان والتوضيح، ولذلك، فإنّ خير مُفسّر للقرآن الكريم هو السنة النبوية.

2-ب/ تفسير مأثور عن الصحابة والتابعين: حيث إنّ هذا التفسير يعتمد علـى ما كان الصحابة يسمعونه من النبي عليه الصلاة والسلام (المفسّر الأول للقـرآن)، وكانوا أوّل من تعلّموا أسباب نزول كل آية بالقرآن وما هي مناسبتها، وحفظوا هذه التفسيرات ودوّنوها، وكانوا يهتمون بتفسير كل أمر من أمور الـدين مـن حيـث العبادات، والعقائد، وأركان الإسلام وأحكامه وأصوله، كون ذلك هو جوهر الـدّين من وجهة نظرهم.

2-ج/ تفسير ما بعد عصر التابعين إلى يومنا هذا[5].

3/-**القراءات القرآنية والطعن فيها:** من المعلوم أن تدوين القرآن الكريم وصل إلى ذروته في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عليه وتم تسجيله برسم مأثور في المصاحف العثمانية، وتنوعت القراءات بناء على هذا الرسم فكان فيها قراءات شاذة وأخرى غير شاذة، أما ما سنسلط الضوء عليه هو: **القراءات السبع** والتي اتفق عليها من قبل جمهور علماء التفسير رغم بعض الانتقادات الموجهة إلى صاحبها.

القراءات السبع:

القراءات السبع هي التي جمعها **ابن مجاهد المتوفى 324ه** ونوجزها فيما يلي[6]:

القارئ	ترجمته
ابن عامر	هو أبو **عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحقبي** إمام أهل الشام وقاضيهم. يكنى أبا عمرو أو أبا موسى. كان تابعيا جليلا، إماما بالجامع الأموي في أيام عمر بن عبد العزيز، وقبله وبعده جمع له بين الإمامة والقضاء، ومشيخة الإقراء بدمشق. ولد سنة إحدى وعشرين أو ثمان وعشرين من الهجرة على اختلاف في ذلك، وتوفي يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة ومائة.
ابن كثير	هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز. يكنى: أبا معبد، أو أبا عباد، أو أبا بكر، وهو شيخ مكة وإمامها في القراءة، ونسبته الداري نسبة إلى تميم الداري الصحابي أو إلى العطر، قيل: كان عطارا وكان فصيحا بليغا مفوها. نقل قراءته الأئمة كأبي عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد والشافعي، وغيرهم. ولقي من الصحابة عبد الله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك رضي الله عنهم. ولد بمكة سنة خمس وأربعين في أيام

	معاوية، وأقام مدة بالعراق، ثم عاد إليها وتوفي سنة عشرين ومائة.
عاصم بن أبي النجود	هو عاصم بن أبي النجود إمام أهل الكوفة وقارئها، يكنى: أبا بكر. والنجود معناه كما قال الجعبري: من نجّد الثياب: نضدها، كان فصيحا حسن الصوت.
نافع	هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم إمام دار الهجرة، يكنى أبا ژويم، أو أبا الحسن، أصله من أصبهان، وكان أسود اللون حالكة، فصيحة عالما بالقراءات ووجوهها. ولد سنة سبعين وتوفي سنة تسع وستين ومائة.
أبو **عمرو**	هو أبو عمرو: زبان بن العلاء بن عمار أو العريان بن عبدالله بن الحصين بن الحارث المازني البصري إمام البصرة ومقرئها .. كان أعلم الناس بالقرآن والعربية عدلا زاهدا، يتصدق بالجوائز، وينفق من أرض ورثها، وكان يلقب بسيد القراء ولد بمكة سنة ثمان أو تسع وستين أيام عبد الملك بن مروان، ونشأ بالبصرة وتوفي بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة أو سنة سبع وخمسين ومائة أو غيرها.
حمزة	هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الزيات الكوفي، التيمي مولاهم، وهو من تابعي التابعين. كان عالما بالفرائض والعربية ورعاً ... وكان يجلب الزيت من العراق إلى حلوان، انتهت إليه القراءة بعد عاصم. ولد سنة ثمانين أيام عبد الملك بن مروان، وتوفي بحلوان سنة أربع أو ثمان وخمسين ومائة أيام المنصور أو المهدي.
الكسائي	هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فيروز المكنى بالكسائي لتسربله وقت الإحرام بكساء، وهو مولى بني أسد، فارسي إليه الرياسة في القراءة واللغة والنحو.

4/ مفهوم النحو وأسباب نشأته:

4/ أ–مفهوم النحو:

أ/1– النحو لغة: ورد في معجم **مقاييس اللغة** أن: "النون والحاء والواو كلمة تدل على قصد، ونحوت نحوه، ولذلك سمي نحو الكلام، لأنه يقصد أصول الكلام فيتكلم على حسب ما كانت العرب تتكلم به"[(7)]

أ/ب– اصطلاحا: عرف ابنجني (ت 392ه)النحو قائلا: " هو انتحاء سمت كلام العربي في تصرفه، من إعراب وغيره كالتثنية والجمع والتحقيق والتكسير والإضافة والنسب والتركيب وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل العربية بأهلها في الفصاحة، فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذ بعضهم عنها رد به إليها "[(8)]

4/ب– أسباب نشأة علم النحو: يوجد ارتباط وثيق بين النحو والقرآن الكريم، وبامتزاج العرب بالأعاجم ظهر اللحن في اللغة عامة وفي القرآن خاصة وكان العرب يفزعون عندما يجدون شخصا يلحن في كلامه، فقد قال الجاحظ:" وأول لحنسمع بالبادية: "هذه عصاتي"، وقد وردت في القرآن الكريم: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ١٨﴾[(9)] ولم تأت بلفظ عصاتي، وقيل: قد ظهر اللحن في المدينة ثم انتقل إلى البادية، ونجد الجاحظ يذكر قصة أخرى في هذا المجال وقد حدثت في مجلس قاضي في بغداد "وقال بعضهم: ارتفع إلى زياد رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال: الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك. وأما القاضي فقال: فلا رحم الله أباك، ولا نيّح عظم أخيك؟ قم في لعنة الله![(10)]

لقد كان العرب يستعمِلون لسانَهم عن سليقةٍ فلم يحتاجوا معها أن يُبينوا قواعدَ نظمِه، ولكن بعد مجيء الإسلام ودخول الأعاجم مالت ألسنتُهم إلى اللحن،

والخروج عن أصول الكلام التي ورِثوها عن أسلافهم. وبسبب ذلك حرص العرب كل الحرص على حفظ لغتهم من الضياع فبدأوا يبحثون عن حل لمعضلتهم فاهتدوا إلى وضعِ نحوٍ ينحوه كلُّ دخيل على اللسان ويلتزمه أبناء العربية.

وفي هذا الشأن يقول **ابن خلدون** في مقدمته: "إنَّه لَمَّا فسَدت مَلَكة اللسان العربي في الحركات المُسمَّاة –عند أهل النحو- بالإعراب استنبطت القوانين لحفظها كما قلناه، ثم استمر ذلك الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثيرٌ مِن كلام العرب في غير موضوعه عندهم، ميولًا مع هُجْنَة المُستَعرِبين في اصطلاحاتهم المخالِفةِ لصريح العربية، فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللُّغوية بالكتاب والتدوين، خشيةَ الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث، فشعر كثيرٌ مِن أئمة اللسان بذلك وأملوا فيه الدواوين(11)"

ونجد **سعيد الأفغاني** في نفس الشأن يذكر أن فساد اللسان أو اللحن كان سببا رئيسا في نشأة النحو حيث قال: "يعتبر اللحن الباعث الأول على تدوين اللغة وجمعها وعلى استنباط قواعد النحو وتصنيفها؛ فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أولو الغيرة على العربية والإسلام"(12).

يعد تفشي اللحن وفساد الألسنة السبب الرئيس في دق ناقوس الخطر، حيث تدخل الخلفاء والعلماء ليصلحوا ما أفسده امتزاج العرب بالعجم ويصححوا المسار حفاظا على لغة القرآن، يقول مصطفى إبراهيم في هذا الصدد: "فلما وقع اللحن في القرآن كان أثره عليهم أشد، وكان إليهم أبغض، فبادروا إلى إعراب القرآن وضبط كلماته بنقط يكتبونها عند آخر الكلمات تدل على حركاتها، وكان ذلك عمل أبي الأسود في النحو، وعمل طبقتين من النحاة بعده؛ يعربون المصحف، أي يضبطون

أواخر كلماته بالنقط، ويرسلون المصاحف في الناس يهتدون في القراءة بها وتكون لهم إماما"[13].

وقد انتهج علماء العربية للقيام بذلك منهجًا متميزًا في البحث اللغوي معتمِـــدين على ذوقِهم وإعمال العقل ودقة الملاحظة، وكان لهم فضلُ السَّبْق في الوقوف على كثيرٍ مِن الظواهر الصوتية والصرفية والنَّحْوية التي أفاد منها المحدثون.[14]

لقد أدى الاهتمام بإصلاح لسان العرب وغيرهم من اللحن إلى ظهور علم النحو والذي مثله علماء أجلاء، وبمرور الوقت ظهرت مدارس نحوية دأبت على تقعيـــد اللغة وضبطها للناس وخاصة من دخل الإسلام من غير العرب، واختلـــف علمـــاء هذه المدارس من حيث شروط تدوينهم للغة فأدى ذلك إلى وجود صـــراع فكـــري بينها مما أدى إلى تنوع المادة المعرفية في مجال النحو.

4/ج-المدارس النحوية: كثيرة هي المدارس النحوية وسنركز على مدرســتين احتدم الصراع بين علمائهما وخاصة في قضية الاستشهاد اللغـــوي والطعـــن فـــي القراءات القرآنية:

المدرسة البصرية: لقد كانت المدرسةُ البصرية متشددة تشدُّدًا كبيرًا في روايـــة الأشعار والأمثال والخُطب، حيث اشترط أصحابها في الشواهد المعتَمَـــدة لوضـــع القواعد أن تكون جاريةً على ألسنة العرب، وكثيرةَ الاستعمال في كلامهم؛ بحيـــث تُمثِّل اللغة الفصحى خيرَ تمثيلٍ، وحينما يواجهون بعض النصوص التـــي تخـــالف قواعدهم، كانوا يرمونها بالشذوذ أو يتأوَّلونها حتى تنطبق عليها قواعدهم، ومِن بين أبرز نُحاتها :**أبو الأسود الدؤلي – عبد الله بن إســحاق الحضـــرمي – الأخفـــش الأوسط – سيبويه – الأخفش الأكبر– الخليل بن أحمد الفراهيدي.**

المدرسة الكوفية: لقد اتسع أقطاب المدرسة الكوفية في الرواية عن جميع العرب بدوًا وحضرًا، واعتدُّوا بأقوال وأشعار المتحضِّرين من العرب ممن سكنوا حواضر العراق، واعتمدوا الأشعار والأقوال الشاذة التي سمِعوها مِن الفصحاء العرب، -على عكس البصريين الذين وصفوها بالشذوذ - ومن أبرز روادها: **أبو زكريا يحيى الفرَّاء -الكسائي - أبو جعفر محمد بن عبد الله بن قادم- أبو الحسن علي بن الحسن الأحمر.**

هذا وقد ظهرت مدارس نحوية أخرى لا يسعنا المجال في هذا المقام بتفصيلها كالمدرسة البغدادية والأندلسية.

4/د- المدارس النحوية وقضية الطعن في القراءات القرآنية: من المعلوم أن النحاة اعتمدوا في تقعيدهم لقواعد النحو على قناة هامة وهي السماع سواء أكان المسموع شعرا أو نثرا أو نصا قرآنيا، ولكن اعتمادهم على النص القرآني والقراءات لم يكن بنفس الدرجة عند شيوخ المدارس النحوية، وذلك حسب شروط السماع عندهم، فما وافق قواعدهم وأقيستهم اعتمدوه وما خالفها ردوه وأبطلوه.

4/ه- مدرستا البصرة والكوفة واستشهادهما بالقراءات القرآنية: لما رأى بعض النحاة عدم تحمل القراءة لقياس النحو في بعض القراءات طعنوا فيها وردوها على أصحابها ظنا منهم أن القراءات قد جمعت كل ما سمع عن العرب وهذا ما يخالف شروط السماع عندهم(15).

واختلف فيمن فتح باب الطعن في القراءات القرآنية فمنهم من ذهب إلى أن البصريين هم أول من فتح هذا الباب واختصوا بذلك البصريين المتأخرين وليس شيوخهم كسبويه الذي كان يكتفي بذكر الخلاف حول القراءات وتوجيهها، ثم يضع القاعدة النحوية التي تصطدم بهذه القراءة أو قد يردها ردا قاطعا دون ذكر القراءة نفسها.

والمتتبع يجد أن الأخفش يعد من الأوائل الذين فتحوا باب الطعن في القراءات، حيث كان يصف قراءة متواترة بأنها لغة شاذة قليلة أو أنها قبيحة أو أنها رديئة.

أما الكوفيون فقد وردت تخطئة الكسائي للقراء والقراءات وذلك ما ذكره **الفـراء** في كتابه " معاني القرآن" قائلا: "**إن الكسائي كان لا يجيز القراءة بهذا الحرف أو ذاك**"(16).

5/ تعدد التوجيه النحوي: المصطلح والمفهوم

1/5- **التوجيه في اللغة:** التوجيه مشتق من الوجه، والوجه في المعاجم العربية يطلق على أشياء ومعان كثيرة.

والتوجيه تفعيل، وهو مصدر (وجَّه) المزيد بتضعيف عينه، وهو في اللغة بمعنى: انقاد واتبع، يقال: وجه فلان فلانا، جعله يتجه اتجاها معينا، ووجه الشيء: جعله على جهة واحدة.

2/5- **التوجيه في الاصطلاح:** ورد مصطلح التوجيه في أكثر من علم، فورد في:

أ- **علم النحو:** والتوجيه في الاصطلاح النحوي "هو ذكر الحالات والمواضع الإعرابية، وبيان أوجه كل منها، وما يؤثر فيها، وما يلزم ذلك من تقرير وتفسير، أو تعليل، أو استدلال، أو احتجاج.

ب- **علم القافية:** التوجيه في القافية هو "حركة الحرف الذي قبل الروي الساكن، ويسمى الروي الساكن: المقيد"(17).

3/5- **مفهوم التعدد في التوجيه النحوي:** المقصود من التعدد في التوجيه النحوي أن تتعدد العلامة الإعرابية، أو الوظيفة النحوية لكلمة ما، أو أن يتعدد احتمال شغل الجملة لأكثر من موقع إعرابي، وفقا لما يؤدي إلى ذلك من أسباب.

ويترتب على اختلاف الأوجه وتعددها تغير على مستوى الدلالة، فيتغير المعنى تبعا لتغير التركيب بمعطياته النحوية والصرفية[18].

4/5 أسباب التعدد في التوجيه النحوي: إن الحديث عن أسباب التعدد في التوجيه النحوي ذو شجون إذ لا يسعنا في هذه الورقة البحثية أن نحيط بكل جوانبها وسنكتفي بذكر بعض النقاط الهامة الموجزة فيما يلي:

1- اختلاف القراءات القرآنية.

2- أسلوب القرآن معجز، إذ لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميه ومقاصده، فاحتمل كثيرا من المعاني، وكثيرا من الوجوه).

3- المذهب النحوي الذي ينتسب إليه المعرب، ومدى التزامه بأصول ذلك المذهب، فهو مؤثر قوي في اختلافه مع غيره، وخير دليل على ذلك الاختلاف الحاصل بين مدرسة البصرة والكوفة.

4- اختلاف القدرات العقلية والعلمية للمعربين والمفسرين، وتباينها.

5- احتفاظ النحويين لأنفسهم بحرية الرأي وانطلاق الفكر، فلا يعرفون الحجر على الآراء، ولا تقديس رأي الفرد مهما علت منزلته.

6- اختلاف المعربين في المواضع المشكلة التي تحتاج إلى تأمل ونفاذ بصر، ليندفع إشكالها[19].

قبل أن نسلط الضوء على سورة يوسف من حيث أهم الآيات المتضمنة لتعدد التوجيه النحوي وما لازمها من معانلا بد لنا من وقفة تعريفية للخطاب القصصي القرآني وللمدونة:

6/ التعريف بالمدونة:(قصة يوسف عليه السلام): هي مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة، والمناسبة بينها وبين سورة هود أنها متممة لما فيها من قصص الرسل والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله دالا على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.[20]

أما ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته في غيرها، ولم يذكر اسمه في غيرها إلا سورة الأنعام وغافر. وهي مكية على القول الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره، نزلت بعد سورة هود، وقبل سورة الحجر. وهي السورة الثالثة والخمسون في ترتيب نزول السور على قول الجمهور، ولم تذكر قصة نبي في القرآن بمثل ما ذكرت قصة يوسف عليه السلام، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة آية باتفاق أصحاب العدد في الأمصار.[21]

وسميت بأحسن القصص لأن الله تعالى ذكر فيها الأنبياء، والصالحين، والملائكة، والشياطين، والجن، والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك، والتجار، والعلماء...وقيل سميت بأحسن القصص لأنه ليس في القرآن قصة تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة[22]

7/ نماذج عن تعدد التوجيه النحوي في السورة وتبيان تخريجاتها:

تحمل سورة يوسف العديد من التوجيهات بمختلف أنواعها: الصرفية، الصوتية، السياقية، التركيبية والنحوية وسنحاول في هذا الجدول أن نتطرق إلى بعض الآيات من حيث تعدد توجيهها النحوي مع تبيان تخريج كل توجيه:

1-**قال تعالى:** ﴿إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤﴾**[23]**.

✓ قرأها **ابن عامر** بفتح التاء في جميع القرآن.

✓ قرأ ها الباقون بالكسر.

التخريج:

➢ أنه قدر إثبات ياء الإضافة في النداء، وهي لغة مستعملة في القرآن والكلام.

➢ أنه أبقى الكسرة تدل على الياء المحذوفة في النداء، وأصله «يـــأبتي» كمـــا تقول: يا غلام أقبل، وهذه هي اللغة المستعملة وهي الاختيار[24].

2- **قال تعالى:** ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢﴾[25]

القراءات: قرأت هذه الآية على أوجه كثيرة منها ما يلي:

✓ قراءة **البزي عن ابن كثير** «نرتع ونلعب بالنوني وكسر العين".

✓ **قراءة قنبل،** وقد اختلف عليه فنقل عنه ثبوث الياء بعد العين وصلا ووقفـــا وحذفها وصلا ووقفا، فيوافق البزي في أحد الوجهين عنه، فعنه قراءتان.

✓ قراءة أبيّ عمرو وابن عامر نرتع ونلعب بالنون وسكون العين والباء.

✓ قراءة الكوفيين: «يرتع ويلعب بالياء من تحت وسكون العين والباء

✓ وقرأ جعفر بن محمد «نرتع، بالنون ويلعب بالياء، وروي ذلك أيضا عن ابن كثير.

✓ قرأ العلاء بن سبابة يرتع ويلعب بالياء فيهما وكسر العين وضم الباء.

✓ قرأ مجاهد وقتادة **وابن محيص،** نرتع بضم النون وسكون العين والباء.

✓ قرئ «نرتعي ونلعبُ بثبوت الياء ورفع الباء[26].

التخريج:

➢ من قرأ بالنون أسند الفعل إلى إخوة يوسف.

- من قرأ بالياء أسند الفعل إليه دونهم.
- من كسر العين اعتقد أنه جزم بحذف حرف العلة.
- من سكن العين اعتقد بأنه جزمه بحذف الحركة وجعله مأخوذا من رتع يرتع إذا اتسع في الخصب.
- من سكن الباء جعله مجزوما
- من رفعها جعله مرفوعا على الاستئناف أي: وهو يلعب
- من غاير بين الفعلين فقرأ بالياء من تحت في «يلعب دوننرتع، فلأن اللعب مناسب للصغار.
- من رفع الفعلين جعلهما حالين، وتكون حالا مقدرة. وأما إثبات الياء في «نرتعي، مع جزم «نلعب، وهي قراءة **قنبل** فقد تجرأ بعض الناس وردوها وقال ابن عطية: «هي قراءة ضعيفة لا تجوز إلا في الشعر، وقيل: هي لغة من يجزم بالحركة المقدرة[27].

1- قال تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾.[28]

2- **القراءات:**

- ✓ قرئ: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ﴾
- ✓ قرأ **أبيّ وعيسى بن عمر**: ﴿فَصَبْراً **جَمِيلاً**﴾ نصبا، ورويت عن الكسائي. وكذلك هي في مصحف أنس بن مالك.

التخريج:

➢ من قرأ بالرفع على أنه خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا والتقدير "فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أمثلُ.

➢ من قرأ بالنصب فتخريج ذلك على المصدر الخبري، أي: أصبر أنا صبرة، وهذه قراءة ضعيفة إن خرجت هذا التخريج.[29]

3- قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[30]

القراءات:

✓ قرئ هيت بفتح الهاء وكسرها.

✓ نافع وابن ذكوان: بالكسر- من غير همز- وفتح التاء، وهشام كذلك إلا أنه يهمز، وقد روي ضم التاء عنه.

✓ ابن كثير: بفتح الهاء وضم التاء والباقون بفتحها[31].

التخريج:

قال ابن هشام: «وأما من قرأ هئْت مثل جئت فهو فعل بمعنى تهيأت...وأما من قرأ كذلك ولكن جعل التاء ضمير المخاطب...فمعنى تهيئه تيسر انفرادها به، لا أنه قصدها، بدليل راودته.

قال النحاس: المعنى في هِيْتَ أي حسنت هيئتك.

قال أبو حيان: فهذه القراءات هي فيها اسم فعل، إلا من ضم التاء وكسر الهاء سواء همز أو لم يهمز...فيحتمل أن يكون فعلا رافعا ضمير المتكلم...والمعنى: تهيأت.

4- قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ **يَعْصِرُونَ**﴾[32]

القراءات:

✓ قرأ حمزة والكسائي وخلف بتاء الخطاب.

✓ قرأ الباقون يعصرون بياء الغيبة.

التخريج:

– حجة الأول أنه رده إلى المخاطبين المتقدمين في قوله

– حجة لمن قرأ بالياء أنه رده إلى الناس في قوله تعالى "فيه يغاث الناس"[33].

5- قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾﴾[34]

القراءات:

✓ قرأ حفص عن عاصم وحمزة والكسائي وابن محيص وخلف وابن مسعود: "خير حافظا.

✓ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب وأبو جعفر: خير حفظا بدون ألف،

✓ قرا الأعمش: "خير حافظ.

✓ قرأ أبو هريرة: "خير الحافظين على الجمع والإضافة.[35]

التخريج:

– انتصب **حفظا** على البيان لأنهم نسبوا إلى أنفسهم حفظ أخي يوسف فقالوا: "وإنا له لحافظون" فرد عليهم يعقوب قائلا: "الله تعالى خير حفْظا من حفظكم".

- من قرأه **حافظا** فنصبه على الحال - رأي النحاس- وهو حال من الله عز وجل على أن يعقوب رد لفظهم بعينه إذ قالوا "وإنا له لحافظون"، فأخبرهم أن الله هو الحافظ فجرى اللفظان على سياق واحد.[36]

6- 5- قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾.[37]

القراءات:

- ✓ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾، **بجزم الفعل يتقي.**
- ✓ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ **برفع الفعل يتقي (رواية قنبل عن ابن كثير).**

التخريج:

من جزم الفعل فإنه قد جعل "**من**" اسم شرط رفع بالابتداء وما بعده الخبر. ومن رفعه فقد جعل "من" بمعنى الذي لأنه صلة لمن.

هذا غيض من فيض مما حملته سورة يوسف من تعدد للتوجيه النحوي والمقام لا يسعنا لذكر جميع صوره وإنما أردنا أن نسلط الضوء على بعض ما جاء في هذه السورة ولنوضح معنى تعدد التوجيه النحوي والمعاني التي يخرج إليها.

الخاتمة: في ختام هذه الورقة البحثية نصل إلى نتائج نوجزها في النقاط التالية:

- ❖ كان العرب قبل الإسلام يعتمدون في كلامهم على السليقة فلم يحتاجوا معها أن يُبينوا قواعدَ نظمِه.
- ❖ احتاج العرب إلى علم النحو بعد أن اختلطوا بالأعاجم بسبب الفتوحات الإسلامية.
- ❖ تفشي اللحن وخاصة في القرآن سبب رئيس في تدوين القرآن الكريم.
- ❖ ظهور المدارس النحوية واختلاف شروط تقعيدها للنحو كالمدرسة البصرية والكوفية.

❖ طعن اللغويين وعلماء النحو للقراءات القرآنية لأسباب كثيرة أهمها اختلاف المذاهب المنتسب إليها.

❖ ظاهرة التعدد في التوجيه النحوي سببها الرئيس اختلاف القراءات القرآنيـــة واختلاف مذاهب المعربين.

❖ تحمل سورة يوسف – كباقي السور – العديد مـــن مظـــاهر تعـــدد التوجيـــه النحوي مما أدى تأثيرا على تفسير معانيه.

❖ كلما تعددت الأوجه الإعرابية للآيات توسعت معانيها ودلالتها.

❖ يلعب النحو دورا هاما في فهم وتفسير آيا لقرأن الكريم.

وفي الأخير كان لابد أن نعطي لكل ذي حق حقه فقد تشرف العرب بأن نـــزل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم حاملا معه كتاب الله ا المعجز بـــالقول واللفـــظ والبيان، ولقد كان لعلمائنا السابقين الفضل الكبير في تثبيت قواعد اللغة المتمثلة في نحوها إذ لم يتركوا أمرا إلا وعالجوه بما أتاهم الله من علمه وحكمته فقـــدموا لنـــا القرآن الكريم مفسرا ومعربا، وكرد للجميل كان لزاما علينا أن نحافظ علـــى هـــذا الإرث العظيم الذي ورثناه عن أجدادنا وأن نعمل لتجديده وتنقيحـــه ليســـتمر فهـــم الرسالة المحمدية للأجيال القادمة.

الهوامش:

(1) ينظر: شريف عبد الكريم محمد النجار، أثر التفسير بالمأثور في التوجيه النحوي لآيات القرآن الكريم، رسالة علمية،ص19 وينظر الرابط:

https://www.moswrat.com/books_download_25008.html

(2) ينظر المرجع نفسه، ص20

[3] ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، تح: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان 1416هـ، 15.

[4] محمد حسين الذهبي: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 5-6

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 13

[6] ينظر: أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء، ج1، ط2، مطبوعات جامعة الكويت، 1408هـ-1988م، ص79-80

[7] أحمد بن فارس: مقاييس اللغة، ج5 تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر .1399 هـ - 1979م.، ص403

[8] أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص، ج1، تح: محمد علي النجار. دار الكتب المصرية، القاهرة، ط02، 1952،ص34.

[9] طه،18

[10] ينظر: عبد العزيز ناصري: المدارس النحوية والاستشهاد بالقرآن، مجلة الحقيقة، ع35، جامعة أبو بكر بلقايد- تلمسان، ص4-5

[11] ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبدالواحد وافي، ج3، ط3، القاهرة: د ت، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص 1268.

[12] سعيد الأفغاني: من تاريخ النحو، دار الفكر، دمشق، دط، دت، ص08

[13] مصطفى إبراهيم: إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص21.

[14] ينظر الرابط:

https://www.alukah.net/literature_language/0/124121/#ixzz5ucHqdLep

[15] ينظر: خلود بن طلال الحساني: مطاعن اللغويين والنحويين في القراءات السبع، جمعا ودراسة وتحليلا، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1434ه، ص 16

[16] المرجع نفسه، ص18

[17] ينظر: شيماء جابر أحمد العدوي: تعدد التوجيه النحوي في تفسير أبي السعود، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،2015، ص2

[18] ينظر: المرجع نفسه ص3

[19] ينظر: باسل عمر مصطفى المجايدة: أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة المائدة الجامعة الإسلامية، غزة،2009، 78

[20] احمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ج12، ط1، مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1365-1946م، ص 111

[21] **أحمد نوفل**: سورة يوسف، دراسة تحليلية، ط1، دار الفرقان، عمان، الأردن، 1409هـ، 1989م، ص23

[22] عمر محمد عمر باحاذن: الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام، دار المأمون للتراث، ط1، 1417هـ، 1997م، بيروت، لبنان، ص 10.

[23] يوسف،04

[24] أحمد بن يوسف الحلبي: الدر المصون في علم الكتاب المكنون، ج6 تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، ص431

[25] يوسف،12

[26] عبد اللطيف الخطيب: معجم القراءات، ج4، دار سعد الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص193، 194

[27] ينظر المرجع نفسه، ص 195، وينظر: عبد القادر أحمد عبد القادر: إعراب سورة يوسف، ط1، مكتبة السندس،1989، ص23

[28] يوسف 18

[29] شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: فتح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ج8، تح: حمزة وسيم البكري، ط1، مصرف أبو ظبي الإسلامي، 1434، 2013، ص 289

[30] يوسف 23

[31] شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي: فتح الغيب في الكشف عن قناع الريب، ص 289

[32] يوسف، 49

(33) هيفاء عبد الرؤوف رضوان، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، من خلال سور هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل، ج5، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1428-2007

(34) يوسف،64

(35) ينظر: أمل شفيق العمري، التوجيه النحوي للقراءات القرآنية، في التفسير الكبير للإمام الطبراني، ط1، عمان الأردن، 2010، ص 111

(36) أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، مشكل إعراب القرآن، تح: حاتم صالح الضامن، القسم الأول، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405، 1984م، ص388-389

(37) يوسف، 90

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط ودوره في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية

داه. عمر بن عيشوش
مركز ب. في ع. الإسلامية وح.، الاغواط.

مقدمة:

يحظى كل من القرآن الكريم واللغة العربية باهتمام كبير من قبل المسلمين عامة والعلماء وطلبة العلم الشرعي خاصة، فقد أقبل المسلمون على القرآن الكريم وما زالوا يقبلون عليه حفظاً وتلاوةً وكتابةً ومدارسةً وتفسيراً وبحثاً في مفرداته ومعانيه ودلائله، وتزخر المكتبة الإسلامية اليوم بنتاج غزير في جميع فروع علوم القرآن واللغة العربية وآدابها، بل إن بعض المصنفات والأبحاث كتبت بأقلام غير المسلمين.

وتعمل المؤسسات الجامعية والمعاهد ومراكز البحث في العلوم الإسلامية في أنحاء العالم على إنجاز بحوث ودراسات معاصرة تتسم بالجدة والجودة؛ والعمل أيضاً على تحقيق مخطوطات في شتى علوم الشريعة؛ بغرض التأكيد على شمولية الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وكذا خدمة للقرآن الكريم واللغة العربية، لذا سأسلط الضوء في هذه الورقة البحثية على: دور مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية.

- **أهمية الموضوع:** تنبع أهمية الورقة البحثية من كونها تناولت موضوع بالأهمية بمكان؛ لكونه يسلط الضوء على مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة ودوره في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية، ويحظى هذا الموضوع باهتمام متزايد من قبل الباحثين في علوم القرآن واللغة العربية.

- منهج الدراسة: أتبع المنهج الوصفي، وذلك من خلال تجميع المـــادة العلميـــة والبيانات المتعلقة بـــ: مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضـــارة ودوره فـــي خدمة القرآن الكريم واللغة العربية؛من مصادرها المختلفة، ثم أقوم بحليلها التحليـــل المناسب واستخلاص النتائج منها.

- **الإشكالية المطروحة:** كيف يساهم مركـــز البحـــث فـــي العلـــوم الإســـلامية والحضارة بالأغواط في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية أتبع الخطة التالية:

مقدمة:

المبحث الأول: التعريف بمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة.

المبحث الثاني: دور المركز في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية.

خاتمة: أضمنها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: التعريف بمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة:

أولا: تعريفه: "المركز مؤسسة عمومية ذات طابع علمي وتكنولوجي له صـــبغة قطاعية. أنشئ تحت المرسوم التنفيذي رقم 15-136 المؤرخ في 4 شـــعبان عـــام 1436 الموافق لـــــ:23 ماي 2015؛ ويخضع لأحكام المرسوم التنفيذي رقـــم 11-396 المؤرخ في 28 ذي الحجة عام 1432 الموافق 24 نوفمبر سنة 2011"[(1)].

وتم تدشينه صبيحة (الأربعاء 27 يناير 2016) حيث أطلّت على مدينة الأغـــواط الشارة، بفتح مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة في قلب مدينة الأغواط، ذات الجذور المكينة؛ فموقعها الاستراتيجي بين الحواضر، المتوّسط لمعظـــم مـــدن

الجزائر، فكان ذلك باعثاً لاختيارها لأن تكون حضنا لهذا الصـرح العلمـي، إلـى جانب البعد الحضاري.

ويحتوي المركز: مكتبة كبيـرة عصـريّة، ومطبعـة حديثـة رقميّـة وقاعـة محاضرات، وجناحاً للضيوف، وقاعة اجتماعات، وقاعات مجهزّة للباحثين وأخرى للتسيير والإداريين، ومطعماً ونادياً للعاملين فيه والزوار الموّقرين.

وقد كان فتح هذا المركز مساعداً على استقطاب كفاءات وطنية مـن مختلـف التخصّصات عبر تراب الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وتم توظيف لحد الساعة: (36) أستاذ باحث، بالإضافة إلى طاقم إداري، تحت إشراف مدير المركـز الأستاذ الدكتور: مبروك زيد الخير.

وبهذا تتّجلى أهميّة المركز الاستراتيجية بأبعادها العلمية، والاجتماعية، والاقتصادية.

ويتوّلى هذا المركز دراسة ومعالجة قضايا الجزائر والأمّة، ويعد همزة وصـل بين الباحثين داخله، أو مع غيرهم من خارجه إما من الوطن أو مع غيـرهم مـن العرب أو باحثين مسلمين أو غربيين.

كما يعّد صرحاً مهّماً للحوار، والنقاش والتوجيه والتكوين، في كل مـا تحتويـه الحضارة الإسلامية.

وحدّد المرسوم رقم 396/11، المؤرخ في 24نوفمبر 2011، مهّام المركز:

– جمع كل ما هو ضروري لتحديد مشاريع البحث الواجب إنجازها، والمعطيات المسموح ببرمجتها وتنفيذها، والإبداع التكنولوجي في ميدان نشاطها.

– التطوّر العلمي والتكنولوجي بضمان متابعة لكل ماله صلة بموضوعه.

– تثمين البحث واستغلاله، والسهر على حسن استعماله.

- متابعة سير فرق البحث، وحسن تسييرها.

- العمل على الرفع من مستوى أفرادها.

ثانياً: أقسام البحث بالمركز: يضم مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة أربعة أقسام بحث وهي[2]:

- قسم الدراسات القرآنية والفقهية.

- قسم الفكر والعقيدة والحوار مع الغير.

- قسم التاريخ الثقافي للجزائر

- قسم الحضارة الإسلامية.

1- قسم الدراسات القرآنية والفقهية: ويكلف هذا القسم بالقيام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بـ[3]:

- الإعجاز العلمي والبياني للقرآن الكريم.

- كتابات المستشرقين وطعونهم في القٍآن وإعجازه.

- البحث في ميدان النوازل الفقهية وفق الأولويات المعاصرة.

- إبراز المنتوج الجزائري في الفقه المالكي ونشره.

إثراء البحوث الخاصة بعلوم القرآن وتنشيطها.

- استغلال مدونات المجامع الفقهية لترقية البحث في ميدان الفقه الإسلامي.

- إرساء مرجعية فقهية من أجل ضمان وحدة الأمة الجزائرية وأمنها.

ويضم قسم الدراسات القرآنية والفقهية فرقتين:

*فرقة النوازل المعاصرة والإجتهاد الفقهي

*فرقة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية

أ/ فرقة النوازل المعاصرة والإجتهاد الفقهي: تهتم فرقة النوازل الفقهية بــ:

– إعداد دراسات وأبحاث معمقة تتعلق بالجانب الشرعي لكثير من المسائل الفقهية المعاصرة، لتستفيد منها الجهات الوصية أو الهيئات المعنية .

– المساهمة في تحديد رؤية إسلامية واضحة المعالم، تتعلق بهوية الفرد المسلم أمام التحديات المعاصرة

– إقامة ندوات أو أيام دراسية لبعض النوازل الفقهية، المطروحة على الساحة الإعلامية.

– التأكيد على الموروث الثقافي المغاربي الإسلامي، جمعا بين الأصالة والمعاصرة .

– تحقيق ودراسة بعض المؤلفات الفقهية التي يدور حولها النقاش والبحث.

تعمل الفرقة حاليا في مشروع ضخم يجمع كثيرا من المسائل الفقهية المتعلقة بأحكام الإنجاب، ليكون كموسوعة فقهية في هذا الجانب المهم من حياة الناس(4).

ب/ فرقة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية: تبحث هذه الفرقة في:

– البحث في مفهوم الإعجاز ودلالاته.

– التنقيب في التراث للكشف عن تاريخ ووجوه الإعجاز.

– دراسة القراءات الحداثية وعلاقتها بالقرآن الكريم.

وهي تعمل وفقا لتسميتها مسترشدة بالأهداف العامة التي رسمها مركز البحث من أجل تحصين الهوية الجزائرية والاعتزاز بها باستخدام آليات البحث العلمي وملتزمة بالموضوعية ومعطيات الواقع.

والفرقة تعمل وفق رؤية استشرافية تطمح إلى المســاهمة فــي تأســيس علــم الإعجاز من خلال فتح "البوابة الإلكترونية للإعجاز في القــرآن الكــريم والســنة النبوية" ترصد كل جديد عن الإعجاز وتتناوله بالدراسة والنقد(5).

2- **قسم الفكر والعقيدة والحوار مع الغير:** ويكلف هذا القسم بالقيام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بـــ(6):

- الفكر الإسلامي المعاصر وإبراز وسطية الإسلام.
- أصول الدين وآليات التحصين العقائدي.
- أسس الحوار مع الغير من جهة عالمية الإسلام وسماحته.
- إبراز أثر التصوف على توازن المجتمع وتماسكه.
- دراسة التأثير التربوي للزوايا والجمعيات ذات الطابع الديني في الحفاظ على الهوية الوطنية.
- دراسة أسباب التطرف الديني والآليات الممكنة لمعالجته.
- مواجهة ظاهرة الإسمفوبيا من أجل إرساء جسور التواصل مع الغرب.

هذا ويضم قسم الفكر والعقيدة والحوار مع الغير فرقتين:

- فرقة تجديد الخطاب الديني وآليات تطويره
- فرقة حوار الحضارات وتحديات العولمة

أ/**فرقة تجديد الخطاب الديني وآليات تطويره:** تبحث هذه الفرقة في:

- دعوات تجديد الخطاب الديني عبر تاريخ الأمة الإسلامي.
- إبراز جهود المجددين والاستفادة منها.

- بحث آليات تطوير الخطاب الديني بما يتماشى مع مقتضيات العصر وتهتم هذه الفرقة بالبحث في السبل والآليات التي تجعل الخطاب الديني المعاصر مستجيبا للمستجدات والقضايا الراهنة؛ بما يتناسب مع صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وبما يحافظ على الثوابت والقطعيات في الدين. كما تهتم الفرقة أيضا بدراسة آليات تطوير الخطاب الديني الموجّه لغير المسلمين؛ بما يعطي صورة مشرقة عنه، وبما ينفي ما ألصق به من تهم الإرهاب والعنف.

وتعكف الفرقة حاليا على:

- بحث دور التكنولوجيات الحديثة في تطوير الخطاب الديني، لما لهذه الوسائل من أثر بالغ في توجيه الناس اليوم.

- البحث في سيرة المجددين عبر التاريخ الإسلامي، مع بيان أوجه التجديد، والاستفادة من فكرهم ونظرتهم الشاملة للإسلام[7] .

ب/ فرقة حوار الحضارات وتحديات العولمة: تبحث هذه الفرقة في:

- رصد مختلف الآراء الفكرية حول موضوع "الحوار الحضاري" بين مختلف الأفكار والايديولوجيات والديانات والعقائد.

- البحث في موضوع العولمة وما أفرزته من تحديات سياسية وثقافية واجتماعية.

وتهدف هذه الفرقة إلى:

- إبراز أهمية الموروث الإسلامي في حواره مع الآخر من خلال الاستعانة ببعض النماذج الفكرية التي أثبتت فاعليتها في هذا المجال.

- السعي من أجل تحليل وفهم ظاهرة العولمة في الواقع الجزائــري ونتائجهــا الايجابية والسلبية على مختلف الميادين، ومحاولة إيجاد الحلول الممكنــة لتفــادي إنعكاساتها السلبية على الهوية الوطنية.

وتعمل الفرقة على المشاركة في الندوات والملتقيات الوطنية والدولية التي تنعقد داخل المركز وخارجه.

وتشتغل الفرقة حاليا على مشروع يساهم فيه أعضاء الفرقة حــول موضــوع "الهوية الوطنية الجزائرية وتحديات العولمة[8].

3- **قسم التاريخ الثقافي للجزائر:** ويكلف هذا القسم بالقيام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بـــــــــــ[9]:

- تاريخ التراث الثقافي الجزائري المادي وغير المادي.
- إبراز الاعلام والشخصيات العلمية في مسار الإشعاع العلمي للجزائر
- دراسة المخطوطات النادرة التي تثري التاريخ الثقافي للجزائر ولستغلالها في بحوث المركز.
- دور المدن الجزائرية المشهورة كأقطاب معرفة في نباء الحضارة الإسلامية.
- أثر العرف والقضاء الشرعي في تماسك الأسرة الجزائرية وتوازنها.
- تاريخ الوقف الإسلامي في الجزائر.

ويضم: قسم التاريخ الثقافي للجزائر فرقتين:

- التراث التاريخي في الجزائر –استبصار واستثمار
- فرقة المخطوطات والأعلام

أ/- **التراث التاريخي في الجزائر "استبصار واستثمار"**: هي فرقة بحثية في قسم تاريخ الجزائر الثقافي بمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط، تهتم هذه الفرقة بالبحث والتنقيب عن كل ما له علاقة بتراث الجزائر عبر العصور والأزمنة، وتحاول أن تنفض الغبار على العديد من القضايا التي لها علاقة بالإرث الثقافي والتاريخي الذي تزخر بها الجزائر.

تعالج هذه الفرقة المحاور التالية:

- التعريف بالتراث التاريخي في الجزائر عبر مختلف العصور التاريخية.
- إبراز أهمية التراث التاريخي بمختلف أنواعه ودوره في الحفاظ على الهوية الوطنية.
- إيجاد آليات للحفاظ على الموروث الحضاري في الجزائر في ظل التحديات الراهنة.

وكخطوة أولى لتحقيق هذه الأهداف تبنت الفرقة مشروع يتمثل في إنجاز أطلس للمعالم والمواقع الأثرية في الجزائر عبر مختلف الأزمنة التاريخية، لما يكتسيه من أهمية نبرز من خلالها الإرث الذي تزخر به الجزائر ونعرف به للأجيال القادمة، مع إبراز أهم المخاطر التي تهدد هذا الإرث، ويتطلع أعضاء الفرقة في أن يكون هذا المشروع في شكل بوابة الكترونية بتقنيات متطورة[(10)].

ب/ فرقة المخطوطات والأعلام: تبحث هذه الفرقة في:

- التنقيب عن الموروث الجزائري المخطوط وإبرازه.
- التعريف بأعلام الجزائر ومساهمتهم في العلم والحضارة.
- نشر التراث الجزائري ورقمنته.

وهي فرقة تعمل وفقاً لتسميتها "فرقة المخطوطات والأعلام" التي استمدت من قناعة المركز وأهدافه العامة التي تهتم في جانب كبير منها بتحصين الهوية

الجزائرية وحمايتها باستخدام آليات البحث، فضلا عن كونها فرقة تعمل وفق رؤية استشراقية واعدة، فإنها تطمح إلى:

تأسيس البوابة الإلكترونية للمخطوطات الجزائرية وهي: عبارة عن موقع إلكتروني بمقاييس عالمية، متاح على الشبكة العنكوتية للأنترنت، أذ يمكن المطلع عليه من الوقوف على اسهامات الجزائريين المخطوطة ومشاركتهم في بناء المعرفة العلمية[11].

4- **قسم الحضارة الإسلامية:** ويكلف هذا القسم بالقيام بالدراسات والأبحاث المتعلقة بـ[12]:

- معالم الحضارة وأطر التكامل المعرفي بين التراث القديم ومنتجات العصر الحديث
- دراسة المعمار الإسلامي ودوره في الرقي الحضاري.
- البحث في الإقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق ودوره في دفع التنمية الوطنية.
- استغلال الترجمة في إبراز الحضارة الإسلامية وتفاعلها مع الغير.
- مساهمة العلوم الإسلامية في بناء الحضارة العالمية.
- تاريخ العلوم وأثره في ترقية الحضارة من خلال رؤية معاصرة.
- استغلال البحوث في ميدان الحضارة الإسلامية.

ويضم قسم الحضارة الإسلامية فرقتين:

- فرقة الدراسات الاجتماعية والنفسية.
- فرقة الدراسات الاقتصادية والقانونية.

أ/ فرقة الدراسات الاجتماعية والنفسية: نظراً لكوننا نعيش في مجتمع شهد ويشهد ديناميةاجتماعية وسياسية واقتصادية، مما يستلزم منا كباحثين في العلوم الاجتماعية البحث ة الاستقصاء للوقوف على المشكلات النفسية والاجتماعية، وذلك من خلال تحقيق الأهداف التالية[13]:

- البحث في المشكلات النفسية الاجتماعية في المجتمع الجزائري (الأسرة، المدرسة، العمل...).
- البحث في انعكاسات التغيير الاجتماعي على المجتمع الجزائري.
- المساهمة في رسم استراتيجيات للوقاية والتقليل من المشكلات النفسية والاجتماعية.
- مفهوم الدين كظاهرة جمعية في المجتمعات العربية الإسلامية.
- المؤسسات الدينية ودورها في الحفاظ على تماسك المجتمع وتنميته.
- اشكالية الهوية والحفاظ على الموروث الثقافي في ظل التحديات الراهنة.
- التمنية الاجتماعية من منظور إسلامي في الجتمعات العربية.
- القيم الأخلاقية في ظل استخدام التكنولوجيات الحديثة.
- حرية المعتقد الديني في المجتمعات غير الإسلامية.

ب/ فرقة الدراسات الاقتصادية والقانونية: تهتم هذه الفرقة بتطوير البحث في الاقتصاد والتمويل الإسلامي من خلال ترسيخ مكانة مركز البحث في ميدان الاقتصاد الاسلامي بهدف الإسهام بفاعلية في بناء الفكر الإقتصادي الإسلامي العالمي بما يحقق الرفاهية والعدالة الاجتماعية، وذلك بتهيئة مناخ علمي نشط تتكاثف فيه موارد المركز لتحقيق مستوى علمي رائد وتكوين أجيال رائدة في الاقتصاد الإسلامي.

مشروع البحث: تطوير البحث في الاقتصاد والتمويل الإسلامي:

وذلك من خلال البحث في المحاور التالية[14]:

- العمل على تطوير البحث في الزكاة والوقف بما يحقق الرفاه الإسلامي.

- العمل على تطوير صيغ التمويل الإسلامي بما يتماشى مع طبيعة عمل البنوك الإسلامية.

- العمل على تطوير الصناعة المالية الإسلامية في الجزائر.

- العمل على تطوير سوق الأوراق المالية الإسلامية في الجزائر.

المبحث الثاني: دور المركز في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية: يتجلى دور مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية من خلال المشاريع البحثية (تم التطرق إليها في المبحث الأول) التي يشتغل عليها والتظاهرات العلمية التي نظمها وكذا الكتب الفردية والجماعية التي أصدرها بالإضافة إلى المجلات العلمية الدولية التي يصدرها وفيما يلي بيان لأهم الأنشطة البحثية التي قام بها المركز منذ إنطلاقته الرسمية إلى غاية يومنا هذا:

أولا: **التظاهرات العلمية:**

- **أبرز التظاهرات لسنة 2016**: شهدت السنة البحثية لسنة 2016 بمركز البحث في العوم الإسلامية والحضارة عدة انشطة وفعاليات علمية تخدم القرآن الكريم واللغة العربية نذكر أهمها[15]:

- أيام دراسية من تنظيم الفرق البحثية الثمانية الموجودة بالمركز.

- محاضرة من إلقاء: أ د. شريفن مصطفى بعنوان: ظاهرة التكرار في القــرآن الكريم، كوجه من أوجه الإعجاز بمدرج المركز بتاريخ: (16 جوان 2016).

- الملتقى الدولي الحادي عشر: البعد الصوفي والتّحديات المعاصرة من تنظــيم الزاوية التجانية الكبرى بالشراكة مع مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بتاريخ: (27-28 جويلية 2016).

- عمل لقسم تقويم مشاريع البحث للوكالة الموضوعاتية للبحــث فــي العلــوم والتكنولوجيا تم فيها: تقييم الحصيلة النصف مرحلية (سنوية) لمشاريع الباحثين مــن مختلف جامعات ومخابر الوطن وجرت بتاريخ: (19 سبتمبر2016).

- ندوة حول: القيمة الحضارية لفكر مالك بن نبي بتاريخ: (16 نوفمبر 2016).

- **أبرز التظاهرات لسنة 2017:** شهدت السنة البحثية لسنة 2017 بمركز البحث في العوم الإسلامية والحضارة عدة انشطة وفعاليات علمية تخدم القــرآن الكــريم واللغة العربية نذكر أهمها[16]:

- أيام دراسية من تنظيم الفرق البحثية الثمانية الموجودة بالمركز.

- ملتقى وطني موسوم بـــــــ: المجالس العلمية من تنظيم مديريــة الشّــؤون الدينية والأوقاف لولاية الأغواط بتاريخ: (06 فيفري 2017).

- محاضرة من إلقاء: د. عائشة المناعي عميدة كلية الشريعة بجامعــة الدوحــة بدولة قطر بعنوان: الإسلام دين الحضارة والتسامح والحوار الإيجابي مــع الغيــر بمدرج المركز بتاريخ: (26 مارس 2017).

- ملتقى وطني موسوم بــــ: إشكالية مناهج البحث في العلوم الإنسانية بتاريخ: (25 ديسمبر 2017).

- **أبرز التظاهرات لسنة 2018:** شهدت السنة البحثية لسنة 2018 بمركز البحث في العوم الإسلامية والحضارة عدة انشطة وفعاليات علمية تخدم القــرآن الكــريم واللغة العربية نذكر أهمها[17]:

- أيام دراسية من تنظيم الفرق البحثية الثمانية الموجودة بالمركز.

- ملتقى وطني الموسوم بـــــــ دور اللغة العربيــة فــي ترسـية التنميـة الاقتصادية والاجتماعية، من تنظيم مشترك بين كل من: المديرية العامـــة للبحــث العلمي والتطوير التكنولوجي والمجلس الأعلى للغة العربية، ومركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، ومركز البحث في العلــوم الإســلامية والحضـــارة بتاريخ: (04 مارس 2018).

- محاضرة علمية من تقديم: أ د . زغلول النجار الموســومة بـــأثر الإعجـــاز العلمي في الإقلاع الحضاري بمدرج المركز بتاريخ: (18 أفريل 2018).

- المؤتمر الدولي الموسوم بـــــــ: آفاق الإعجاز العلمي في القـــرآن والســـنة المنعقد يومي: (02–03 ديسمبر 2018).

- **أبرز التظاهرات لسنة 2019:** على غير العادة لم تشهد السنة البحثية لســنة 2019 بمركز البحث في العوم الإسلامية والحضارة نشاط كبير بسبب الظــروف السياسية التي تمر بها البلاد (الحراك الشعبي المبـــارك)، بحيـــث إضـــطرت إدارة المركز إلى تأجيل عدة فعاليات وطنية ودولية، ومن الفعاليات التي نظمها المركـــز خلال هذه الفترة:

- أيام دراسية من تنظيم الفرق البحثية الثمانية الموجودة بالمركز.

- ندوة وطنية موسومة بـــــــــ: الأسس المعرفية للبحث في العلوم الإنســانية المنعقدة بتاريخ: (14 فيفري 2019).

- في ليلة رمضانية مباركة موافقة لذكرى فتح مكة المبين (20 رمضان 1440 هــــــ)، تشرّف المركز بزيارة كوكبة من المشايخ من بعض الدول الشقيقة، وهم السادة الأفاضل: (الشيخ الغالي خليل عمر تشاد)، (الشــيخ المختــار بــن حمــاد موريتانيا)، (الشيخ ابراهيم ابا موريتانيا)، (الشيخ نصر الله شعيب مصــر)، (عبــد السلام عزمي مصر)، وفي حضور الســلطات الولائيــة والأســتاذة والبــاحثين واطارات الشؤون الدينية والمهتمين، ألقى فضيلة (الشيخ الغالي خليل عمــر مــن تشاد) محاضرة قيمة بعنوان: "فتح مكة نصر وتعزيز لوحدة الأمة وتماسكها"، حيث سلّط الضوء فيها على أبرز محطات هذا الحدث العظيم، هذه المحطات التــي قــدّم فيها الرحمة المهداة رسول الله عليه الصلاة والسلام دروسا للمسلمين عبر الأزمان، وما يستوحى منها من قيّم الصبر، التســامح، العفــو، الحلــم، الرفــق، الســلام والآمان... قيّم مذيبة للأحقاد معينة على التواد، موحدة للأمة، وما أحوج المسلمين إلى هذه الدروس والعظات والعبر، في ظل الواقع المعيش للمجتمعات الاســلامية، لتكون تلك القيم مفاتيحا للتغيير السليم الايجابي، الموصــل إلــى عتبــات الرقــي والريادة.

وعلى هامش هذا المحفل العلمي والديني، نظم المركز معرضــين للمصــحف الشريف، وللخط العربي، وكان الاختتام بسلسلة من التكريمات.

- ندوة علمية موسومة بـــــــ: الحراك الشعبي ومسألة الحوار الوطني، تحــت شعار من أجل حوار وطني هادف وفعّال، المنعقد يوم (الخميس 25 رمضان 1440 الموافق لـــــــــ: 30 ماي 2019).

- الملتقى الوطني الموسوم بـــــ: خطاب الكراهية في أوساط الشباب – قــراء في الأسباب وآليات التجاوز المنعقد يوم: 29 سبتمبر 2019.

- الملتقى الوطني الموسوم بـــــ: البناء الحضاري في فكر مالك بن نبي بـــين النظرية والتطبيق المنعقد يوم: 06 أكتوبر 2019.

- الـــمؤتمر الدولي الموسوم بـــــ: السياحة الدينية في الجزائر وطرق تفعيلهـــا المنعقد يومي 13-14 أكتوبر 2019. - الندوة الوطنية الموسومة بـــــ: الحضـــــارة الإسلامية من الخصوصية إلى الكونية في إطار تصوري لهوية حضارية المنعقـــدة يوم: 15 ديسمبر 2019.

- **أبرز التظاهرات لسنة 2020:** لغاية الآن تم عقد جملة من التظاهرات العلمية أهمها:

- الندوة الوطنية الموسومة بـــــ: دور الاســـتراتيجية الأســـرية فـــي التنشـــئة الاجتماعية وأثرها في الإنماء الاجتماعي المنعقدة يوم: 15 جانفي 2020.

- يوم دراسي: نقل وزراعة الأعضاء البشرية بين الضرورة الطبية والضوابط الشرعية المنعقد يوم: 29 جانفي 2020.

- الندوة الوطنية الموسومة بـــــ: التجربة الروحية الصوفية في التعامل مـــع القرآن الكريم المنعقدة يوم: 19 فيفري 2020.

- ملتقى وطني إلكتروني موسوم بـــــــــ: سؤالات الأوبئـــة فـــي الماضـــي والحاضر والمستقبل المنعقد يوم: الأحد 19 أفريل 2020.

ثانيا: الكتب الفردية والجماعية والمجلات:

1- الكتب الفردية: قام مركز البحث في العوم الإسلامية والحضـــارية بطبـــع جملة من المؤلفات الفردية وهي مبينة في الجدول الآتي[18]:

الرقم	عنوان الكتاب	المؤلف
01	الميراث	عيسى شقنان
02	وما ينطق عن الهوى	أبو بكر الشنافي
03	ديوان الشاعر حسن حموتن	المبروك زيد الخير
04	Le droit humanitaire islamique	مصطفى خياطي
05	Alimentation en islam	مصطفى خياطي
06	قضايا طبية معاصرة من منظور إيثيقي الجنين والجين والمجين	عبدالحفيظ أوسكين
07	أهلية الطبيب وأهميتها في السلامة من الأخطـــاء الطبية	عبدالقادر جعفر جعفر

2- **الكتب الجماعيــة:** قام مركز البحث في العوم الإسلامية والحضارية بطبــع جملة من الكتب الجماعية الوطنية والدولية، تحــت إشــراف الأســاتذة البــاحثين بالمركز، وهي مبينة في الجدول الآتي[19]:

الرقم	عنوان الكتاب	المحرر والمشرف
01	الحوار الديني وقضايا التجديد في الفكر الاسلامي المعاصر	بشير بلحبيب
02	الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر	خبيزي محمد
03	مشكلات الصحة النفسية للأطفــال فــي الجزائــر " الواقع والحلول"	برغوثي توفيق
04	التغير الاجتماعي في الوطن العربي المعاصر	سمية سعال
05	الصناعة المالية للاقتصاد الإسلامي (جزئين)	السبع فاطمة
06	المدارس التعليمية في الجزائر خلال فترة الإحــتلال الفرنسي (1830- 1962) (جزئين)	عمراني بلخير
07	حقوق الطفل وحمايته في الشريعة والقانون(جزئين)	شلباك سليمان
08	سؤال الإعجاز بين الأصالة والتجديد	حسيني مختار
09	مصادر تاريخ الجزائر عبر العصور	شودار مبارك
10	تحولات المدينة الصحراوية الجزائرية (جزئين)	شتاتحة أم الخير
11	المؤسسة الدينية والتعايش الحضاري في أوروبا الغربية	جغيدل السعيد
12	المصطلح بين الصناعة والترجمة قضايا وآفاق	محمد الفاروق عاجب
13	تعليمية العلوم الإسلامية بالتعليم الجامعي النظرية والتطبيق	محمــــــد الفــــــاروق عاجب/عمر بن عيشوش

3- **المجلات العلميـــة:** لحد الآن تصدر من مركز البحث في العلوم الإســـلامية والحضارة أربع مجلات علمية هي[20]:

- مجلة العلوم الاسلامية والحضارة 10 أعداد.
- مجلة النوازل الفقهية والقانونية 4 أعداد.
- مجلة العرفان للدراسات الصوفية عدد 1.
- مجلة الدراسات الاجتماعية 5 أعداد.

ثالثا: الشراكات البحثيــة: بالنسبة للشراكات الوطنية للمركز حالياً أكثر من 12 إتفاقية شراكة بحثية على المستوى الوطني، وهي[21]:

1- المركز الجامعي لتمنراست.

2- جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف.

3- جامعة أحمد دراية أدرار.

4- جامعة غرداية.

5- معهد علم الآثار جامعة الجزائر.

6- جامعة يحي فارس المدية

7- جامعة عمار ثليجي الأغواط.

8- المدرسة العليا للأساتذة الأغواط.

9- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

10- الوكالة الموضوعاتية للبحث في علوم الصحة.

11- مديرية الثقافة لولاية الأغواط.

12- مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.

13- مديرية التربية لولاية الأغواط.

خاتمة:

بعون الله وتوفيقه أتممت هذه المداخلة الموسومة بـــــــــــ: مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط ودوره في خدمة القرآن الكريم واللغة العربية وفيما يلي بيان لأهم النتائج والتوصيات التي انتهت إليها هذه الدراسة:

أولاً: النتائج:

1- يعد مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضـــارة بـــالأغواط، المركـــز الوحيد عبر التراب الوطني المتخصص في البحث فـــي العلـــوم الإســـلامية والحضارة، الذي استقطب كفاءات وطنية في مختلف التخصصات.

2- رغم حداثة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (حوالي أربع سنوات فقط) إلا أنه قام بنشاط بحثي معتبر، يستحق الثناء والتشجيع للمضي قدماً.

3- يضم المركز أربعة أقسام هي: قسم الدراسات القرآنية والفقهية، قسم الفكـــر والعقيدة والحوار مع الغير، قسم التاريخ الثقافي للجزائر، قسم الحضارة الإسلامية.

4- يسعى الطاقم البحثي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضـــارة بـــالأغواط جاهداً لخدمة القرآن الكريم واللغة العربية، وتقديم الصورة الصحيحة للدين الإسلامي.

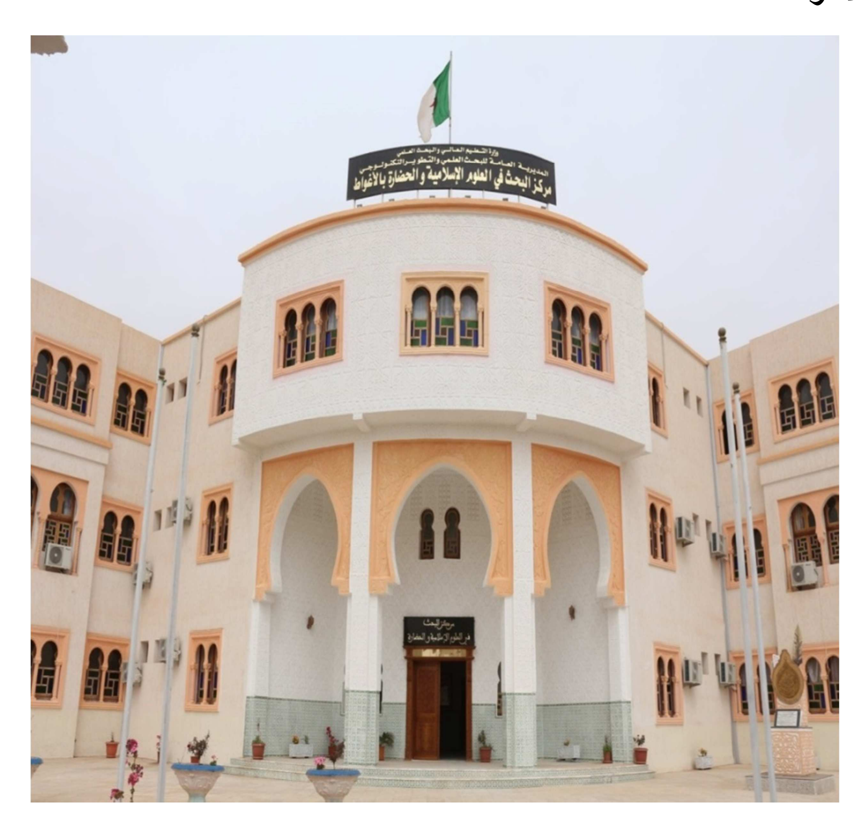
ثانياً: التوصيات:

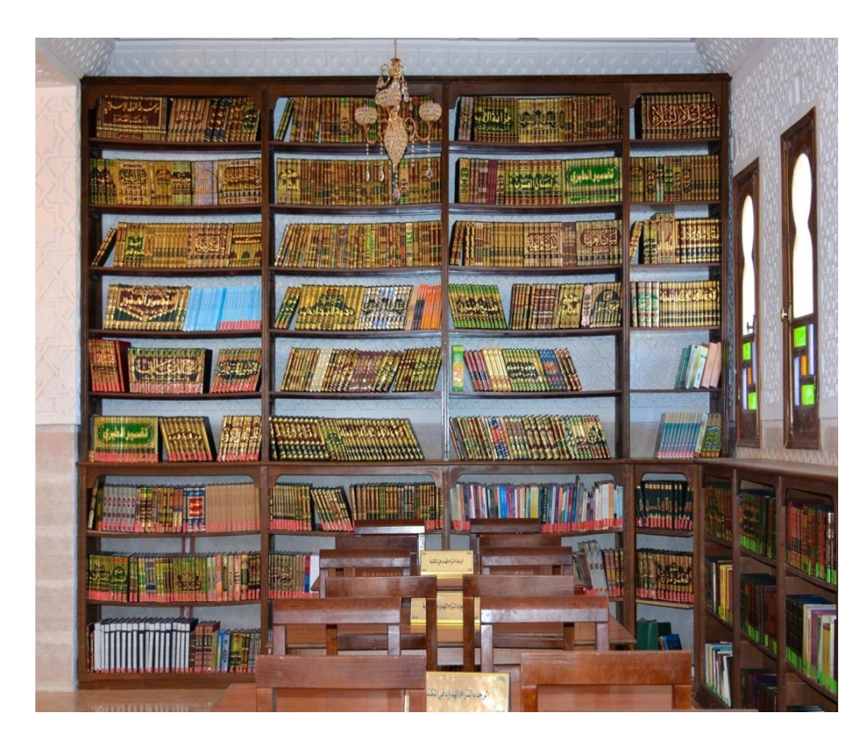
1- على الوزارة الوصية توفير السكن الوظيفي للأســـاتذة البـــاحثين، لتـــوفير الاستقرار لهم ليتفرغوا للبحث العلمي الجاد.

2- ضرورة التنسيق بين وزارة الشؤون الدينية والمجلس الأعلى للغة العربية والمجلس الإسلامي الأعلى ومركز البحث في العوم الإسلامية والحضارة بالأغواط لإنجاز مشاريع بحثية مشتركة وتظاهرات علمية وطنية ودولية.

3- على إدارة المركز عدة شراكات مع مراكز البحث في العلوم الإنسانية في الخارج بغرض الإستفادة من التجارب وتبادل الخبرات وتكوين الأساتذة الباحثين.

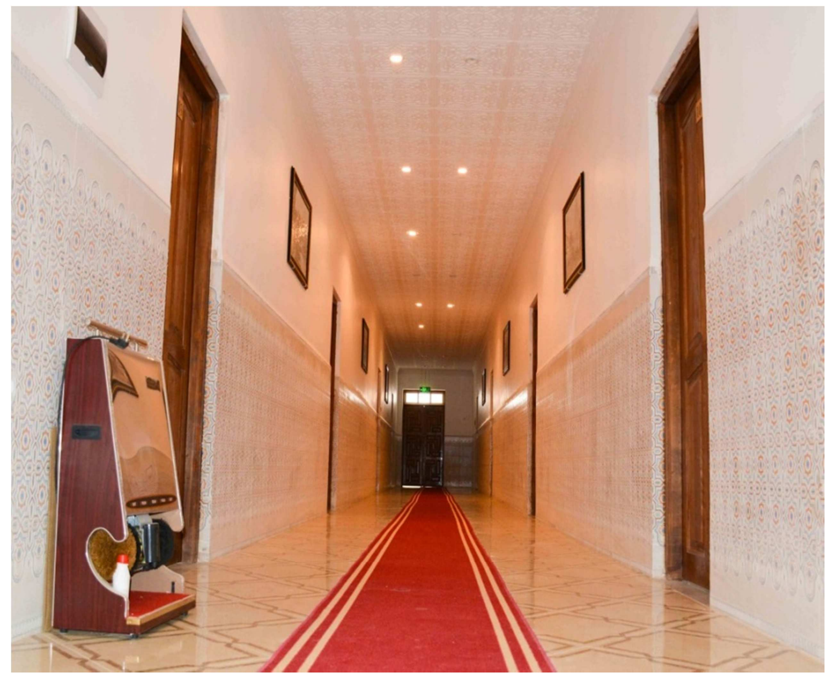
ملاحق صور لمرافق مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط[22]:






جناح الضيوف

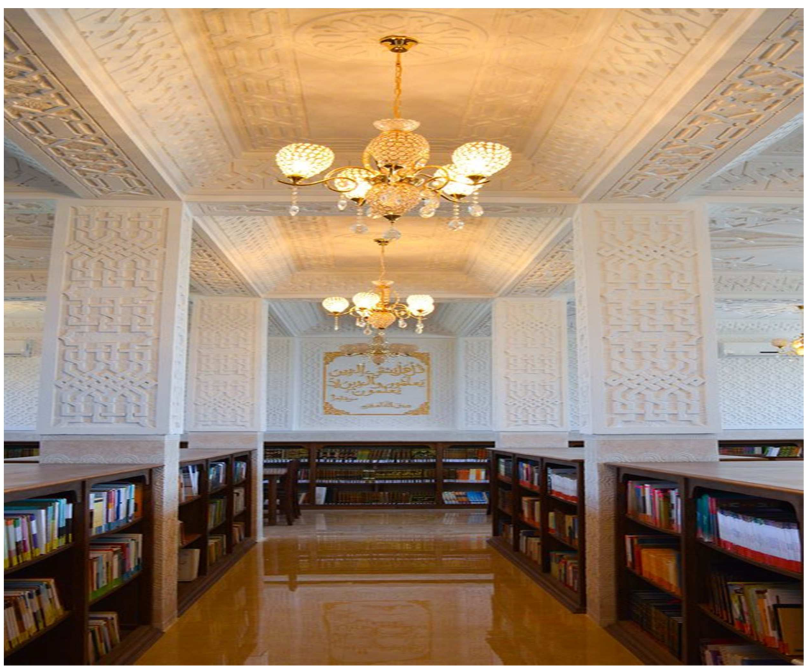
















الهوامش:

---

[1] المادة 01، من المرسوم التنفيذي رقم 15– 136 المتضمن إنشاء مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة المؤرخ في 4شعبان عام 1436 هـ الموافق لـ: 23 ماي 2015م، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ: 03 يونيو 2015، عدد 30.

[2] انظر: المادة 08، من القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 28شوال عام1439 هـ الموافق لـ: 12 يوليو 2018م، المتضمن التنظيم الداخلي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ: 05 سبتمبر 2018، عدد54.

[3] انظر: المادة 08 فقرة 02، المرجع نفسه.

[4] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة: http://www.crsic.dz، محاور البحث، تاريخ تصف الموقع: 2019/08/04 على الساعة: 11.00 صباحاً.

[5] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[6] انظر: المادة 08 فقرة 03، من القرار الوزاري المشترك، مرجع سابق

[7] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[8] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[9] انظر: المادة 08 فقرة 04، من القرار الوزاري المشترك، مرجع سابق

[10] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[11] انظر: المرجع نفسه.

[12] انظر: المادة 08 فقرة 05، من القرار الوزاري المشترك، مرجع سابق

[13] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[14] انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

[15] مقابلة شخصية مع الأستاذ: شوشة حرز الله: رئيس مصلحة، في مكتبه بتاريخ 04 أوت 2019 على الساعة 10.00 صباحاً.

(16) مقابلة شخصية مع الأستاذ: شوشة حرز الله: رئيس مصلحة متابعة مشاريع البحث، بمكتبه، بتاريخ 04 أوت 2019 على الساعة 10.00 صباحاً.

(17) المرجع نفسه.

(18) مقابلة شخصية مع الأستاذ: شوشة حرز الله، مرجع سابق.

(19) مقابلة شخصية مع الأستاذ: شوشة حرز الله، مرجع سابق.

(20) مقابلة شخصية مع الأستاذ: شوشة حرز الله، مرجع سابق.

(21) انظر: الموقع الرسمي لمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مرجع سابق.

(22) المصدر: تم تحميل الصور من الصفحة الرسمية لمركز البحث على موقع التواصل الإجتماعي فيسبوك.

https://www.facebook.com/crsiclagh03/?epa=SEARCH_BOX

جُهُوْدُ عُلَمَاءِ اَلْجَزَائِرِ في الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم
_ خصائص ونماذج _

د. منير زيباني
كلية العلوم الإسلامية، خروبة الجزائر.

المقدِّمة: الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدًا رسول الله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وبعد:

هَا نَحْنُ اَلْيَوْمَ نُشَارِكُ فِيْ هَذَا اَلْمُلْتَقَى اَلْعِلْمِيِّ اَلَّذِيْ مَوْضُوعُهُ: **(اَلْقُرْآنُ اَلْكَرِيْمُ وَاَللُّغَةُ اَلْعَرَبِيَةُ)**، وهُوَ جُهْدٌ مُبَارَكٌ يُذْكَرُ فَيُشْكَرُ، وَسَبْقٌ وَرِيَادَةٌ فِيْ خِدْمَةِ اَلتَّفْسِيرِ مِنْ نَاحِيَةٍ أُولَى وَأَوْلَى، وَاَلأُخْرَى خِدْمَةٌ لِبَيَانِ جُهُودِ عُلَمَاءِ هَذَا اَلْبَلَدِ اَلْمِعْطَاء، فَكُلُّ هَذِهِ اَلْجُهُوْدُ مِمَّا تُسَجَّلُ وَتُقَدَّرُ، فَلَهُمْ مِنِّي فَائِقَ عِبَارَاتِ اَلشُّكْرِ وَاَلثَّنَاءِ اَلْجَمِيلِ عَلَى هَذَا اَلْجُهْدِ اَلنَّبِيلِ وَاَلْعَمَلِ اَلْجَلِيلِ.

ولَهُمْ مِنِّي شُكْرٌ خَاصٌّ فِيْ قَبُولِ مُدَاخَلَتِيْ اَلَّتِيْ هِيَ مُشَارَكَةٌ بِاَلْقَلِيلِ، وَاَلْجُهْدِ اَلْمُقِلِّ، فِيْ هَذَا اَلْمُلْتَقَى اَلْعِلْمِيّ حِرْصًا مِنِّيْ عَلَى أَنْ أُصِيْبَ بِسَهْمٍ فِيْ هَذَا اَلْخَيْرِ، فَكَانَتْ هَذِهِ اَلدِّرَاسَةُ اَلْمَوْسُوْمَةُ بِـ(جُهُوْدِ عُلَمَاءِ اَلْجَزَائِرِ فِيْ اَلدَّرْسِ اَلشَّفَوِيِّ لِتَفْسِيْرِ اَلْقُرْآنِ اَلْعَظِيْمِ _خَصَائِصٌ وَنَمَاذِجٌ_) اَلَّذِيْ هُوَ ضِمْنَ أَحَدِ مَحَاوِرِ هَذَا اَلْمُلْتَقَى.

مدخل للموضوع وبيان أهمية: يَقُولُ اَلإِمَامُ ابْنُ بَادِيسَ-/-: «**إِنَّ اَلطِّيْنَةَ اَلْجَزَائِرِيَّةَ طِيْنَةُ عِلْمٍ وَذَكَاءٍ إِذَا وَاتَتْهَا اَلظُّرُوفُ.**»[1]

فَلَيْسَ هُنَاكَ فَنٌ مِنْ فُنُونِ اَلْعِلْمِ إِلاَّ وَقَدْ وَلِجَهُ عُلَمَاءُ اَلْجَزَائِرِ؛ إِذَا وَاتَتْهُمْ اَلظُّرُوفُ، فَبَرِعُوْا فِيهَا، وَقَدَّمُوْا لِلأُمَّةِ اَلإِسْلاَمِيَةِ جُهُودًا مُعْتَبَرَةً لاَ تُنْكَرُ فِيْ شَتَّى

اَلْعُلُومِ مِنَ اَلْفِقْهِ وَأُصُولِهِ، وَاَلْحَدِيث وَشُرُوحِهِ، وَاَلْقِرَاءَاتِ وَعُلُومِ اَلْقُرْآنِ اَلأُخْرَى، وَاَللُّغَةِ وَعُلُومِهَا؛ وَغَيرِهَا مِنْ فُنُونِ عُلُومِ اَلْشَّرِيعَةِ. وَمِمَّا لاَ رَيْبَ أَنَّ عُلَمَاءَ اَلْجَزَائِرِ أسهَمُوْا فِيْ خِدْمَةِ تَفْسِيرِ اَلْقُرْآنِ وَعُلُومِ اَللُّغَةِ اَلْعَرَبِيَةِ، إلاَّ أَنَّ جُهُودَهُمْ تَنَوَّعَتْ مِنَ اَلتَّأْلِيفِ إِلَى اَلْتَّدْرِيسِ، وَعِنْدَ بَعْضِهِمْ مِنْ اَلْتَدْرِيسِ إِلَى اَلْتَّأْلِيفِ فِيْ هَذَا اَلْعِلْم، وَبَعْضٍ مِنْهُمْ اكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ اَلآخَرِ.

أهمية الموضوع: لما كانت جُهُوْد عُلَمَاء اَلْجَزَائِرِ فِيْ اَلْدَّرْسِ اَلْشَّفَوِيِّ لِتَفْسِيْرِ اَلْقُرْآَنِ اَلْكريم جزء من التُّراث الذي هو من هويَّتنا وأَصالتِنا، وذاكرة ونافذة نطلُّ مِن خِلالها على ماضينا، وخزانةً اجتمَعت فيها كلُّ مكوِّنات هذِه الأُمَّة مِن قيَمٍ حَضارية وأَنماطٍ فِكرية، صارَت العِنايةُ به عِندَ العقلاءِ الذين يَهتمُّون بالتفسير وعلومه من ناحية ومن أخرى الذين جعلوا إبراز جهود علماء الجزار العلمية مِن أَولوياتِ انشِغالاتهم وفي مُقدِّمةِ اهتماماتهم، ذلك لأنَّ سِنَّ الرُّشدِ عِندَ الأُممِ المتمدِّنة إنَّما يقاسُ بِمَدى العِناية التي تُوليها كلّ أُمَّة بتاريخها وتُراثها، وما تُنفِقُه مِن حرِّ أَوقاتِها في سَبيلِ ذلك، وإنَّ دَرجةَ الاهتمامِ بهذا الجانبِ ينمُّ عَن مَنزلةِ الوَعيِ الذي تَبلغُه كلُّ أمَّة، فَباتَ مِن المقرّرِ أنَّ كلَّ مَن تَنكَّر لماضِيه وطوَى أَمجادَ ما صنَعتهُ الأَجداد، وتَخلّى عَن الحصانةِ التي تَربِطُه بِهَويَّته، فقَد أسهمَ بِحظٍّ وافرٍ في رَسمِ مسارِ ضَياعِه، وانصِهارِه وذَوبانِه في غَيره.

وأهداف الموضوع: تحقيق المقاصد الآتية:

المقصد الأوَّل: التعريف بجهود علماء بلادنا في هذا الجانب من التفاسير، **مع** إبراز شأنهم في التأسيس لعلم التفسير في منطقة المغرب العربي.

المقصد الثّاني: وظائف الدروس التفسيرية، وقيمتها العلمية والتربوية.

المقصد الثالث: خصائص هذه الدروس التفسيرية، ووجه الاستفادة منها.

ومن أسباب اختياري لِهَذَا الموضوع: أَنّنِي وَقَفْتُ وَأَنَــا أَقْــرَأُ كِتَــابَ "**تَــارِيخ اَلْجَزَائِرِ اَلثَّقَافِيْ**" لِلْدُّكْتُورِ أَبُوْ اَلْقَاسِمِ سَعْد الله-/- فِيْ كَلاَمِهِ عَلَى مَجَــالِسِ بَعْــضِ عُلَمَاءِ اَلْجَزَائِرِ فِيْ اَلتَّفْسِيرِ، فَأَحْبَبْتُ خَوْضَ غِمَار اَلْبَحْثِ فِيهِ.

إِضَافَةً إِلَى أَسْبَابٍ ذَاتِيَةٍ: أَبْرَزُهَا أَنَّ تَخَصُّصِي اَلْعَامِ هُوَ كِتَاب وَسُنَّة وَقَدْ كُنْــتُ اتَّجَهْتُ مِنَ اَلنَّاحِيَةِ اَلأَكَادِيمِيَةِ إلى الحقل الحديثي الفقهي فــأردت أن أتوســع فــي التّخصص ليشمل التّفسير وعلوم القرآن الأخرى وعلى الله التُّكلان.

لذا كانت الإشكالية:_إلى أي مدى اعتنى علماؤنا بهذا الجانب من أنواع تفســير القرآن العظيم؟ وكيف يمكن الإفادة منها؟ وما غرضهم منها؟ ومن هم أبرز علمــاء الجزائر الذين انتهجوا هذا المنهج؟ وما هي مناهجهم فيها؟ وما حاجتنا اليوم إليهــا؟ وغيرها من الإشكالات التي تصب في هذا المجال...

المنهج المتبع فيه: لم أعتمد منهجا؛ لأن طبيعة الدراسة اســتلزمت فــي بعــض المباحث أن أعتمد المنهج الاستقرائي بصورة أكبر، وفي أخــرى أن أعتمــد المــنهج التحليلي، لكن بصورة إجمالية كان للمنهج الاستقرائي أكبر نصــيب، تــلاه المــنهج التحليلي الوصفي: حيث يقوم على وصف مادة بعض التفاسير عند علماء الجزائر.

ثم المنهج التاريخي إذ هذه الدراسة عبارة عن غوص فــي فتــرات تاريخيــة متنوعة، على رقعة ترابية واحدة وهي الجزائر، مع الإشارة إلــى بعــض علمــاء الجزائر الذين فسروا القرآن خارج الجزائر.

منهجية البحث: حيث اتبعت منهجية أكاديمية لتنظيم البحث وتحريره.

خطة البحث: حيث اشتملت على مقدّمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، أمَّا المقدمــة: ضمّنتها بيانا لعناصرها، ثمَ أتناول في **المبحث الأوّل: نشأة التفسير فــي الجزائــر. وهو في ثلاثة مطالب:**

المطلب الأوّل: تصوير لهيبة مجالس الدروس التفسيرية الشفوية.

المطلب الثَّاني: نشأة الدرس التفّسيري في بلاد الجزائر.

المطلب الثَّالث: أسباب تأخر ظهور التفسير تدريسا ببلاد الجزائر والمغرب عموما.

وأُبرز في **المبحث الثاني: لنماذج من علماء الجزائر الــذين فســروا القــرآن شفويا. وهو في ثلاثة مطالب:**

المطلب الأوّل: أبو العباس المقرئ الباغائي الجزائري..

المطلب الثَّاني: الإمام ابن باديس الجزائري.

المطلب الثَّالث: الإمام البشير الإبراهيمي الجزائري.

ومن المبحثين السّابقين استخلصت **المبحث الثالث** الذي هــو فـــي: **خصـــائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن عند علماء الجزائر. وهو في ثلاثة مطالب:**

المطلب الأوّل: نتائج هذه الدروس الشفوية على الفرد والمجتمع الجزائري.

المطلب الثَّاني: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم عند علماء الجزائر.

المطلب الثَّالث: أسباب عدم وصول اكثر هذه التفاسير إلينا.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها الخلاصة مع أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأوّل:

نشأة التفّسير في بلاد الجزائر وأسباب تأخر ظهوره:

المطلب الأوّل: تصوير لهيبة مجالس الدّروس التفسيرية الشــفوية: يقـــال إنّ التّأليف في العلوم ليس كالتدريس وهذا ما جعل للتدريس والجلوس له هيبـــة فـــي نفوس طلبة العلم، فكان يجلس الشّيخ على كرسيه الخشبي المرتفع عن الطلبة؛ وفي ذلك حكم بالغة من الفوائد التَّعليميَّة وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، فيمكن للشّيخ أن يراقـــب

سلوكيات جميع الطلبة، ولَفِّ انْتِبَاههمْ، وَفِيْ اَلْمُقَابِلِ اَلْطَّلَبَةُ يُمْكِنُهُمْ اَلنَّظَرُ إِلَى اَلْشَّيْخِ كَدَلاَلَةٍ رَمْزِيَّةٍ، وكَانَ اَلْطَّلَبَةُ يَجْلِسُوْنَ مُتَحَلِّقِيْنَ حَوْلَ **شَيْخِهِمْ** اَلَّذِيْ هُوَ رَمْزُ **اَلْهَيْبَةِ وَاَلْاِحْتِرَامِ**، مُتَرَبِعِيْنَ فِيْ جَلْسَتِهِمْ، عَلَى اَلْحَصِيرِ، وكَانَتْ هَذِهِ اَلْحَلَقَاتُ تَبْدَأُ بِأَمْرِ اَلْشَّيْخِ أَحَدَ طَلَبَتِهِ بِقِرَاءَةِ اَلْنَص اَلْمُرَاد، وكَانَ يُسَمَّى اَلْطَالِبُ اَلَّذِيْ يَقْرَأُ اَلْنَّصَّ **بِاَلْدُوَانِ**، وَهُوَ خَاصٌّ بِاَلْشَّيْخِ إِمّا فِيْ دَرْسٍ بِعَيْنِهِ أَوْ فِيْ جَمِيعِ دُرُوْسِهِ، هذه هي الطّريقة التّقليدية التي كانت تدفع الطلبة إلى التّشوق إلى الدّرس التفسيري، لما فيها من فوائد كثيرة، ومكاسب علمية وسلوكيّة نحن في أشدّ الحاجة اليوم إليها.

ومما لفت انتباهي مقالا للشيخ الجيلالي الفاسي-/-[2] في جريدة البصائر[3] حيث تحدث بإسهاب عن رسالة المعلم في التلقين والتهذيب والتوجيه والتربية السلوكية والأخلاقية والإيمانية، حيث بيَّن المكانة الرفيعة للمعلم في المجتمع، وعلاقة المعلم بالمتعلم، قال-/-: «من الصفات التي تكون هي لحمة الأبوة بين المعلم والمتعلم التي تخلق جوًّا صافيًّا من المودة والاحترام»، إلى أن يقول-/-: «هي رسالة تهذيبية تثقيفية تعتمد على صحة المعلومات وقوة الروح ومتانة الأخلاق»، بل ويزيد -/-: «ترتفع رسالة المعلم في إصلاح النفوس وتهذيبها حتى تشارف رسالة الوحي في إنشاء الأمّة وتكونها ... والمعلم في غايته من وظيفته الكليّة في الإصلاح والتّجديد والتلقين يداني من منزلة الرسول»، نعم صدق.

وكان جُلّ هذه الدُّروس تقام في المسجد؛ حيث كانا شعاع نور الأمّة، حيث يقول الإمام المفسر عبد الرّحمان شيبان-/-: «إنّ للمسجد في الإسلام تاريخا عظيمًا، فهو المنارة الهادية إلى الخير في جميع المجالات، يغذي العقيدة ويغرس الفضيلة ويدعو إلى الأخيرة والوحدة التي بها تكون المناعة والعزة والكرامة»[4]، وهذه الطريقة نتج بفضلها الخير الكثير، إلاّ أنّ من أعظم ما يستوقفنا في موضوع هذه المداخلة ما خلفته من ضياع كبير في المقابل لكثيرٍ من الدّروس التي لم تقيّد، فإنّ في ضياع القيد

ضياع للصّيد، فلمّا لم تقيد هذه التّفاسير ضاعت عنّا إلاّ ما قيّد منها، وسـيأتي بيـان ذلك في **أسباب عدم وصول هذه التفاسير الشّفوية للقرآن العظيم** إلينا.

المطلب الثَّاني: نشأة الدَّرس التفّسيري في بلاد الجزائر:

إشكالية المبحث: في البداية هناك سؤال يطرح نفسه، وهو: متـى رأى **التفّسـير تدريسا** النور بربوع الجزائر؟ وما بوادره الأولى؟

الباحث عن البدايات الأولى لنشأة وظهور التفّسير تأليفا وتدريسا في بلاد الجزائر، يجد صعوبة في تحديد الفترة الزمّنية الدقيقة التيّ نشأ بها، إلاَّ أنَّهُ يمكن القول إن الفـتح المبكر لبلاد المغرب العربي عموما حمل معه بوادر التفّسير، وأقصد بهذا أنّ تعلـيم القرآن لأهالي هذه البلاد التي فتحت لا يمكن أن يخلو من تفسيره لهم.

والواقع أنّ هناك حقيقة بارزة لا غبار عليها، وهي أن بلاد الجزائر بعد فتحهـا فـي القرون الهجرية الأولى اهتمت أكثر باللّغة العربية وقواعدها لأنَّ أهالي المنطقة مِمَّنْ كَانُوْا يَتَكَلَمُونَ بِاَللُّغَةِ البربرية باختلاف لهجاتها، وبعض اللُّغات اللاَتينيَّة؛ كما هـو مدوّن تاريخيا، ثم جاء الاهتمام بالفقه المالكي خاصة وقواعده وأصـوله، وبحفـظ القرآن وتجويده وضبطه.

أمَّا الاهتمام بالتفّسير فكان في مستوى أقل وَهَذَا كَنَظيره فـي البلـدان المغربيـة الأخرى، ورغم هذا فإنَّهُمْ لم يهملوا تفسير القرآن، حيث ازدهر وتميزّ بداية من القرن السَّادس الهجري، فعرف أسماء لامعة، وتفاسير متميزة في بلاد الجزائر قد تكلم عنها بعض الدّارسين، إلاَّ أنَّ الذي استوقفني هنا هل حديثهم عـن **<u>نشـأة التَّفسـير فـي الجزائر يشمل التَّفسير تدريسًا كذلك؟</u>**

فإذا سلّمنا أنّ أوّل تفسير في بلاد الجزائر -تأليفا- هو لـ**عبد الرَّحمان بن رستم(ت171ه)**: مؤسس الدولة الرستمية؛ وهي دولة إباضية أقامها عبد الرحمن بن رستم وأبناؤه من سنة 160 للهجرة إلى سنة 296 للهجرة.[5]

ثمَّ تفسير **هود بن محكم الهواري الأوراسي (250ه)**: وهو من علماء القرن الثالث الهجري، وهذا التفسير طبع بتحقيق الأستاذ السّعيد شريفي.

ثمّ يذكرون تفسير **أحمد بن نصر الداودي التّلمساني (ت402ه)**: الذي قيل إنّ لهُ تفسيرا للقرآن الكريم كاملا تأليفا.[6]

ثمّ تفسير **مروان بن علي الأسدي أبو عبد الملك البوني (ت 439ه)**: من عنابة، وهو كذلك تأليفا.[7]

إلى أن يُذْكَر تفسير أحمد الباغائي (354هـ، ت461هـ) (956م، 1011م):

اسمه ومولده: أحمد الباغائي، المكنى بأبي العباس، ولد 354ه، **توفي 461 هـ.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: قام بتفسير القرآن **تدريسا** في جامع قرطبة، وناهيك بمكانة هذا المسجد في ذلك الوقت، وذكره ياقوت الحموي في المعجم بقوله: "كان لا نظير له في علوم القرآن".

ثمَّ نجد ذكرا في كتب التراجم لـ **محمد بن يوسف بن عمران، أبو عبد الله،** حيث درس التفسير وألف فيه كتابا وصل إلى سورة الفتح.

ثمّ يصل بنا الحال إلى **أبي زكرياء يحيى بن علي الزَّوَاويّ (ت611ه):**

اسمه ونسبه ومولده ووفاته: يحيى بن علي الزَّوَاويّ[8]، **(ت611هـ).**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي فسر القرآن تدريسا بالجامع ولم يكمله.[9]

ناصر الدين، منصور بن أحمد المشدالي[10] الزواوي (ت731ه):

اسمه ونسبه ومولده ووفاته: ناصر الدين، منصور بن أحمد بن عبد الحق بن سدرحان بن فلاح المشدالي الزواوي، ولد في 631هـ إحدى وثلاثين وستمائة وتوفي سنة 731هـ، إحدى وثلاثين وسبعمائة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس تفسير كتاب الله وحديث الرسول ﷺ. (11)

أبو الروح المشهور بابن يحيى السكلاني الجميري الزواوي (ت743ه):

اسمه ونسبه ومولده: عيسى المشهور بابن يحيى السكلاني الجميري الزواوي، بزواوة سنة 644 هـ، والمتوفى بالقاهرة عام 743هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن تدريسا بمصر والشام.

ثمّ إبراهيم الزّواوي (ت857 هـ-1453م):

اسمه ونسبه ومولده ووفاته: هو إبراهيم بن فائد بن موسى بن علال بن سعيد النبروني، الزواري، النجار، القسنطيني الدار، المالكي ولد سنة 796هـ- 1394م، وتوفي في حدود سنة 857هـ- 1453م.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي درس التفسير في بجاية التي استوطنها.

الإمام أبو الفضل محمد المشدالي (ت864هـ):

اسمه ومولده: محمد المشدالي ولد ببجاية سنة 822هـ.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في القاهرة بعد أن استقر بها، قال عنه الإمام السخاوي في الضوء اللامع: "حضرت درسه في الأزهر فظهر لي أنني ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه" ثم قال أيضا: "هو آية أبرزه الله في هذا العصر للعباد" وقال عنه الإمام ابن شاهين: "هذا الرجل لا ينبغي أن يحضر دروسه إلا حذاق العلماء".

محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني أبو عبد الله (ت 909ه):

اسمه ونسبه ومولده: محمد بن عبد الكريم **المغيلي** التلمساني، نسبة إلى حضيرة العلم والعلماء تلمسان، كان يكنى بأبي عبد الله، توفي سنة **909ه.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: عرف محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني بكثـــرة رحلاته التي كان يعقد فيها حلقات يدرّس فيها التفسير مشافهة.(12)

علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري التلمساني(972هـــ):

اسمه ونسبه ومولده: علي بن يحي السُلُكْسِيني الجاديري، **ت972هـــ.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: في مسجد أجادير، قال ابن مريم: "ويدرسه طـــوال نهاره، ولا يفتر عن الدرس إلا في وقت الصلاة والأذان..." (13)

الإمام أبو مهدي عيسى الثعالبي:

اسمه ونسبه ومولده: عيسى الثعالبي، المكنى بأبي مهدي،

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: ذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنّهُ ممـــن فســـر القرآن تدريسا عند قوله: فالوزان والأنصاري وعيسى الثعالبي كانوا أيضـــا مـــن مفسري القرآن الكريم في دروسهم. (14)

والإمام أحمد المقري في الجامع الأعظم بالعاصمة (ت1041هـــ):

اسمه ونسبه ومولده: أحمد المقري ولد **986ه–1578م. ت1041ه.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في الجامع الأعظم بالعاصمة.

القاضي أبي الحسن (ت1070ه):

اسمه ومولده: أبو الحسن علي الشريف بن أحمد، ولد 1100**ه** وت1070**ه.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي برع فيه في الجامع الكبير حتى اشتهر به وتسابق الناس على درسه.(15)

الإمام عبد الكريم الفكون، أبو محمد المتوفى سنة 1073ه:

اسمه ونسبه ومولده: عبد الكريم الفكون، أبو مُحَمَّد المتوفى سنة **1073ه.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: كان يعقد مجالس في النحو واشتهر بها ولكنه يعرج على التفسيِّر كمبحث استدلالي فقط، لذا وجدت أن الدكتور أبو القاسم سعد الله قد أشار إلى أن معظم الفنون التي كان يدرسها -الفكون- لطلابه هي النحو والتفسيِّر والفقه أثناء شرحه على ابن الحاجب، وأنه مشارك في العلوم مختص في النحو، وأن سبب اختصاصه في هذا العلم هو قلة المتشاغلين به في تلك الفترة، وصعوبته كعلم وقلة الأساتذة المدرسين له.(16)

الشيخ أبا عبد الله بن خليفة الجزائري (ت1094ه):

اسمه ونسبه ومولده: ولد بمدينة الجزائر إلاّ أنّ تاريخ ولادته لا يعلم.

شيوخه وتلاميذه: لم تذكر كتب التراجم شيوخه ولا تلاميذته غير ابن زاكور الفاسي الذي ذكره في كتابه "**نشر أزاهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان**".(17)

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن بالجامع الأعظم بالجزائر، ولم ينقطع عنه حتّى أَتَمَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ رحمه الله سنة **1094ه**، قال تلميذه ابن زاكور الفاسي: "فلما أورده أمله منهله، حضره أجله وما أمهله فاقتطفته المنية إثر بلوغ تلك الأمنية"، وأمنيته هنا هي ختمه تفسير القرآن الكريم.

يحيى بن محمد الشاوي (ت1096ه):

اسمه ونسبه ومولـــده: يحي بن محمد بن محمد بن عبد الله الشاوي، المكنى بأبي زكرياء، الملياني، نسبة إلى مليانة، ولد بها: سنة (**1030هــ**) ثلاثين وألف. وفاته: سنة (1096هــ) ست وتسعين وألف. [18]

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: درس التفسير في الجامع الأموي بدمشـــق وهـــذا استنادا لكلام تلميذه أبو المواهب: "فمرَّ على دمشق وألقى فيها العلوم من الحـــديث والتفسير والتصوف وعلوم العربية من الدروس العامة والخاصة."[19]

كما ذكر تلميذه المحبي أنّه درس عليه بالآستانة ببلاد الروم سورة الفاتحة مـــن تفسير أنوار التنزيل للبيضاوي، وأجازه فبها.[20]

عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، أبو زيد (1160ه):

اسمه ونسبه ومولده: هو عبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، نسبة إلى إقليم العلم والعلماء توات، كان يكنى بأبي زيد.

جهوده: اشتهر بعلوم كثيرة فالف ودرس وانتفع به خلق كثير في إقلـــيم تـــوات خاصة، وذكر محمّد باي بلعالم[21] أنّه داوم على تفسير القرآن تدريسا.

عبد القادر الراشدي الفرجيوي القسنطيني (ت1194ه):

اسمه ونسبه ومولده: عبد القادربن محمد بن أحنـــد بـــن المبـــارك الحســـني الراشدي الفرجيوي القسنطيني، والراشدي نسبة إلى الرواشد إحدى مداشر فرجيـــوة التي هي ضمن ولاية ميلة غرب قسنطينة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن في دروسه بجامع الكتّاني، قـــال أبـــو القاسم سعد الله–/–: «لم يعلم حتى الآن أن تفسيره جمع في كتاب ربما لأنه لم يكن يتناول التفسير بصورة منتظمة.» [22]

محمد بن محمد السَّنباوي المازوني الأزهري الأمير المازوني (ت1232ه):

اسمه ونسبه ومولده: محمد بن محمد السَّنباوي المازوني، نسبة إلى مازونة أحد مدن الشرق الجزائري وبالضبط مدينة عنابة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: اشتغل بعلوم كثيرة منها تفسير القرآن تأليفا، وتدريسا، وكانت جلّ دروسه التفسيرية الشفوية بالأزهر فلقب بالأزهري.

-ابن لؤلؤ التلمساني (أواخر القرن 12هـ):

اسم شهرته: ابن لؤلؤ التلمساني.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: والذي ختمه في الجامع الأعظم بتلمسان.

الأمير عبد القادر الجزائري 1300ه، و1883م:

اسمه ونسبه ومولده: عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار... إلى أن يصل نسبه إلى الحسن ين علي بن أبي طالب. ولد في رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف **1222هـ**، الموافق لعام **1807**م، وتوفي في 9 رجب سنة **1300هـ/ 1883م**.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: فسر القرآن دروسا شفوبة في بلدته القيظنة، بجامع الأسرة, حيث كان يفسر أصعب الآيات والشواهد وأعمقها.[23]

محمد بن يوسف إطفيِّش (ت1332هـ):

اسمه ونسبه ومولده: محمّد بن يوسف بن عيسى بن صالح إطفيش، وينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاني جد العائلة الحفصية المالكية في تونس، العدوي الجزائري. ولد سنة **(1236هـ)** ست وثلاثين ومائتين وألف. [24]

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي درس وألف في التفسير وسمى كتابه (تيسير التفسير) والذي طبع بالمكتبة العربية بالقرارة.

والذي بدأه سنة **1332هـ** وختمه سنة **1357هـ**. وأقيم له حفل كبير حضره العلماء من جميع أنحاء الوطن وقال فيه شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة:

ختمت كتاب الله ختمة دارس يصير له حل العويص يسير

فكم لك في القرآن فهم موفق وكم لك في القرآن قول محدد

الشيخ الطاهر العبيدي (ت1387هـ/1968م)[25]: من تقرت.

اسمه ونسبه ومولده: الطاهر بن العبيدي بن علي بن بلقاسم بن عمارة بن بلقاسم بن سليمان بن عبد الملك بن الهادي بن أحمد خذير بن عبد العزيز بن سليمان بن سالم بن إبراهيم عبد الحليم بن عبد الكريم بن عيسى بن موسى بن عبد السلام بن محمد بن جابر بن جعفر بن محمد بن أحمد بن عبد الله ابن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي-ط-، ولد في الوادي سنة **1304هـ /1886م**، وتوفي يوم 28 شوال **1387هـ**/28 جانفي **1968** بتقرت.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: الذي فسر القرآن الكريم ابتدأ من الآية التي توقف عندها شيخه العربي موساوي [الآية 227 البقرة]، حيث كان يفسر آية واحدة في اليوم، ملما بجميع جوانبها العقدية والبلاغية والفقهية...، وكانت دروسه التفسيرية بعد صلاة المغرب إلى العشاء.

علي بن محمد الميلي (ت1833م/1248هـ):

اسمه ونسبه ومولده: علي بن محمد الميلي؛ نسبة إلى ميلة بالقرب من قسنطينة، واستوطن مصر وتوفي بها سنة **1833م.** [26]

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: اشتغل بتفسير القرآن في دروسه، وصنف فيه.

الشيخ إبراهيم بيوض (ت 1400هــ):

اسمه ونسبه ومولده: إبراهيم بن عمر بن بابة بن إبراهيم بن حمـو الملقب بَيُّوض. ولد سنة (1316ه) ست عشرة وثلاثمائة وألف، وتوفي سنة 1400ه أربعمائة وألف وقيل سنة 1401 هــ إحدى وأربعمائة وألف.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: بدأ تفسيره سنة 1950م إلى غاية ختمه بمدينة القرارة بغرداية في حفل بهيج أقيم بمناسبة هذا الختم سنة **1980م/1400ه.**[27]

مفتي قسنطينة العلامة مرزوق بن الشيخ الحسين:

اسمه ونسبه ومولده: مرزوق بن الشيخ الحسين.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: حيث فسر بعض السور في الجامع الكبير.

الأخضر الدهمة (ولد 1925م):

اسمه ونسبه ومولده: الأخضر الدهمة، ولد بـــ متليلي الشعانبة سنة **1925م.**

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: لم تخل أيام الشيخ الأخضر الدهمة من الإرشاد والتوجيه في المساجد والمحافل والأفراح والمآتم، فكان الصوت الصداح بقيم الإسلام وشيم العروبة في مجتمع لمّا يبرأ بعد من علل الاستعمار وأدران التخلف، فكان عمدة المساجد والمدارس، واتخذ لذلك مسلك الإمام الأستاذ محمد عبده في جمع الأمة على القرآن الكريم في منطقة معروفة بتناقضاتها القبلية والمذهبية والطائفية، فكانت دروسه الشفهية لا تنقطع بعد صلاة الصبح وبين العشائين، وخصص دروس الجمعة للتفسير الهدائي، وكان مسلكه تربويا عاليا لا ينزعج فيه المثقف بضياع وقته، ولا الأمي بعسر فهمه. وقد أمضى في تفسير البقرة وحدها ثماني سنين.[28]

الشيخ عبد الرحمن شيبان: الذي فسر القرآن تدريسا.

اسمه ونسبه ومولده: عبد الرحمن بن محمد البشير شيبان، ولد في الثالث والعشرين من شهر فيفري 1918، ببلدة الشرفة، دائرة مشدّالة ولاية البويرة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: داوم على إلقاء الدروس في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي، في المساجد، والمراكز الثقافية في العاصمة وغيرها من ولايات الجزائر.

العلامة أبو بكر جابر الجزائري:

اسمه ونسبه ومولده: أبو بكر جابر الجزائري الذي كان مقيما بالمدينة.

جُهُودُهُ فِيْ اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: والذي فسره تدريسا في المسجد النبوي ونشره تأليفا في كتابه (أيسر التفاسير إلى كلام العلي الكبير).

المطلب الثَّالث: أسباب تأخر ظهور التفسير تدريسا ببلاد الجزائر والمغرب عموما:

يمكن إجمال هذه الأسباب باختصار في خمس نقاط الآتية:

أوَلاً: أنَّ تاريخ الفتح الإسلامي لبلاد الجزائر وما صحب ذلك من فتن كثيرة جعل أهالي هذا البلد المبارك ينشغلون عن العلم عموما وعن التفسير بوجه أخص.

ثانيا: من الطبيعي أنَّ أهالي الجزائر بعد الفتح لم يكون همهم سوى التَّعَلُّم، الذي بعده يأتي التعليم، وهذا لا يمكن نكرانه، لذا أنا أنكر بشدّة الذين ينقصون من قدر علمائنا بحجة تأخر ظهور هذا العلم بينهم، فعلم التفسير وعلوم القرآن من العلوم التي تأتي بالتلقين، يأخذها التلميذ عن شيخه وهكذا، وهي تحتاج على وقت لينبغ فيها طالبها، إذ له ارتباط بعلوم كثيرة من التي تذكر في شروط المفسر، فهذه دقيقة قلّ من يذكرها.

ثالثا: ربما لو اعتنت كتب التراجم بعلماء القرون الأولى، وما قدموه من أنشطة علمية لبرز لنا فرسان هذا العلم، إذ لا أظن بل أجزم أنَهُ لا يمكــن تــأخر تفســير القرآن عن حفظه وتعلم تلاوته.

رابعا: ما ذكره بعض الباحثين من طغيان الدراسات الفقهية فــي جــل فتراتــه التاريخية لذا كانت الجهود في التفسير تأليفا وتدريسا قليلة مقارنة بتلك العلوم, شأن الجزائر في ذلك ككل بلدان المغرب، وإن قلت هذا فهو بتحفظ.

خامسا: ظاهرة التّهيب من التفّسير وهي ظاهرة عامة شملت المشــرق والمغــرب ويظل التّهيب من التفّسير سمة بارزة، تطغى على جل المهتمين بالقرآن وعلومه، ولعل في تحكم هذا التخّوف في نفوس النّاس وسيطرته على الساحة العلميةّ ما يفســر تــأخر ظهور التفسير كعلم مستقل.

المبحث الثاني:

نماذج من علماء الجزائر الذين انتهجوا منهج الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم:

النموذج الأوّل: الإمام ابن باديس.

نبذة عن حياة ابن باديس: عبد الحميد بن محمد مصطفى بن مكي بن بــاديس، ولد عام **1308ه** الموافق لــ شهر ديسمبر **1889م**، تخرج من المعهد الزينوني، فبعد تخرجه اجتهد في نشر العلم، واعتبر نفسه مسؤولا عن إحياء قلوب النّاس وتثقيــف عقولهم، ومن أبرز نشاطاته إلقائه دروس التفسير مشافهة بالمسجد العتيق بمدينــة قسنطينة المسمى بــ: الجامع الأخضر حتى ختمه في مدة ربع قرن.

التعريف بتفسير ابن باديس: تذكر المصادر أن الإمام ابن باديس لم يكتبْ تفســيرًا محررًّا لكتاب الله، وهذا الذي بين أيدينا عبارة عن مقتطفات من تفسيره الشَّفويّ الــذي ألقاه على طلبته ومن حضر مجالسه، ثُمَّ أُلْهِمَ كتابة مجالس معدودة تعدّ على الأصــابع

من تلك الدروس في فواتح أعداد مجلة الشهاب واسما إياها مجالس التذكير، والغــرض الرئيسي من تدرسه التفسير الشفوي للقرآن الكريم هو غرض توجيهي إرشـــادي، يتمثل بجلاء في غرس القيّم التي جاء القرآن الكريم لتحقيقه.

تسميته بمجالس التذكير: الناظر في هذا العنوان أو تسمية الكتاب يتبادر علـــى ذهنه أن الكتاب عبارة عن مجالس تذكرية، لكن من سمى التفســير بهــذا الاســم؟ الواضح مما كان يكتبه ابن باديس بقلمه في تفسير بعض آيات القرآن فـــي فـــواتح مجلة الشهاب وتسميته لها "**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**".

مدّة مكثه في الدروس التفسيرية الشفوية للقرآن الكريم: مكث رحمـــه الله تعـــالى في تفسيره كتاب الله تدريسًا شفويا نحوًا من خمس وعشرين سنة حتَّى ختمه عام 1337هـ.

سبب عدم تبيضه لتلك الدروس: أجاب البشير الإبراهيميّ عن هذا حيث قـــال: "وكان يرى حين تصدَّى لتفسير القرآن أنَّ في تدوين التفسير بالكتابة مشغلةٌ عن العمـــل المقدَّم وإضاعة لعمر الضلال، لذلك آثر البدءَ بتفسيره درسًا تسمعُهُ الجماهير فتتعجَّل من الاهتداء به ما يتعجَّلُهُ المريض المنهَك من الدواء، وما يتعجَّلُه المسافر العجـــلان مـــن الزاد، وكان يستطيع أن يجمع بين الحسنيين لولا أنَّه كان مشغولا مع ذلك بتعلـــيم جيـــلٍ وتربية أمَّة... فاقتصر على تفسير القرآن درسًا ينهل منه الصادي، ويتزود منه الـــرائح والغادي وعكف عليه إلى أن ختمَهُ في خمسٍ وعشرين سنة»[29]

بعض خصائص تفسير ابن باديس:

– قال البشير الإبراهيمي في بيان بعض خصائص تفسير ابن باديس وشخصيته التفسيرية: كان للأخ الصديق عبد الحميد بن باديس ذوقٌ خاصٌ في فهم القرآن، كأنَّـــه حاسَّة زائدة خُصَّ بها، يرفده - بعد الذكاء المشرِق والقريحة الوقَّادة والبصيرة النافـــذة - بيانٌ ناصعٌ، واطلاعٌ واسع، وذرعٌ فسيحٌ في العلوم النفسية والكونية... [30]

- ومما امتاز به تفسيره أنه الوحيد الذي فسر القــرآن كــاملا بعــد الشــريف التلمساني، قال البشير الإبراهيمي: ولم يختم التفسير درسًا ودراية بهذا الوطن غيــره منذ ختمه أبو عبد الله الشريف التلمساني في المائة الثامنة.» [31]

- أنه تفسير أثري إصلاحي، انتهج فيه ابن باديس طريقة تفسير القرآن بــالقرآن، والسنة الصحيحة، وأقوال الصحابة والتابعين.

- كان يستدل بعلماء الفلك والطبيعة في بيان بعض الظواهر حيث أشــار إلــى مدى اتفاق ما في القرآن مع مكتشفات العلم من خلال وصفه وتفسيره لجرم القمــر ونشأته، مسترشداً بأراء علماء الطبيعة والفلك، ومختتماً تفسيره لهذه الآية بقولــه: لنقف خاشعين متذكرين أمام معجزة القرآن العلمية، ذلك الكتاب الــذي جعلــه الله حجة نبيهﷺ وبرهاناً لديه على البشر مهما ترقوا في العلم وتقدموا في العرفان.

- التوسع في المعاني اللغوية والنكت البلاغية لآي التنزيل.

- الحرص على إنزال هذه المعاني والهدايات القرآنية على الواقع لإصلاحه وعلاج المشكلات التي يعاني منها الفرد المسلم في مجتمعه، ومن حسن صنيعه أنه كان يبــوِّب لكلامه ولا يستطرد في الكلام من غير بيان لاتجاهه، فيقول مثلا: بيان القرآن للقرآن، أو تفسير نبوي، أو بيان وتوجيه، أو التراكيب، أو الأحكام، ثم يذكر تحت الباب ما فتح الله عليه باختصار أحيانا، وبإسهاب أحيانا أخرى.

- العناية بعلم المناسبات بين الآيات وتوجيه ذلك.

- واستنباط الأحكام العقدية والفقهية والتربوية.

- التأثر بطريقة محمد رشيد رضا في تفسيره المنار، وإن لم يعتمده كمرجع أساس؛ لأنه لم يكمل بعد في وقته. [32]

منهجه في الدروس التفسيرية: ذكر عند افتتاحه دروس التفسير فقال:

-سنبدأ بتفسير الألفاظ بأرجح معانيها اللغوية وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية.

- وربط الآيات بوجوه المناسبات معتمدا في ذلك على صحيح المنقول وسديد المعقول مما جلاّه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه الخلف المتأخرون.

- فاعتمدنا على أشياء من كتب أئمة التفسير كابن جرير الطبري في تفسيره وسلفيته واهتمامه ببيان معاني الآيات القرآنية وترجيحاته لأولى الأقوال عنده بالصواب، ثم تفسير الكشاف البلاغي وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب، وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيهه للقراءات، وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحِجاج."

شهادة البشير الإبراهيمي على مكانة تفسير ابن باديس للقرآن: وصفه الإبراهيمي بأوصاف جميلة تحمل تلك المعرفة بشخصية الإمام العلمية الاستدلالية التي انتهجها في تفسير القرآن، قال البشير الإبراهيمي بقوله: "إن ابن باديس يمتاز بالذوق الخاص في فهم القران، مع بيان ناصع واطلاع واسع وباع في العلوم النفسية والكونية وعلوم الاجتماع والعمران وشجاعة في الرأي والقول ومعرفة السليم والمريض من الآراء والأقوال".[33]

نماذج من تفسيره:

أصول الهداية التي جاء بها القرآن: قال عند تفسيره سورة الإسراء: "قد أوتي رسول الله ﷺ جوامع الكلم واختُصر له الكلام اختصارًا؛ فالآية من كتاب الله، والأثر من حديث رسول الله، تجد فيهما من أصول الهداية، ودقيق العلم، ولطيف الإشارة في لفظ بيِّن وكلام بيِّن - ما فيه الكفاية وفوق الكفاية لمن أوتي العلم ومُنح التوفيق.

فهذه ثماني عشرة آية من سورة الإسراء قد أتتْ في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الإسلامية كلِّها، وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوهها .وهي -فوق بلاغتها التي عرف العرب إعجازها بسليقتهم وأدركه علماء البيان بعلمهم ومرانهم -قد جاءت معجزة للخلق من أي جنس كانوا، أو بأيِّ لغة نطقوا، بما جمعت من أصول الهداية التي تدركها الفِطَر وتسلمها العقول .وإنَّك لست واجدًا مثلها في مقدارها وأضعاف مقدارها من كلام الخلق بجمع ما جمعت من هدى وبيان، وهذا أحد وجوه إعجاز القرآن العامة التي تقوم بها حجته على الناس أجمعين».[34]

النموذج الثَّاني: الشيخ البشير الإبراهيمي:

لا يمكن في نظري أن تتمَّ الفائدة هاهنا إلاَ بإتباع الكلام السابق بنماذج من تفسير صديقه الإمام البشير الإبراهيمي:

نبذة عن حياة الشيخ البشير الإبراهيمي:

اسمه ونسبه: محمد البشير الإبراهيمي بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر بن محمد بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي نسبة إلى قبيلة عربية تعرف (بأولاد إبراهيم)، ولد يوم الخميس الرابع عشر من شهر شوال عام1306 هجرية الموافق لثالث عشر جوان 1889م. وكانت **نشأته:** في بيئة علمية[35].

وتوفي: يوم 20 ماي 1965م//19 محرم 1385هـ بالجزائر العاصمة.[36]

التعريف بالدرس الشفوي للقرآن العظيم عند البشير الإبراهيمي:

كان الإبراهيمي–/– يلقي عشرة دروس في اليوم الواحد، وهو جهد عظيم؛ يبتدئها بدرس الحديث بعد صلاة الصبح، ويختمها بدرس التفسير بين المغرب والعشاء. [37]

والذي يهمنا هنا دروسه الشفوية لتفسير القرآن الكريم؛ وهي كثيرة ولكن رغم عتابه على جلساء ابن باديس عدم تدوينهم لتفسيره فإنَّ العتاب كذلك على جلساء الإبراهيمي، وأضرب من جملة بدائع دروسه التفسيرية ذلك الدرس الباهر الذي ألقاه ارتجالاً على مسامع النَّاس بدار الحديث بتلمسان، بحضور الشيخ ابن باديس، قال: **بسم الله الرحمن الرحيم**، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٥٢﴾ [إبراهيم:52]، قال: السورة التي ختمت بهذه الآية الجامعة الفذة هي سورة إبراهيم، وما أكثر السور التي ذكر فيها إبراهيم، وقص فيها قصص إبراهيم، ... ثُمّ عدد بعض السور التي ذكر فيها وتكلم عن بعض روائع أسرار القرآن، إلى أن يقول في صلة الإسلام بدين إبراهيم: "وهذه السورة التي ختمت بهذه الآية بدئت بقوله تعالى: كتاب أنزلناه لتخرج الناس من الظلمات إلى النور"، وإن استهلال سورة نسبت إلى إبراهيم ودين الحق الذي جاء هذا الكتاب لبيانه."... ثم يشرع رحمه الله ببيان التوحيد الذي هو أصل العبادة، وفي تقرير سننه في الخلق والتكوين والجزاء والسرائر..."

ثمَّ يوظف جوانب من اللغة والبلاغة في تفسير بعض ألفاظ الآية، وكلَّ ذلك على طريقة ما يسمى اليوم بالتفسير الموضوعي، ليعود إلى الآية المراد بالتفسير فيقول: "هذه الآية من أبلغ الآيات وأجمعها لوصف القرآن وبيان الحكم التي انطوى عليها حقائق التي أنزل لبيانها، فهي تعريف جامع لأشتات الفوائد المفصلة في آياته وسوره، وأنا أختار في مرجع هذه الإشارة أنها راجعة إلى القرآن كله ... باعتباره كلام الله الذي قدر إنزاله لهداية خلقه...، وثاني الاحتمالات أن الإشارة راجعة إلى هذه السورة سورة إبراهيم، ورغم كونها ليست من السور الطوال فإنها مشتملة على الأصول الأربعة المذكورة في الآية: بلاغ، إنذار، الإعلام بتوحيد الله والتذكير...، وثالثها أنها راجعة على ما بعد قصة إبراهيم من هذه السورة..."

قلت: كلّ هذا الكلام هو مقدمة في التنبيه لاستقبال الفوائد الدرر، حيث سمى درسه هذا بـ"**سعادة المسلمين في العمل بالقرآن**"، ليقول: "وهذه الآية من حجج الله البالغة على المسلمين الذين نبذوا القرآن ظهريا، واتخذوه مهجورا، وعطلوه عمَّا أنزل إليه تعطيلا فهي -أي الآية- وأمثالها من الآيات الواردة بمعناها، تبين الفوائد العلمية التي نزل القرآن لتحقيقها والتي هي الحكمة من إنزاله،... إن هذه الآية وأمثالها هي أسلحتنا التي ندفع بها في نحور أعدائنا، وحوافزنا إلى ما نحاول من فهم القرآن وتفهيمه وإلى ما ندعو إليه من إرجاع المسلمين إلى حظيرة القرآن"[38].

المبحث الثالث: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن الكريم عند علماء الجزائر:

المطلب الأوّل: نتائج هذه الدروس الشفوية على الفرد والمجتمع الجزائري:

فالاعتماد على الإملاء والمشافهة خاصيّة اقتضتها طبيعة الإصلاح كون المصلح يجد نفسه أمام مجتمعه مخاطبا إيّاهم بشكل مباشر، ويحل مشكلاتهم وقضياهم بحلول قرآنية نتج عنها:

النتائج الحضارية والثقافية: لا ينكر العقلاء أنَّ هذه الدروس تعدُّ أحد مكونات التراث الحضاري والثقافي العلمي لبلاد الجزائر، لما فيه من ترجمة صريحة لجهود هؤلاء الأعلام من أبناء هذا البلد المعطاء.

النتائج على الفكر والتعلمية: من نتائج تواجد هذه الدروس في تراثنا تنوع التوجهات الفكرية وثرائها، ممّا لا يدع شكا في تصورنا لتلك العقول الجزائرية التي رغم اختلاف مشاربها وتنوع بنائها العلمي إلاَ أنَها تجتمع في هدف واحد ألاَ وهو خدمة كلام الله وتفسير القرآن الكريم، وإفادة أبناء هذا البلد بفواتح الخير التي احتواها القرآن الذي هو هداية للبشر، وطريق السعادتين، وسبيل النجاة وإرضاء الرحمن تعالى.

النتائج الاجتماعية والإصلاحية: استخدم جماعة من المفسرين الجزائريين هــذه الدروس التفسيرية وسيلة للإصلاح خاصة في العهد الاستعماري، وها هو الإمــام البشير الإبراهيمي -/- يلخص هذا المنهج فيقول: «وإن من أحكم الوسائل لجــذب الأمّة إلى القرآن، وصف القرآن، وتشويق النّاس إلى الإقبال عليه، وتدبّره وفهمــه، فمن التسديد في الرأي والمقاربة في العمل أن ترشد الأمّة الإسلامية إلى معرفة ما ضيّعت من خير وما خسرت من هداية، بتضييعها القرآن وإنما تعرف ذلك ويبلــغ مكامن الوجدان من نفوسها، من وصفه والإشادة بشأنه والتنويه بجلالــه وخطــره والتنبيه على ما يحتوي عليه من العلوم الكثيرة بألفاظ قليلة، وتقريب مــا ينطــوي عليه من المرامي المفيدة ، بالكلمات القريبة، وشرح ما فيه من الحقــائق المتفرقــة بالجمل الجامعة، فإن ذلك يكون أدعى لرجوع النفوس الجامحة عنه إليــه وأعــون على فيأتها إلى حماه والاستظلال بظله والاستمساك بحبله، وليت شعري، أي بيــان يضطلع بهذا؟ إن وصف القرآن وأساليب التشويق إلى القرآن لا توجد على أكملهــا في غير القرآن.» (39)

المطلب الثَّاني: خصائص الدّرس الشفوي لتفسير القرآن العظيم عند علماء الجزائر.

– أن علم التفسير في الجزائر مرّ بمرحلتين أساسيتين هما: التفسير عن طــرق التدريس والتفسير عن طريق التأليف، وفي نظري أنَّ التفسير الشفوي هــو منبــع التفسير التأليفي عند علمائنا ولهم السبق فيه على التفسير التأليفي.

– ظاهرة التّهيب من التفّسير وهي ظاهرة عامة شملت المشرق والمغــرب ويظــل التّهيب من التفّسير سمة بارزة، تطغى على جل المهتمين بالقرآن وعلومه، ولعل فـــي تحكم هذا التخّوف في نفوس النّاس وسيطرته على الساحة العلميةّ ما يفسر تأخر ظهــور التفسير كعلم مستقل.

- اعتناؤهم بالآيات الجوامع: وذلك لتحقيق المراد من تلك الدروس من إصلاح اعوجاج في المجتمع، أو دعوة إلى الوحدة وإخماد الفتن وغيرها من مقاصدهم ...

- من خصائص هذه التفاسير الشفوية أن تكون تفاسير إصلاحية مقاصدية، اقتضتها طبيعة الحياة العامة في المجتمع الجزائري خاصة زمن الاستدمار الفرنسي الذي دعا علماء الجزائر إلى تكتيف الجهود إلى اصلاح المجتمع عن طريق مخاطبتهم بشكل مباشر لمعالجة قضايا المجتمع بحلول قرآنية.

- من خصائص هذه الجهود أنها مرت بمراحل متفاوتة من حيث القوة والضعف، والكثرة والقلة.

- من خصائصه أنه مشروع حياة، فهذا الشيخ إبراهيم بيوض (ت 1400 هـ): الذي بدأ تفسيره سنة 1950 م إلى غاية ختمه بمدينة القرارة بغرداية في حفل بهيج أقيم بمناسبة هذا الختم سنة 1980م/1400ه، وابن باديس مكث رحمه الله تعالى في تفسيره كتاب الله تدريسًا شفويا نحوًا من خمس وعشرين سنة حتَّى ختمه عام **1337هـ**.، ومحمد بن يوسف إطفيِّش (**ت1332هـ**)، وغيرهم.

-من الخصائص التي استوقفتني دروس الشيخ الطاهر العبيدي (**ت1387ه**):

أ- الذي فسر القرآن الكريم ابتدأ من الآية التي توقف عندها شيخه العربي موساوي [الآية 227 البقرة].

ب- كان يفسر آية واحدة في اليوم، ملمًا بجميع جوانبها العقدية والبلاغية...

- من خصائصه أنَّ كثيرا من علمائنا فسروا القرآن خارج هذا البلد الكريم ولعل في ذلك خفايا لا نعلمها، كمحمد بن محمد السِّنباوي المازوني الأزهري الأمير المازوني (**ت1232ه**) فسره في الأزهر، ويحيى الشاوي (**ت1096ه**) درس التفسير في الجامع الأموي بدمشق.

– ومن خصائصه المداومة على الـــدروس دون إنقطـــاع، كعلـــي السُلُكْسِـــيني الجاديري التلمساني(972هـ) يدرسه طوال نهاره، ولا يفتر عن الـــدرس إلا فـــي وقت الصلاة والأذان. وكعبد الرحمن بن إبراهيم الجنتوري القراري التواتي، أبـــو زيد (1160ه)، حيث ذكر محمّد باي بلعالم أنّه داوم على تفسير القـــرآن تدريســـا، والشيخ أبا عبد الله بن خليفة الجزائري (ت1094ه)، فسر القرآن بالجـــامع الأعظـــم بالجزائر، ولم ينقطع عنه حتّى أَتَمَّهُ قَبْلَ وَفَاتِهِ.

– ومن الخصائص تصدرهم رحمهم الله لتفســـير أصـــعب الآيـــات والشـــواهد وأعمقها؛ كالأمير عبد القادر الجزائري **1300ه، و1883م**.

– وكان من مسلكهم تربويا عاليا لا ينزعج فيه المثقف بضياع وقته، ولا الأمي بعسر فهمه، ك الأخضر الدهمة.

– اعتماد بعض المفسرين الجزائريين على التفسير المجمل وذلك مـــن خـــلال توصيل المعنى العام للسورة أو الآية وذلك مثل تفسير الأمير عبد القادر وتفســـير البشير الإبراهيمي.

– اعتماد علماء التفسير في الجزائر على إلقاء الدروس الشفوية دون التـــأليف فيها، في كثير من الفترات لظروف اقتضتها طبيعة هذا البلد.

- الاعتماد على الحفظ والتلّقين، ولذلك شاع بينهم العلم يؤخذ من أفواه الرجال.

– ومن خصائص طريقة التفسير الشفهي البـــدء بـــتلاوة الآيـــات المختـــارة، واقتناص المعاني القريبة والبعيدة، والاستعانة بأقوال المفسرين الكبار ومقارنتهـــا، مع عدم الإيغال في القضايا اللغوية والبلاغية مراعاة للحال، ولكن التركيز الأكبـــر على واجب الوقت في القضايا الاجتماعية والأخلاقية، وهذا مشـــاهد فـــي تفســـير الإبراهيمي.

المطلب الثَّالث: أسباب عدم وصول هذه التفاسير الشفوية للقرآن العظيم:

بَعْدَ اَلْنَّظَرِ فِيْ تَرَاجُمِ هَؤُلاَءِ اَلْأَعْلاَمِ -رحمهم اللهُ تعالَى- ظَهَرَتْ لِيْ بَعْضَ أَسباب عدم وُصُولِ هَذِهِ اَلْتَّفَاسِيرِ اَلْشَّفَوِيَّةِ لِلْقُرْآنِ اَلْكَرِيمِ إِلَيْنَا، وَهِيَ:

أوَّلاً: عدم تقييد الطّلاب لدروس شيوخهم: عدم تقييد الطّلاب لدروس شيوخهم من أهم الأسباب التي تذكر في هذا الباب، خاصة إذا كانت هذه العلوم هي حقّ للأجيال الآتية بعدَهم، فإنّ في ضياع القيد ضياع للصّيد، فلمّا لم تقيد هذه التفاسير ضاعت عنّا إلاّ ما قيّد منها، وصدق على حالنا قول الحكيم العربي:

العلم صيد والكتابة قيد   وإذا ضاع القيد ذهب الصيد

وكأنّ الإمام البشير الإبراهيمي لخص لنا هذا السبب فقال في كلمة له بين يدي تفسير صاحبه ابن باديس للمعوذتين: "ولسنا نعيب طريقة التزام الكتب وشرح معانيها بالكلام، فذلك في حقيقته نوع قاصر من الإملاء، وإنما ننعى على السامعين إهمالهم لكتابة ما يسمعون فتضيع عليهم الفوائد التي يلقيها الأستاذ وقد تكون قيِّمة، كما تضيع في عصرنا هذه الخطب والمحاضرات المرتجلة التي لا يكتبها ملقيها ولا متلقيها".[40]

وكذلك عاتب على جلساء الشّيخ محمّد عبده عدم تدوينهم أمالي شيخهم في التّفسير، وأنّه قد ضاع منه الكثير إلا ما تمكن رشيد رضا من جمعه.[41]

وفي المقابل نجد أنَّ الإمام أحمد بن محمد بن أحمد المسيلى أو البَسِيلي الجزائري (توفي بعد 780هـ/...-1383م)، له "تقييد في التّفسير"، وهو تقيده الشهير قيده عن ابن عرفة، حيثُ لو لم يقيّده لما وصل لنا -بعد توفيق الله تعالى له على ذلك-.

اسمه ونسبه ومولده ووفاته: أحمد بن محمد بن أحمد المسيلى أو البَسِيلي الجزائري (توفي بعد 780هـ/...-1383م).

جُهُودُهُ فِيْ خدمة اَلْتَّفْسِيرِ تَدْرِيسًا: يمكن أن نقول إن المسيلي لم يشتهر عنه عقد الدُّرُوس الشفوية لتفسبر القرآن؛ وإنَّمَا جُهده هنا هو حفاظه على إرث شيخه ابن عرفة الذي كان له دور في الدروس التفسيرية.

ثانيا: أنهم لم يقصدوا التأليف فيها: فلو أرادوا ذلك لانتهجوا نهج الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، الذي ألقى تفسيره مشافهة ثم قيّده ليحفظ وتعمَّ به الفائدة، وقبله عبد الحميد بن باديس الذي قيد لنا بعض تفسيره...

الخاتمة: وفي ختام الموضوع ومما سبق يتضح لنا أهمية هذا الموضوع، لهذا كان لزاماً أن تتوجه إليه كل الجهود والرعاية والاهتمام، ومن الدروس المستفادة التي نخرج بها من هذا البحث:

- الدعوة إلى الاحتفاء بمنهج هؤلاء الأعلام للاستفادة منها، لأنها بلغت الغاية في الثراء العلمي.

- شأن الجزائر ككل بلدان المغرب حيث طغت عليها الدراسات الفقهية في جل فتراته التاريخية لذا كانت الجهود في التفسير تأليفا وتدريسا قليلة مقارنة بالعلوم الأخرى.

- الناظر لتاريخ العلم والعلماء بالجزائر يدرك أنّ العلم انتشر تأليفا وتدريسا زمن الدولة المرينية، حيث اهتم سلاطينها بالعلم وأهله، ابن مرزوق الخطيب التلمساني في كتابه "المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن"، وينظر كذلك كتابط العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لابن خلدون.

- إلاّ أنّهُ في علمي والله أعلم بالصواب لم يحدد من هو أوّل من فسر القــرآن من علماء الجزائر شفهيا، ويغلب على ظني أنّ أوّل مــن فســره شــفهيا: **أحمــد الباغائي (354هــ، ت461هــ) (956م، 1011م).**

والذي لا يسعني في الأخير إلاّ أن أتوجه بالشكر وعظيم التقدير إلى الأفاضــل القائمين على هذا الملتقى، وعلى اهتمامهم بهذا الموضوع الحيوي، ودعوتهم إلــى إقامة الملتقيات الهادفة المميزة. وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّد وَعَلَى آَلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الاحالات:

---

(1) آثار ابن باديس 4/ 152

(2)هو الشّيخ هني عدة الجيلالي الشهير بالجيلالي الفاسي، ولد بالشرفة شرق أولاد فارس شمال الشلف في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام تسعة وتسعمائة وألف-1909م-.

ينظر: مذكرة تخرج لنيل شهادة الدراسة التطبقية جامعة الشلف2008/2007: لملوكاوي نور الدين "**الفكر السياسي للشّيخ هني عدة الجيلالي المدعو الفاسي**".

(3)البصائر العدد22 السنة3 من السلسلة2/28 ربيع أوّل1367/09/02/1948، ص4-5.

(4) "من هدي الإسلام " عبد الرحمن شيبان، دار الخلدونية، سنة الطبع 2009، ص70.

(5) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 1/33، 36.

(6) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 1/61.

(7) ينظر: محمد المختار اسكندر: المفسرون الجزائريون عبر القرون، 1/64.

(8) نسبة إلى زواوة بفتح الزاي.

(9) ينظر: ترجمته عند التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 52، 53.

(10) نسبة إلى زواوة بفتح الزاي.

(11)-وقيل: المشذالي-.

(12) تعريف الخلف170/1، معجم أعلام الجزائر، ص157، معجم المؤلفين3/ 424.

(13) "**البستان في كر العلماء والأولياء بتلمسان**" لا بن مريم التلمساني، ص 281.

(14) تاريخ الجزائر الثقافي 15/2.

(15) تاريخ الجزائر الثقافي 15/2.

(16) ينظر: **منشورات الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية**، عبد الكريم الفكون، ص :11. و**شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية**، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1: 1986 م، ص118.

(17) طبعة دار المعرفة، الجزائر، دط، ت2011، ص71.

(18) تعريف الخلف190/1، شجرة النور، ص316، معجم أعلام الجزائر، ص202.

(19) "**مشيخة أبي المواهب الحنبلي**" أبو المواهب الحنبلي، ص91.

(20) "**نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة**"، محمد أمين المحبي، تحقيق :عبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1: ت.1971م،5 / 74.

(21) ينظر: "**الغصن الداني**"، لمحمد باي بلعالم، دار هومة، الجزائر، دط، دت، ص2 .

(22) **تاريخ الجزائر الثقافي** 220/2. وينظر ترجمته في **معجم المؤلفين** 112/3.

(23) **الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي**، لبركات محمد مراد، ص 10.

(24) ينظر: **الأعلام** 7/ 156، **معجم أعلام الجزائر**، ص190، **معجم المؤلفين**786/3.

(25) ينظر: **أشهر علماء سوف في القرن العشرين**، ص26.

(26) ينظر: عادل نويهض: 387/1

(27) ينظر: معجم المفسرين (1/ 17) "في رحاب القرآن" مختصر تفسير العلامة الشيخ البيوض، اختصره ورتبه وأشرف عليه الشيخ الناصر بن محمد المرموري، الطبعة الأولى (1417 هـ)، سلطنة عمان / وزارة التراث القومي والثقافة.

(28) مقال: للدكتور محمَّد عبد الحليم بيشي "**الدّرس التّفسيري في الجنوب الجزائري الشّيخ الأخضر الدهمة نموذجا**": المحرر الأربعاء 8 صفر 1440ه 17-10-2018م.

(29) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 2/252.

(30) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 2/252.

(31) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 5/163، 164.

(32) ينظر بعض هذه الخصائص في: محاضرات ومقالات العلامة أحمد حماني، لأخي الأستاذ عبد الرحمن دويب 3/156.

(33) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 2/252.

(34) مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس 1/182.

(35) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 2/252.

(36) أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، أحمد عيساوي، ط1: 1433ه/2012م، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ص 594.

(37) ينظر: محمد البشير الإبراهيمي، د/خالد النجار، ص7، المنشور على موقع الآلوكة.

(38) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 1/398، 404 بتصرف.

(39) ينظر: آثار البشير الإبراهيمي 1/323.

(40) آثار البشير الإبراهيمي 1/341.

(41) آثار البشير الإبراهيمي 1/343.

منهج الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" دراسة وصفية.

د. سليمة عياض
د. سعاد جخراب
وحدة ب. ل. وقضايا لّ. العربية في الجزائر، ورقلة.

الملخص: تسعى هذه المداخلة إلى التعريف بأحد أعلام المغرب العربي: "العلّامة عبد الرحمان الثعالبي" الجزائري الأصل، مفسّر من أعيان الجزائر ومن صلحائها الأبرار، والتعريف بهذا العالم سيكون من خلال تفسيره: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن"، وهو تفسير بالمأثور، نقل فيه أقوال السلف الصالح، وميّز فيه بين الصحيح والضعيف.

وسنقف في هذه المداخلة أوّلا على تحديد منهج المفسّر في تفسيره هذا، من خلال التعرّض لطريقته التي يسلكها في تفسير السور القرآنية، وكذا تحديد موقفه من التفسير بالمأثور، والتفسير بالمعقول، ثمّ تعرّج المداخلة على المحاور الكبرى التي تضمّنها هذا التفسير، والتي توضّح مواقفه في كثير من المسائل، ومنها العقيدة، والفقه والأصول، والقراءات، والإسرائيليات إلخ...كما ستتناول هذه المداخلة الجانب اللغوي في هذا التفسير من خلال الوقوف على مواطن اهتمامه بمستويات اللغة ومنها دلالة الألفاظ، وكذا بالإعراب، وغيرها من المستويات.

1- **تعريف بالشيخ عبد الرحمن الثعالبي:** هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفري نسبة إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عمّ الرسول ﷺ، من كبار علماء الجزائر في القرن التاسع الهجري. ولد الثعالبي سنة 784هـ

بناحية وادي يسر على نحو 86 كيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائـــر، وهو موطن آبائه وأجداده الثعالبة، أبناء ثعلب بن علي، من عرب المعقل فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى. توفي يوم الجمعة 23 رمضان 875 هـــمنتصف شهر مـــارس 1471م. ودفن في زاويته بالجزائر العاصمة حيث ضريحه بها إلى اليوم في مقبـــرة سيدي عبد الرحمان الثعالبي.[1]

2- **التعريف بالتفسير:** لقد خلّف الثعالبي علما غزيـــرا، تشـــهد لـــه مؤلّفاتـــه وتصانيفه الكثيرة التي تركها، والتي شرّقت وغرّبت واعتنـــى النّـــاس بدراســـتها وتدريسها والانتفاع بها؛ قال عبد الرحمان الجيلالي عن آثاره العلمية:" تـــرك مـــا يزيد على التسعين مؤلّفا بين رسائل، وشروح، وحواش، وتعاليق، وكتب مستقلّة في الوعظ، والرقائق، والتذكير، والتفسير، والفقه، والحديث، واللغة والتراجم"[2]. ومن أشهر ما صنّف كتابه في التفسير، والذي سمّاه بـــ: "الجواهر الحسان فـــي تفســـير القرآن"، والذي طبع أكثر من مرّة، أوّلها في الجزائر سنة 1327هـــ؛ وهـــي طبعـــة قديمة للمطبعة الثعالبية، وتمّت دون عناية أو تحقيق، وله طبعة أخرى قديمة بعناية محمد بن المصطفى ابن الخوجة بالجزائر سنة 1905م. وله أيضا طبعتان حـــديثتان الأولى بتحقيق عمار طالبي –المؤسسة الوطنية للكتاب، والثانيـــة بتحقيـــق محمـــد الفاضلي– المكتبة العصرية – بيروت سنة 1417هـــ. ويعتبر تفسير الإمام الثعالبي التفسير الوحيد الذي وصل إلينا من القرن التاسع على ما ذكره المؤرّخ أبو القاســـم سعد الله رحمه الله[3].

وقد أدرك الإمام الثعالبي الأهمية الكبيرة لتفسير كتاب الله عزّ وجـــلّ، فاشـــتغل بهذا العلم الجليل، وألّف هذا التفسير الذي جعله ذخرا له عند الله يوم يلقـــاه، وقـــد وصفه في عدّة مواضع منه، وتكلّم عنه كذلك في كتابه "المرائي"[4]. ويعدّ تفســـير ابـــن

عطية المسمى بـــ 'المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز' الأصل لكتـــاب الثعـــالبي 'الجواهر الحسان'؛ إذ أكّد ذلك فـــي موضـــع تفســـير قولـــه تعـــالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ (الشورى53) قائلا: 'لقد أودعته بحمد الله جواهر من الدرر، وقد اســـتوعبت فيـــه بحمد الله مهمات ابن عطية، وزدته فوائد جليلة من غيره، وليس الخبـــر كالعيـــان، توخيت فيه بحمد الله الصواب، وجعلته ذخيرة عند الله ليوم المآب، لا يستغني عنـــه المنتهي، وفيه كفاية للمبتدئ يستغنى به عن المطوّلات، إذ قد حصل منـــه لبابهـــا، وكشف عن الحقائق حجابها'[5]. وهذا التفسير ذو نزعـــة صـــوفية وعظيـــة يهـــتم بالقضايا الاجتماعية.[6]

3- **أمانته العلمية:** ميّز تفسير الثعالبي دقّة النقل والأمانـــة العلميـــة، والعـــزو والإسناد لكل المرويات والأخبار، وكذا نسبة جميـــع الأقـــوال والنصـــوص إلـــى مصادرها ومظانّها، فلا يقتصر في النقل منها على المعنى فقط، بل يـــورد الـــنصّ بلفظه، وهو ما يبيّن سعة علمه وكثرة اطّلاعه.

4- **المنهج العام للتفسير:** أتى الإمام الثعالبي بحظّ وافر من الشروط الواجـــب توفّرها في المفسّر، والتي تحدّث عنها العلماء[7]. فهو قد فسّـــر كتـــاب الله بعضـــه ببعض، وفسّره بما فسّره من أنزل عليه، وهو محمدﷺ، وبمـــا فسّـــره الصـــحابة والتابعون، كما استخدم اللغة وشرح الغريب، وتعرّض لتصريف بعض الكلمـــات، وأكثر من المسائل الإعرابية، ثمّ هو بعد ذلك يذكر مســـائل فـــي أصـــول الـــدين، وأصول الفقه، وفروعه وأسباب النزول، وإيراده بعض الإسرائيليات، واحتجاجـــه بالقراءات المتواترة، وذكره الشاذّ منها، وغير ذلك. وسيتضح ذلـــك فـــي المـــنهج التفصيلي لهذا التفسير.[8]

5- المنهج التفصيلي للثعالبي في تفسيره: - الطريقة التي يسلكها في تفسير السور القرآنية:

- يهتمّ المصنف في تفسيره بذكر المكي والمدني، وأسماء السورة وعدد آياتها وفضلها، وأسباب النزول؛ ومن ذلك قوله في مستهلّ تفسيره لفاتحة الكتاب: قال ابن عبّاس وغيره: إنّها مكيّة؛ ويؤيّد هذا أنّ في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ (الحجر 87)، والحجر مكية بإجماع؛ وفي حديث أبي بن كعب أنّها "السبع المثاني". ولا خلاف أن فرض الصلاة كان بمكّة، وما حفظ أنه كانت قطّ في الإسلام صلاة بغير ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾، وروي عن عطاء بن يسار وغيره أنّها مدنية. وأمّا أسماؤها فلا خلاف أنّه يقال لها: فاتحة الكتاب. واختلف هل يقال لها: أمّ الكتاب؟ فكره ذلك الحسن بن أبي الحسن وأجازه ابن عباس وغيره. وفي تسميتها: "أمّ الكتاب، حديث رواه أبو هريرة، واختلف هل يقال لها: أمّ القرآن، فكره ذلك ابن سيرين، وجوّزه جمهور العلماء. وسمّيت المثاني؛ لأنّها تثنّى في كل ركعة، وقيل: لأنّها استثنيت لهذه الأمّة.(9)

وأمّا عن فضلها، فيُذكر أنّ رسول الله ﷺ قال في حديث أبي بن كعب، أنّها لم ينزل في التوراة، ولا الإنجيل، ولا في الفرقان مثلها، ورُوي أنّها تعدل ثلثي القرآن، وهذا العدل إمّا أن يكون في المعاني، وإمّا أن يكون تفضيلا من الله تعالى لا يعلّل...(10)

- التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي عند الثعالبي:

* **تعريف التفسير بالمأثور:** التفسير بالمأثور هو ما جاء في القرآن أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه.(11)

وقد اختار الإمام الثعالبي في تفسيره "الجواهر الحسان" منهج التفسير بالمـــأثور لتفسير القرآن، وذلك نظرا لأهميته الكبيرة في باب التفسير، وكذا للقيمـــة العلميـــة التي يضفيها عليه؛ لذا جعله الصبغة الغالبة عليه. وممّا يؤكّد على ذلك:

– عقده في هذا التفسير لفصل تحت عنوان: "فصل فيما قيل في الكلام في تفسير القرآن والجرأة عليه ومراتب المفسّرين".[12]

– نوعية المصادر التي رجع إليها في تفسيره، والتي نقل منها مادّته العلميـــة، والتي تعدّ من مصادر التفسير بالمأثور، كالمحرر الوجيز لابـــن عطيّـــة، وجـــامع البيان لابن جرير الطبري وغير ذلك.

– وصف الباحثين والدّارسين وتصنيفهم لجواهر الحسان ضمن التفسير بالمأثور.[13]

فأمّا عن تفسيره لكتاب الله بعضه ببعض، فقد كان موقفه واضحا حيـــث قدّمـــه على غيره، وجعله أصلا في التفسير، ومنه مثلا في تفسير قوله تعـــالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا﴾ (البقرة 36)، فقد تعرّض لمعنى "أزلّهما" بقوله: مأخوذ من الزلل، ثـــمّ يحكي اختلافهم في كيفية هذا الإزلال فيقول: وقال جمهـــور العلمـــاء: أغواهمـــا مشافهة، بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾(الأعراف21).

كما اهتم الثعالبي بتفسير القرآن بالسنّة وقد أكّد على ذلك بقوله: وبالجملة فكتابي هـــذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد[14] وهو يقول أيضا ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ٣٨﴾:[15] "وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر".

وهذا النوع من التفسير برز كثيرا عند الثعالبي، ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى:﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ﴾ (الأنفال 60)، قال: وفي صحيح مسلم: "ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي".[16]

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ﴾(البقرة280) قال: "كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعلّ الله يتجاوز عنّا، قال: فلقي الله فتجاوز عنه"، وفي صحيح مسلم: "من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر، أو يضع عنه"، وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة"، وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله.[17]

والجدير بالذكر أنه كما كان يكثر من الأحاديث الصحيحة فقد كان أيضا يكثر من الأحاديث الضعيفة ومن ذلك الحديث الذي ساقه عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَصَيۡتُم﴾ (آل عمران 152)، والذي رواه ابن المبارك في (رقائقه) قال: أخبرنا ابن لهيعة، قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد أن رجلا قال: يا رسول الله كيف لي أن أعلم كيف أنا ؟ قال: "إذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته يسّر لك، وإذا أردت شيئا من الدنيا وابتغيته عسّر عليك، فأنت على حال حسنة، وإذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته عسّر عليك، وإذا أردت شيئا من أمر الدنيا وابتغيته يسّر لك، فأنت على حال قبيحة"[18].

وأمّا عن آثار السلف من الصحابة والتابعين فقد حشا بها كتابه، ونجده يزيّن تفسيره بالنقل عنهم، ومن ذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ (النصر1) أنّ النبي ﷺ قال لعائشة: "ما أراه إلّا حضور أجلي" قال

الثعالبي: وتأوّله عمر والعبّاس بحضرة النبي فصدّقهما، قال ونزع هذا المنزع ابن عبّاس وغيره.[19]

وأمّا عن موقفه من التفسير بالرأي فقد أخذ به، وجوّزه في تفسيره بضوابط علمية، منها الاستناد إلى ما قاله العلماء وما اقتضته قوانين العلوم كالنحو والصرف والبلاغة والأصول وغيرها.

والرأي -كما يذكر أهل العلم- يطلق على الاعتقاد، وعلى الاجتهاد، وعلى القياس، ومنه أصحاب الرأي، أي: أصحاب القياس. والمراد بالرأي هنا (الاجتهاد)، وعليه فالتفسير بالرأي عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب، ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالنّاسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر.[20]

وملامح التفسير بالرأي عنده تظهر من خلال نقله ممّن سبقه من المفسّرين الذين عرفوا بالاجتهاد والنّظر، كأبي حيّان السفاقسي، وغيره من العلماء ممّن اشتهر بتفسير القرآن بالرأي، بيد أنّه لم يكن يتوسّع في الأخذ به، إذ كان شديد الحرص في التمييز بين ما يجوز فيه الاجتهاد، وبين ما لا يجوز فيه بحال من الأحوال، ومن أمثلة ذلك تفسيره لقوله تعالى:﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ (النحل 2)، حيث يقول: قال مجاهد: الرّوح: النبوّة، وقال ابن عبّاس الرّوح الوحي، وقال قتادة: بالرحمة والوحي، وقال الربيع بن أنس: كلّ كلام الله روح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ،(الشورى52)، وقال الزجّاج: الرّوح ما تحيا به القلوب من هداية الله عزّ وجلّ، وهذا قول حسن، قال الدّاوودي: عن ابن عبّاس: قال: الرّوح خلق من خلق الله، وأمر من أمر الله على صور بني آدم، وما

ينزل من السماء ملك إلّا ومعه روح كالحفيظ عليه، لا يتكلّم ولا يراه ملك، ولا شيء ممّا خلق الله، وعن مجاهد الرّوح خلق من خلق الله لهم أيد وأرجل. انتهى والله أعلم بحقيقة ذلك، وهذا أمر لا يقال بالرأي، فإن صحّ فيه شيء عن النبي ﷺ وجب الوقوف عنده انتهى.[21]

6- **النزعة الصوفية في منهجه:** وإذا كان منهج الثعالبي منهجا تحقيقيا في أساسه وطابعه العام، فإنه لم يخل من نزعة صوفية واضحة؛ إذ كان هو نفسه صوفيا سنيا لا يذهب مذهب الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود، وهو ينقل في تفسيره نصوصا عن القشيري والمحاسبي من رعايته، ومن مختصرها للعز بن عبد السلام، ومن كتاب سنن الصالحين لأبي الوليد الباجي، ومن التنوير لابن عطاء الله السكندري، وعن صاحب التشوف المغربي، وعن أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي الصوفي، وعن أبي مدين البجائي التلسماني وعن أبي الحسن الشاذلي وغيرهم[22]. وكان الإمام الثعالبي علامة كبيرا ونابغة في علم التصوف، وألّف العديد من المصنفات في التصوف استندت على صحيح الكتاب والسنة، والتوفيق بين الشريعة والحقيقة الصوفية، واقتدى فيها بأستاذه الروحي الإمام الغزالي في مقاومة معالم البذخ، وألوان الترف والانحلال، ومحاربة الغفلة عن قيم الإيمان، ورفض الفتن والمجادلات العقلية، والعصبيات المذهبية.[23]

ومفهوم الولي عنده مفهوم قرآني، قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢﴾(يونس62): "وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة، وهذه الآية يعطي ظاهرها أنّ من آمن واتقى الله، فهو داخل في أولياء الله، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعة في الولي.[24]

ومن صوفياته ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ (آل عمران191)، حيث قال: ونقل عن ابن عطية قوله: وحدثني أبي رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائتًا في مسجد الأقدام بمصر فصليت العتمة، فرأيت رجلا قد اضطجع في كساء له حتى أصبح، وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل، فاستقبل القبلة فصلى مع الناس فاستعظمت جرأته في الصلاة بغير وضوء، فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد:

منسجنُ الجِسْمِ غَائِبٌ حَاضِرْ مُنْتَبِهُ القَلْبِ صَامِتٌ ذَاكِرْ
مُنْبَسِطٌ فِي الغُيُوبِ مُنْقَبِضٌ كَذَاكَ مَنْ كَانَ عَارِفًا نَاكِرْ
يَبِيتُ فِي لَيْلِهِ أَخَا فِكْرٍ فَهْوَ مَدَى اللَّيْلِ نَائِمٌ سَاهِرْ

قال: فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة، فانصرفت عنه[25].

7- **موقفه من العقيدة**: وأما من الناحية الكلامية فمنهجه منهج الأشعري، يؤول آيات العقائد تأويل الأشعرية، ويوجهها توجيههم، ولنأخذ مثالا على ذلك، قال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ (الرعد2): والمعتقد في هذا أنه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواء منزّها عن المماسّة، والاستقرار، والتمكن، والحلول، والانتقال، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته كان الله ولا شيء معه، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان.[26]

وله ردود على المعتزلة وغيرهم، وقد هاجم الزمخشري الذي ذهب إلى أنّ "لن" في قوله: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ (الأعراف143)[27] تفيد النفي، عندما ذكر أنّ "لن" كغيرها

من حروف النفي، في جواز كون استقبال المنفيّ بها منقطعا عند حدّ وغير منقطع، ثمّ عرّج على ما ذكره الزّمخشري في أنموذجه أنّ "لن" لتأبيد النفـــي، وأنّ حاملـــه على ذلك أنّ الله تعالى لا يُرى، وهو اعتقاد باطل –كما أشار–؛ وذلك لصحّة ثبوت الرؤية عن رسول الله ﷺ. وهنا نرى أن الثعالبي ينقد تفسير الزمخشري، كما أنـــه لا يحبذ مطالعته متأثرا في ذلك ببعض شيوخه الأشاعرة، الـــذين يرغبـــون عنـــه لاعتزاله.[28]

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ﴾ (البقرة272)[29] قـــال: ثـــم أخبر سبحانه أنه يهدي من يشاء، وفي الآية رد على القدرية، وطوائف المعتزلـــة، ثم بين تعالى أن النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله، وفي الآية تأويل وهو أنهـــا شهادة من الله تعالى للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهـــو خبـــر عنهم لهم فيه تفضيل.[30]

وقال فـــي قولـــه تعـــالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ﴾ (البقرة281)[31] و"يومًا" نصب على المفعول، لا على الظرف، وجمهـــور العلماء على أن هذا اليوم المحذر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفيـــة، وقـــال قوم: هو يوم الموت، والأول أصحّ، وهو يوم تنفطر لذكره القلوب، وفي هذه الآيـــة نصّ على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان، وهذا رد على الجبرية.[32]

8- **موقفه من الإسرائيليات:** لم تخل أكثر كتب التفسير من الروايات الإسرائيلية إلّا البعض منها، ومن تلك القلّة كتاب الجواهر الحسان للثعالبي، فقد ردّ كثيرا مـــن الروايات الإسرائيلية إلّا البعض منها، التي تتعارض وقواطع الدين، كـــالطعن فـــي عصمة الأنبياء، ونسبة ما لا يليق بمقامهم إليهم، فما كان ضعيفا ردّه، وما صحّ من الأخبار وجب تأويلها بما لا يتعارض مع الثابت القطعي في الدّين.[33]

لذلك أعرض الإمام الثعالبي في تفسيره عن ذكر ما أورده ابن عطيّة في المحرّر الوجيز، عن كثير من الآثار والأخبار التي يشتمّ منها رائحة الأخبار الإسرائيلية، ولا سيّما إذا كانت تعارض القطعيّ في الدين، والأمثلة عن إعراض الإمام الثعالبي عمّا أورده ابن عطيّة في تفسيره كثيرة، منها ما ذكر ابن عطيّة من الأخبار في قصّة آدم عليه السلام وأكله من الشجرة وإخراجه من الجنّة.[34] وإنّما نقل عنه خبرا بصيغة التمريض فيما يتعلّق بهبوط آدم وحوّاء وتعيين الأماكن وكذا الحيّة.[35]

وذكر الإمام الثعالبي كلام القاضي عياض فيما وردت به الأخبار، ونقله المفسّرون في قصّة هاروت وماروت، وما روي عن علي وابن عبّاس –رضي الله عنهما– في خبرهما وابتلائهما، قال: "فاعلم أكرمك الله أنّ هذه الأخبار لم يرو منها سقيم ولا صحيح عن رسول الله ﷺ وليس هو شيئا يؤخذ بقياس، ثم قال: وهذه الأخبار من كتب اليهود وافتراءاتهم.[36]

ومن ذلك أيضا ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (الأعراف 189،190)، عندما علّق على قول عن ابن عطية: وروي في قصص ذلك أنّ الشيطان أشار على حوّاء أن تسمّي هذا المولود عبد الحارث –وهو اسم إبليس– وقال لها: إن لم تفعلي قتلته، فزعموا أنّهما أطاعاه حرصا على حياة المولود، فهذا هو الشرك الذي جعل الله في التسمية فقط،[37] ثمّ علّق بقوله: وينزّه آدم وحوّاء عن طاعتهما لإبليس، ولم أقف بعد على صحّة ما روي في هذه القصص، ولو صحّ لوجب تأويله، ثمّ قال نعم، روى الترمذي عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ قال: لمّا حملت حواء طاف بها إبليس،

وكان لا يعيش لها ولد فقال لها: سميه عبد الحارث، فسمّته عبد الحارث فعاش ذلك، وكان من وحي الشيطان وأمره، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب انفرد به عمر بن إبراهيم عن قتادة.[38]

وعلّق الإمام الثعالبي على هذا الحديث بقوله: وهذا الحديث لـيس فيـه أنّهمـا أطاعاه، وعلى كلّ حال الواجب التوقّف لمن اجتباه الله وحسن التأويل ما أمكن. ثمّ نقل كلام ابن العربي في توهين هذا الخبر وتزييفه، وعدّه من الإسـرائيليات التـي ليس لها أصل ولا يعوّل عليه.[39]

والحاصل أنّ منهج الإمام الثعالبي في تعامله مع الإسرائيليات هو ردّ كل خبـر من هذا القبيل إذا كان يتقاطع مع ما هو قطعيّ في ديننا، وأمّا ما كان من الروايات لإسرائيلية، وليس فيها ما يخالف القطعيّ، ولا يعارض دلائل الشرع فهـو علـى قاعدة "لا تصدّقوهم ولا تكذّبوهم" والله أعلم.[40]

إلا أن ذلك لا يعني أنه أهمل الإسرائيليات تماما بل إنه ذكر جملة منها[41] ومـن ذلك: ما أورده عند تفسـيره لقولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ (البقرة 258). قال: "**أَلَمْ تَرَ**" تنبيه وهي رؤية القلب، والذي حاجّ إبراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة، قاله مجاهد وغيره. قال قتادة: هـو أوّل من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل قيل: إنه ملـك الـدنيا بأجمعهـا، وهـو أحـد الكافرين، والآخر بختنصر، وقيل: إنّ النمروذ الذي حاجّ إبراهيم هو نمروذ بن فالخ، وفي قصص هذه المحاجة روايتان إحداهما: ذكر زيد بن أسلم أن النمروذ قعد يـأمر للناس بالميرة، فلما جاء قوم قال: من ربكم وإلهكم؟ فيقولون: أنت، فيقول: ميـروهم، وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار، فقال له: من ربك وإلهك قال إبـراهيم: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾(البقرة 258)، فلمّـا سـمعها نمـروذ قـال: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾

(البقرة258)، فعارضه إبراهيم بأمر الشمس فبهت الذي كفر وقال: لاتميـــروه، فرجـــع إبراهيم إلى أهله دون شيء، فمرّ على كثيف رمل كالدقيق فقال: لو ملأت غرارتـــي من هذا، فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر لهما، فذهب بذلك فلما بلـــغ منزلـــه فرح الصبيان، وجعلا يلعبان فوق الغرارتين، ونام هو من الإعياء، فقالت امرأته: لـــو صنعت له طعامًا يجده حاضرًا إذا انتبه، ففتحت إحدى الغرارتين، فوجدت أحسن مـــا يكون من الحواري، فخبزته، فلما قام وضعته بين يديه، فقال: من أين هذا؟ قالت: من الدقيق الذي سقت، فعلم إبراهيم أن الله يسر لهم ذلك.[42]

9- **موقفه من الفقه والأصول:** لم يرد الثعالبي أن ينهج منهجا فقهيا مبســـوطا في تفسيره، وعن ذلك يقول: "تركت ذلك خشية التطويل وإذ محلّ بســـطها كتـــب الفقه". وعليه فهو يتعرض للمسائل الفقهية دون تفصيل، ويرجّح غالبا قول مالـــك على اعتبار أنّ بلاد المغرب مالكية المذهب[43] ومن ذلك:

. ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾ (البقرة187)، حـــين قـــال: قالت فرقة: المعنى: ولا تجامعوهنّ، وقال الجمهور: ذلك يقع علـــى الجمـــاع فمـــا دونه، ممّا يُتلذذ به من النساء، وعاكفون أي: ملازمون، قـــال مالـــك رحمـــه الله وجماعة معه: لا اعتكاف إلا في مساجد الجماعات. وروي عن مالك أيضًا أن ذلك في كل مسجد، ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروري أشغاله.[44]

وقال أيضا: قال ابن العربي في (أحكامه): وحـــرم الله ســـبحانه المباشـــرة فـــي المسجد، وكذلك تحرم خارج المسجد، لأنّ معنى الآية ولا تباشروهن وأنتم ملتزمـــون للاعتكاف في المساجد، معتقدون له. [45]وأشار أيضا إلى قول ابن العربي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً﴾ (النساء4)، بقوله: قال علماؤنا: وفـــي الآيـــة دليل على أن ملك اليمين لا حقّ لها في الوطء والقسم؛ لأن المعنى: فإن خفـــتم أن لا

تعدلوا" في القسم، فواحدة أو ما ملكت أيمانكم، فجعل سبحانه ملك اليمين كلّه بمنزلـــة الواحدة، فانتفى بذلك أن يكون للأمة حق في وطء أو قسم، انتهى من الأحكام[46].

10 – **وقفه من القراءات القرآنية:** إنّ علم القراءات من أشرف العلوم الشّرعية منزلة، وأعظم الفنون الدّينية رتبة وأقدمها نشأة، فبها يُصان كتاب الله العزيز مـــن كل تحريف، وتُعلم ألفاظ الوحي وتَسلم من كل تصحيف. وقد عُني بها بعـــد النبـــيِّ المختار –عليه أزكى السّلام والأنوار– وأصحابِه الأطهار مِنْ كلِّ خَلَـــف عدولُـــه، ومن كل عصر خيارُه، فاستحقوا بذلك المرتبةَ الأسمى والمنزلة العليا، فكانوا مـــن أهل الله وخاصّته، مصداقا لما جاء في الأثر: "إن لله أهلين من النّاس". وقـــد كـــان الإمام الثعالبي من بين العلماء الذين اهتمّـــوا بـــالقراءات فـــي تفاســـيرهم، وقـــام بتوجيهها، ولم يقتصر في ذلك على طريقة واحدة؛ بل تعدّدت أســـاليبه، واختلفـــت حسب تنوّع القراءات واختلافها، فاستعمل في ذلك التوجيه بـــالنظير مـــن الآيـــات القرآنية، والتوجيج بالاعتماد على رسم المصحف، والتوجيـــه بـــالقراءة الشـــاذّة، والتوجيه بالحديث النبوي الشريف، والتوجيه بالمعنى التفسيري، والاستدلال بأسباب النزول للآية، والتوجيه بلغة العرب، والتوجيـــه الصـــرفي والنحـــوي، والتوجيـــه الفقهي[47]، وسأكتفي للتمثيل بثلاثة أنواع منها:

– **التوجيه بالاعتماد على رسم المصحف:** ذكر في تفسير قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾(الأعراف43)[48]، قال الثعالبي: "وقرأ ابن عامر وحده "ما كنّا لنهتدي" بسقوط الواو، وكذلك هي في مصاحف أهل الشام، ووجهُهَا أنّ الكلام متّصل مرتبط بما قبله.[49]

- **التوجيه بالقراءة الشاذّة:** وأمّا عند تفسيره لقوله تعــالى: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ (الشعراء22)[50]. فقد قال: قال قتادة: هذا من موسى على جهة الإنكار علــى فرعون لعنه الله، كأنّه يقول: أَوَ يصِحّ لك أن تعدّ علي نعمة ترك قتلي من أجل أنّك ظلمت بني إسرائيل وقتلتهم؟ أي: ليست بنعمة؛ لأنّ الواجب كان: ألّــا تقتلنــي ولا تقتلهم، ولا تستبعدهم، وقرأ الضحّاك: "وتلك نعمة ما لك أن تمنّها علــيّ"[51]، قــال الثعالبي: وهذه قراءة تؤيّد هذا التأويل.[52]

- **التوجيه الفقهي:** وقال الثعالبي عند تفسيره لقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة6)[53] قرأ حمزة وغيره: "وأرجُلِكم" بالخفض، وقرأ نافع وغيره بالنّصب، والعامِلَ "اغْسِلُوا" ومن قرأ بالخفض جعل العامل أقرب العاملين، وجمهور الأمّة من الصّحابة والتّابعين على أنّ الفرضَ في الرجلين الغَسْلُ، وأنّ المسح لا يجزئ. ثمّ نقل كلام ابن العربي في "القَبَسِ"، وأقرّه: ومن قرأ: "وأرجُلِكُم "بالخفض"، فإنّه أراد المسح على الخفّين، وهو أحد التأويلات في الآية. انتهى، وهذا هو الذي صحّحه في أحكامه.[54]

موقفه من اللغة: اهتمّ الإمام الثعالبي بالجانب اللغوي كثيرا في تفسيره، وبــرز ذلك من خلال شرحه للمفردات وتأصيلها. ومثال ذلك ما جاء عند تفســيره لقولــه تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ القيامة34): حيث يقول: وقولــه: "أولــى لــك" وعيــد، و"فأولى" وعيد ثان، وكرّر ذلك تأكيدا، ومعنى "أولى لك" الازدجــار والانتهــار؛ والعرب تستعمل هذه الكلمة زجرا؛ ومنه: (فأولى لهم طاعة)، ويروى أنّ النبــيّ – صلى الله عليه وسلّم– لبّب أبا جهل يوما في البطحاء وقال له: إنّ الله يقــول لــك: "أولى لك فأولى"، فنزل القرآن على نحوها، وفي شعر الخنساء من المتقارب:

هَمَمْـــتُ بِنَفْسِـــيَ بَعْـــضَ الْهُمُـــومِ   فَـــأَوْلَى لِنَفْسِـــيَ أَوْلَـــى لَهَـــا [55]

وهو أيضا يتعرض في تفسيره للإعراب والنحو، ومن ذلك ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ﴾(ص11): حيث يقول: "وما في قوله: "جند مّا" زائدة مؤكّدة، وفيها تخصيص، وباقي الآية بيّن. وقال أبو حيّان: "جند" خبر مبتدأ محذوف، أي: هم جند، وما زائدة أو صفة أُريد بها التعظيم على سبيل الهزء بهم، أو الاستخفاف؛ لأنّ الصفة تستعمل على هذين المعنيين و"هنالك" ظرف مكان يشار به إلى البعيد في موضع صفة لـ"جند"، أي: كائن هنالك، أو متعلّق بـ:"مهزوم"، انتهى.[56]

الخاتمـــة:

– يعدّ تفسير الثعالبي واحدا من التفاسير المهمة لثراء مادته التفسيرية واللغوية.

– بدا أثر تفسير ابن عطية واضحا وجليّا في تفسير الثعالبي فقد استفاد منه هذا الأخير أيّما استفادة، وهذا ما صرّح به في مقدّمته.

– لم يحد الثعالبي في تفسيره عن مناهج المفسّرين الأوائل في التقديم للسورة وتصنيفها في المكي أو المدني وتسميتها وذكر عدد آياتها وأسباب النّزول وفضلها.

– يصنّف تفسير الثعالبي في التفسير بالمأثور فقد فسّر القرآن بالقرآن، وفسّره بالسنّة، وفسّره بالوقوف على أقوال ومواقف الصحابة والتابعين.

– توخّى الثعالبي في تفسيره الأمانة العلمية بردّ الأقوال إلى أصحابها وأخذها من مصادرها ومظانّها.

– انتهج الثعالبي منهج الأشاعرة في تأويل آيات العقائد وتوجيهها، وأنكر على المعتزلة والجبرية.

- برزت النزعة الصوفية كثيرا في هذا التفسير، من خلال استدلاله بأقوال المتصوّفة ومنهم محيي الدين بن عربي.

- اهتمّ الثعالبي بالقراءات وكان يقوم بتوجيهها وفق الطرق والأساليب المعروفة ومنها: التوجيه بالنظير من الآيات القرآنية، وبالاعتماد على رسم المصحف، والقراءات الشاذة وغيرها من الطرق والأساليب.

- استند الثعالبي في تفسيره على المذهب المالكي في توجيه آيات الأحكام والمسائل الفقهية التي تستوقفه في ثنايا التفسير.

- تبنّى الثعالبي موقفا وسطا من الإسرائيليات فلم يأخذها جملة ولم يردّها جملة، بل وضع شروطا للأخذ بها ويتمثّل أهمّها في عدم تعارضها مع القطعي من الدين.

- لم يهمل القرطبي الجانب اللغوي في تفسيره فكان يهتم بالمفردة القرآنية ويردّها إلى أصولها، كما اهتمّ بأوجه الإعراب، واستشهد بكلام العلماء والنحاة في المسائل اللغوية التي تعترضه.

الاحالات:

(1) ينظر ترجمته في المصادر والمراجع الآتية: الضوء اللامع، ج4، ص(152، 153)، ووتوشيح الديباج، ص 120، وهدية العارفين، صج1، ص(532، 533)، وكفاية المحتاج، ص189-192)، وطبقات المفسّرين، ص342، وفهرس الفهارس ج2، ص(732-734)، وتعريف الخلف ،ج1 ص(68-72)، والأعلام ج3 ص 331.

(2) تاريخ الجزائر العامّ، ج2 ص274.

(3) تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله بيروت دار الغرب الإسلامي، ط1، 1998مـ، ج1 ص121.

(4) كتاب المرائي، الثعالبي، مطبعة الثعالبية، 1324هـ، ج1، ص(179، 180).

(5) تفسير الثعالبي، المسمّى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن للإمام عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي المالكي، تح محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، مؤسّسة التاريخ العربي، بيروت لبنان، ج5 ص(171، 172)..

(6) التفسير والمفسّرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق بن طرهوني، دار ابن الجوزي، ط1، 1426، ج2 ص(699، 700).

(7) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرسالة ناشرون، ط1، 1429هـ-2008م، ص(771، 772).

(8) الجواهر الحسان، الثعالبي ،ج1، ص99.

(9) نفسه، ج1 ص(161، 162).

(10) نفسه، ج1، ص162.

(11) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه 1362هـ-1943م، ط3، ج2، ص12.

(12) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1، ص 138.

(13) ومن بينها: التفسير والمفسّرون للذهبي، ج1، ص177، وكذلك مقدّمات تحقيق تفسيره.

(14) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص119.

(15) نفسه، ج5 ص247.

(16) نفسه، ج1 ص 100.

(17) نفسه، ج1 ص542.

(18) نفسه، ج2 ص142.

(19) نفسه، ج5، ص635.

(20) التفسير والمفسّرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، ج1، ص183.

(21) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج3 ص(410، 411).

(22) التفسير والمفسّرون في غرب أفريقيا، الطّرهوني، ص704.

(23) الثعالبي قطب التصوف وعلوم الشريعة، الاتحاد القاهرة، 2 سبتمبر 2010، مقال على الأنترنت، الساعة 09 و49 بتوقيت قرينيتش.

(24) التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص704.

(25) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج2 ص 151.

(26) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج3 ص (358، 359).

(27) نفسه، ج3 ص76.

(28) ينظر: التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص 703.

(29) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص529.

(30) ينظر: التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص 703.

(31) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص 545.

(32) ينظر: التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص 703.

(33) منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات من خلال تفسيره –الجواهر الحسان–عبد المجيد بيرم جامعة الجزائر، مجلّة الإحياء، العدد الرابع عشر، ص186.

(34) نفسه، ص186.

(35) نفسه، ج1 ص71. وينظر: منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات، عبد المجيد بيرم، ص186.

(36) ينظر: الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص71.وينظر: منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات عبد المجيد بيرم، ص186.

(37) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1، ص95.

(38) نفسه، ج1 ص96. وينظر: منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات عبد المجيد بيرم، ص(186.، 187).

(39) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1، ص96. وينظر: منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات، عبد المجيد بيرم، ص187.

(40) منهج الشيخ عبد الرحمان الثعالبي في تعامله مع المرويات، عبد المجيد بيرم، ص187.

(41) التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص 715.

(42) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص(506، 507).

(43) التفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، الطّرهوني، ص 718.

(44) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج1 ص358.

(45) نفسه، ج1 ص358

(46) نفسه، ج 2 ص166.

(47) الإمام الثعالبي ومنهجه في التعامل مع القراءات في تفسيره "الجـواهر الحسـان"، نمـاذج منتخبة، زايدي كريم، مجلّة البحوث والدّراسات، المجلّد 15، العدد01، شتاء2018، ص22.

(48) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج 2 ص31.

(49) نفسه، ج3 ص31. وينظر: الإمام الثعالبي ومنهجه في التعامل مع القـراءات فـي تفسـيره "الجواهر الحسان"، نماذج منتخبة، زايدي كريم، ص23.

(50) الجواهر الحسان، الثعالبي، ج 4 ص226.

(51) نفسه، ج4 ص226.

(52) وينظر: الإمام الثعالبي ومنهجه في التعامل مع القراءات في تفسيره "الجـواهر الحسـان"، نماذج منتخبة، زايدي كريم، ص24.

(53) الجواهر الحسان، ج2 ص(352، 357).

(54) ينظر: الإمام الثعالبي ومنهجه في التعامل مع القراءات في تفسيره "الجواهر الحسان"، نماذج منتخبة، زايدي كريم، ص27.

(55) ينظر جواهر الإحسان، الثعالبي، ج5 ص526.

(56) نفسه، ج5 ص57.

"رسم القرآن الكريم وضبطه أفق من آفاق الكتابة العربية"

داه. فاطمة الزهراء حبيب زحماني
جامعة وهران 1

الملخص: ظلّت النّظم الكتابية العالميّة تغزل طيلة آلاف السّنين بغية الوصـــول إلى هدف بعيد المرام، هو توافق الرّمز الكتابي مع الصّوت اللّغوي تمام الموافقـــة، بحيث يقرأ كما أريد له أن يقرأ، ويفهم كما أريد له أن يفهم. وقد ورثنا نحن العرب والمسلمون نظاما كتابيّا فريدا من نوعه، تجلّى في رسم القرآن الكـــريم، واحتـــوى على أمثلة وفيرة جعلت منه بحقّ نموذجا من نماذج الكتابة الصّوتية بكلّ ما تحملـــه الكلمة من معنى، من نحو رمز الإمالة، تقليلا وتفخيما، والمدود وكيفيات تخفيـــف الهمز وغيرها من الظّواهر الصّوتية ممّا سيرد ذكره في ثنايا المداخلة.

وطالما تهيأ لنا هذا الابتكار والذي لا ندري بالضّبط إن كـــان توقيفيـــا أم ممّـــا أحرزته الذهنية الإسلامية آنذاك نتيجة لصفائها وإخلاص نية أهلها في الحفاظ على القرآن الكريم من كلّ شائبة تشوبه. وطالما احتجنا إلى كتابة صوتيّة تساعد اللّغـــة العربية على إحكام بناء نظامها الكتابي، كونها الوسيلة الأساسيّة لتعليم الأصـــوات العربيّة لأبنائها ولغيرهم من الأجانب، وكونها أداة إجرائية يستدعيها علم اللّهجـــات في ضبط الاختلافات والتّنوعات اللّهجية. فقد راودتنا فكرة البحث منذ مدّة طويلـــة، وتساءلنا عن كيفية استفادة الكتابة العربية من رسم القرآن وضبطه، كما تســـاءلنا، كيف استطاع الإنسان أن يخترع كل تلك المخترعات السّحرية ولم يجـــد رمـــوزا كتابية دالّة على أصواتها؟ وهل يمكن لنا نحن أبناء العربيّـــة وطلبـــة علومهـــا أن

نتصوّر أشكالا جديدة منسجمة مع الظّواهر الصّوتية التي لم تستطع الكتابة العربية أن تجد لها مقابلا خطّيا إملائيا، واستخراجها ممّا ورثناه من الوحي ورسمه؟

سنحاول من خلال هذا الملتقى الذي انتظرناه بشغف كبير أن نلقي الضّــوء علــى مقترحنا بهذا الشّأن، بعرض جزئياته مفصّلة، خاصّة فيما تعلّق بالرّموز الصّوتية التــي أتينا بها رأسا من المصحف الشّريف، أو بتلك التي استوحيناها من نظامـــه، آملــين أن يجد القبول لدى جمهور المتخصّصين في علوم القرآن والقراءات وعلوم اللّغة.

المداخلة: اتّفقت كثير من الكتب الدّينية واللّغوية والتّاريخية علـــى أنّ أوّل مـــن وضع الكتابة والخطّ هو سيدنا آدم، كتبها في الطّين وطبخه قبل موته بثلاثمائة عام، ثمّ بعد ذلك سيّدنا إدريس عليه السّلام، ويشكّل هذا الخبر أساس النّظرية التّوقيفيـــة في تفسير نشأة الكتابة بعامّة، قبل أن تنتشر في أصقاع المعمورة كما انتشرت اللّغة بين بني البشر.

أمّا الأخبار الّتي تناقلها الرّواة العرب حول نشأة الكتابة العربيّة، فكثيرة ممّا لفت انتباهي منها، خبر نقله ابن النّديم يدخلها في حيّز النّظرية الاصطلاحية، يقول فيه: "اختلف النّاس في أوّل من وضع الخطّ العربي فقال هشام الكلبي: أوّل من وضـــع ذلك قوم من العرب العاربة كانوا نزلا عند عدنان بن أدّ وأسماؤهم أبو جاد هـــواز حطي كلمون صعفص قريسان"[1]، وأضاف أنّهم وضعوا الكتابة على أسمائهم ثـــم ألحقوا بها الثاء والذال والظاء والشين والغين فسموها الــروادف[2]. بينمـــا يـــورد القلقشندي خبرا آخر يقول فيه: "أوّل من كتب العربية ثلاثة رجال من بولان وهـــي قبيلة سكنت الأنبار، وأنهم اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة وهم مرامـــر بن مرة وأسلم بن سدرة، وعامر بن جدرة ... فأما مرامر فوضع الصور وأما أسلم ففصل ووصل، وأما عامر فوضع الإعجام. وسئل أهل الحيرة ممّن أخذتم الكتـــاب العربي؟ فقالوا من أهل الأنبار"[3].

ولوعدنا إلى رأي ابن خلدون حول نشأة الكتابة، لوجدناه يتفق مع مــا ذكــرت أعلاه فيما يتعلق بكون الكتابة اصطلاح، حيث عدها من الصّنائع الإنسانية[4]. وقــد نحا جرجي زيدان نفس المنحى بحيث رأى أن الكتابة وليدة الحاجة"[5].

أمّا الحديث عن مسالك الكتابة إلى الحجاز فهو حديث مستفيض لا يؤدّي بنا إلى حكم فاصل، إذ انقسم المؤرخون إلى ثلاث فرق، يرى أوّلها أنّه جاء من حمير من بلاد اليمن وهو الخطّ المسمّى بالجزم أو القطع وهو مقتطع من الخــطّ الحميــري، ويرى الفريق الثاني، أنّه جاء من الحيرة من بلاد العراق، أما الأخير فتقرّر لديــه أنّه قدم من النّبط، أي من شمال الحجاز[6]. ولعل سبب هذا التضــارب فــي الآراء سببه طبيعة المنطقة نفسها، بحيث إنها منطقة تتوسط المشــرق، وكونهــا "طريــق النور"، فما من حضارة من الحضارات الثماني عشر المعروفة إلا نشأت فيــه[7]، ولذلك فإن احتمال أخذ العرب خطّهم واقتطاعهم إياه من المسند تارة ومن النبطــي تارة أخراة، ومن الحيري مرّة ثالثة أمر وارد جدا، بل ومعقول أيضا.

وفي نهاية هذا الحديث الذي أومأنا به إلى النّظريتين الشّهيرتين في تفسير نشــأة الكتابة العربية، نودّ التكلّم عن فكرة من شأنها أن تتحوّل إلى نظرية قائمة بــذاتها، وهي فكرة المحاكاة الطّبيعية، والحقّ أنّ كلّ المراجع الحديثة تعالجهــا، لكــن دون ردّها إلى عنوان يلخّصها، وعادة ما تكون أوّل ما يُبتدأ به فــي التّــأريخ للكتابــة. وتفصيل هذا الكلام، أنّ الإنسان عندما قلّد الموجودات إنّما كان يحــاكي الطّبيعــة، فالكتابة في البدء كانت إبداعا فنّيا قبل أن تصبح اختراعا نفعيا ووسيلة مهمّة مــن وسائل الاتّصال البشري. ودليلنا على ذلك، أطوار الكتابة نفسها، فقــد بــدأت بمــا يسمّى بــ: "الكتابة الصّورية الذّاتية"[8] وفيها عبّر الإنسان تعبيرا خطّيا عما يشغل باله، فنقش على الأحجار وما شاكلها.

إلاّ أنّ الكتابة بهذه الكيفية كانت ناقصة لأنها لا تعبــر عــن معــاني كالحــب والكراهية والوعد...، فأضاف الناس رموزا جديدة للدلالة علــى هــذه المعــاني، فدخلت في طور جديد يطلق عليه "الطّور الصّوري (الرّمزي) المعنــوي"[9]. فقــد رمزوا للكتابة، بل للرّسم، بالدّواة والقلم وللرجل الغني بالجسم الضّخم وهكذا[10].

ثم تطوّر أمر هذا التعبير الخطي إلى "اتخاذ صورة الشيء للدلالــة علــى أول مقطع من اسمه كاستخدام صورة السفينة للدلالة على السين المفتوحــة، والشــجرة للدلالة على الشين المفتوحة، وقس على كل المقاطع، والتفكير في المقطع وهو أهم خطوة في اختراع الكتابة لأن بها تتحوّل الأشكال الصّورية من الدلالة علــى أقــل مقطع من مقاطعها، وهو ما نسميه بالدور المقطعي"[11].

ثمّ ظهر طور رابع سمّي بــ: "الطّور الهجائي"[12]، وهنا اخترعت صــور مطلقــة للصوامت أي للحروف، فبدلا من أن يدلّ الشكل المختار على المقطــع الواحــد وهــو حرف وحركة معا، أصبح يدلّ على الحرف فقط، والشّكل الذي كان يدلّ على حــرف الباء مفتوحة، أصبح يدلّ على حرف الباء مجرّدا من أيّة حركة، واختارت كلّ حضارة طوّرت كتابتها إمّا أن تمثّل الحركات، أو أن تُغفل تمثيلها كما فعلت العربية[13].

ولعلّ المفارقة هنا هي تطابق عدد النّظريات التي فسّرت نشأة اللّغة مــع تلــك التي فسّرت نشأة الكتابة، الأمر الّذي يجعل منهمــا صــنوين وبــديلين إذا غابــت إحداهما نابت عنها الأخرى. إنّ هذه الملاحظة من شأنها أن تفضي بنا إلى فكــرة مفادها أنّه مهما كانت ظروف النّشأة فالهدف النّهائي منها هو تحويلهــا إلــى لغــة تصوّر الصّوت وتنقل الفكرة إلى أماكن بعيدة وأزمان مديدة.

وهكذا وبهذه السّيرورة الفنّية والفكرية تــدحرجت الأطــوار الأولــى للكتابــة، وفتحت الباب أمام أساليب مبتكرة لتحسينها، وأخصّ بالذّكر ما حــدث فــي بوتقــة الحضارة الإسلامية، حيث ظهرت في القرن الثّاني للهجرة كتابة خاصّة جدا هــي

الكتابة العروضية[14]، وهي بحقّ كتابة صوتيّة بجميع المقاييس، فبرموزها تُرصد قواعد علم العروض وتُستنبط بها أوزانه فتُعرف بحوره وقوالبها الموسيقية. وتعتبر هذه الكتابة من أدوات العروض الأوّلية في التّعرّف على مدى موافقة الشّعر لأحد الأوزان العربية وهي عادة تصطحب ما يسمّى بفعل التّقطيع، "وتقطيع الشّعر على اللّفظ دون الخطّ، فما وُجد في اللّفظ اُعتدّ به في التّقطيع، وما لم يوجد في اللّفظ لم يعتدّ به في التّقطيع، وكلّ حرف مشدّد يعدّ حرفين في التّقطيع، الأوّل منهما ساكن والثّاني متحرّك... وإنّما يذكر هذا في أوائل العروض لتقيس عليه فتضع المثال الذي تقطع به الشّعر بإزاء الكلمة من البيت، فتضع السّاكن بإزاء السّاكن، والمتحرّك بإزاء المتحرّك، وإذا تمّ الجزء وقفت عنده وابتدأت فيما يبقى من الكلام في الجزء الذي يليه على ذلك حتى تنتهي إلى آخر البيت"[15].

من هنا اختلفت الكتابة العروضية عن الكتابة العادية في كتابة ما يسمع أو يقرأ أو ينطق فقط، ككتابة نون التّنوين، وحذف ما لا ينطق، كألف الوصل الواقعة بين كلمتين، من نحو: (وضعت القلم). ومن هنا اعتبرناها نموذجا من نماذج الكتابة الصّوتية، وأنا أقصد هاهنا تلك المحاولات العلمية الجادّة التي سعى أصحابها إلى الكمال، المتمثّل في موافقة الصّورة للصّوت وتمثيل أفضل لها، وتجدر الإشارة إلى الأبجدية الصّوتية الدّولية (IPA) فقد هدف واضعوها إلى بلوغ مستوى يؤهّلهم إلى وضع رموز كتابية من شأنها تمثيل جميع لغات البشر، وأعلنوا عن فكرتهم بعدما تبلورت بشكل واضح، ضمن المشروع العالمي المعروف بالألفبائية الصّوتية الدّولية المؤسسة عام 1896، وهي خاضعة بالأساس إلى علم الأصوات العامّ[16]. إلاّ أنّه يمكن التّحفظ بشأن هذه الأبجدية لأنّها موضوعة بالرّمز اللّاتيني، فلنتخيل كيف يمكن المزج بين هذه الرّموز وبين الخط والكتابة العربية، فلابد أن يتولد لدينا مزيج غير متجانس ولا متناسق، يدلّ دلالة واضحة على عدم تطوّر العربيّة. ثمّ

إنّها غير متداولة عندنا، فلا نكاد نلمح آفاقها عندنا وخاصّة في البحث العلمي إلاّ ما ندر من بحوث صوتية أو من أنشطة في مجال التّرجمة حيث يضطر الباحث أو الطالب إلى معرفتها وفكّ شفرتها. فهي مجرد اقتراح لا يستهوي الكثير من الباحثين العرب. وأفترض أنّ هذه الفجوة هي ما جعل الدّكتور محمد بن منصور الغامدي يصمّم ما أسماه بـ: "الألفبائية الصّوتية الدّولية العربية" المختصرة في "أصدع"[17]، التي استبدلت وغيّرت الكثير من الرّموز إلى العربية وتجنّبت التّكلف وشملت كلّ الرّموز الواردة في الألفبائية الصّوتية الدّولية (IPA)[18]. ولكن يبدو أنّ ما وقعت فيه الأبجدية الصّوتية العالمية، ستقع فيه الأبجدية الصّوتية العربية، من حيث عظمة الهدف! ويبدو أن شغف الإنسان بالتّطور لن يقف عند حدّ معين فقد ظهرت تقنية جديدة تتمثّل في تحويل الصّوت إلى كتابة[19].

وقبل هذا التّاريخ بأكثر من أربعة عشر قرنا من الزّمان ظهر القرآن الكريم، وتولّدت الحاجة إلى تدوينه مخافة اللّحن الذي قد يصدر عن المسلمين، عربا كانوا أم عجما، وحفظه في السّطور والصّدور معا. وما أصعبها من مهمّة! إذ أنّ الكتبة في بلاد العرب كانوا قلة قليلة لا يتجاوز عددهم العشرة[20]. ومع ذلك تمّت كتابة القرآن الكريم كاملا في عهد النّبي، صلى الله عليه وسلّم، وجمع في عهد أبي بكر الصّديق، ثمّ في عهد عثمان رضي الله عنهما، ثم طرأت تحسينات كثيرة أوّلها ما عمله أبو الأسود الدّؤلي، إذ نقط المصحف "نقط إعراب"، وظلّت عجلة التّطور تدور إلى أن طرأ عليه "نقط الإعجام" في عهد الحجّاج بن يوسف الثّقفي، وكان من نصيب صنيع الخليل بن أحمد أن يجري على المصحف الشّريف بعد رهط من الدّهر، وهو العمل المسمّى بـ: "شكل الشّعر". فضلا عمّا أضافه القرّاء عبر أصقاع البلاد الإسلامية شرقها وغربها من رموز دقيقة للغاية. ويندرج كلّ ما يتعلّق بكتابة المصحف الإمام تحت مسمّى "رسم القرآن وضبطه"، فأمّا الرّسم فهو

الوضع الذي ارتضاه سيدنا عثمان رضي الله عنه في كتابة كلمات القرآن الكـريم وحروفه، ومن مظاهره أو قواعده ما يعرف بالحذف والزيادة، الهمـزة، الفصـل والوصل، ووجود قراءتين لنفس اللفظ. وأمّا الضّبط فهو ما أضيف إلى الرسم مـن مثل علامات الإعراب وعلامات البناء ورموز الإدغام والإمالة الكبرى، وإشـباع المدود وغيرها[21].

وعلى كلّ فالعمل الذي كتب وضبط به المصحف الإمام، هو إنجاز حضـاري صرف[22]، ضافرت لأجله جهود جليلة، والتفت حوله نيات طيبة، ابتداء من جهود أبي بكر وابن مسعود وزيد بن ثابت في بناء رسمه، وصولا إلـى القـرّاء الّـذين أحكموا ضبطه. فبدلا من استعارة أنظمة ورموز كتابية أخرى غريبة عن الحضارة العربية، علينا أن نستغلّ هذا الموروث لأنّه أثبت جدارته في التّوجيـه الصّـوتي، وعلى مستوى المصطلح العلمي الذي تكرّس منذ 1400 عام في أوسـاط القـرّاء، بحيث نجد المصطلحات الصّوتية تملأ الكتب والمتون وأواخر صفحات المصاحف، ونحن إذ نقول المصطلح فنحن نقصد ذلك المصطلح الّذي يتداوله النّاس ويتّفقـون حوله، فإذا قلنا علامة الإدغام استحضرنا جميعا الشدّة، وإذا قلنا علامـة الإمالـة الكبرى استحضرنا تلك العلامة المدورة المملوءة حبرا، وإذا قلنا علامـة الصّـلة الكبرى، تصوّرنا ما يشبه المطّة، وهكذا... ثمّ إنّ تعليم العربية لأبنائهـا ولغيـرهم وكذا ضبط الاختلافات والتّنوعات اللّهجية، والصّناعة البطيئة نسبيا للمعاجم عندنا، كلّها مجالات تدعونا إلى التّرميز لأصواتنا بأداوتنا وبمخترعاتنا. وفضلا عن ذلـك كلّه الوصول بالإملاء العربي إلى أعلى مستوى من مستويات وفاء الكتابة لمجموع الأصوات المنطوقة.

وفيما يلي سأعرض مجموعة من الاقتراحات، عسى أن يُنظـر فيهـا فتعتمـد أو تستبدل فالأمر سيان عندي، لأنّ هدفي هو تكوين تصوّر لمشروع تدعيم أواصر الكتابة

العربية برموز المصحف وبعض مظاهر تفرّده، وكذا ما جادت به قريحة القّــراء مــن ضبط لبعض الظّواهر الصّوتية، لأنّني مقتنعة بأنّها كتابة صوتيّة في مجملها، كيــف لا وهي تلك الكتابة الّتي جمعت بين أحضانها عددا من القراءات السبع

أولا: في الحروف:

أ – **الهمزة المحققة:** تُعتبر الهمزة من أكثر ما يخطئ فيه الكاتبون، سواء مــن العامّة أم من الخاصّة، رغم أنّها حرف كبقيّة حروف المعجــم مــن حيــث تنــوّع وضعياته داخل الكلمة، وتأثره بالصّوائت السّابقة له أو اللّاحقة بــه، ومــن حيــث حركته وسكونه، إلاّ أنّه يختلف عن بقيّة الحروف بعدم استقرار شكله على صــورة محدّدة، فأحيانا تقترن الهمزة بالألف فتكتب إمّا أعــلاه أو أســفله (أ– إ)، وأحيانــا تقترن بالياء أو الواو، فتكتب أعلاهما (ئ – ؤ)، وأحيانا تستقل بذاتها عن حــروف المدّ المذكورة، فتكتب بمفردها(ء)(ء)"[23].

لذلك فكّرت مليا في رمز الخليل، وهو رأس عين صغيرة، وما شجعني علــى ذلك، هو مقترح محمد بن منصور الغامدي، الذي رشّحه أيضا بل ووضعه ضــمن قائمة الرّموز المعتمدة في أبجدية "أصدع". وحين تصوّرت الكلمة العربية وفق هذا الاقتراح بدا الأمر ممكنا جدا، ولكن عندما كتبت بعض الأمثلة، من مثــل: ءقــول (أقول) وسءم (سئم) وسءال (سؤال)، تبيّن لي أن هذه الأشكال ناشزة، قــد تقلــب مبدأ أساسيا من مبادئ الكتابة العربية، وهو اتصال الحروف وفي ذلك أيّما دلالة.

لذلك اخترت للهمزة ما اخترته للألف والواو والياء من تصغير للحجم وتنحيفه، في ما نملك الآن من تقنية. فتكتب كلمة من نحو: (أقول) هكذا: أقول أي كما هــي لأن القاعدة الإملائية فصلت في أمر الألف فلن يتداخل مع الهمزة في أوّل الكلمــة. وتكتب سئم هكذا: ســئم، وكلمة لؤم، هكذا: لــــؤم.

وكان هذا اقتراحي سنة 2012، ولكنّي عدت أدراجي واستحضرت موقفي السّابق حيال إصلاحات الكتابة العربية، المتمثّل في إلزامية عدم المساس ببناء الكلمة العربيّة في صورتها الخطّية، لذلك فأنا اليوم أدعو أهل الاختصاص إلى التّفكير في مسألة الهمزة بجدّية أكبر انطلاقا من تصوّري هذا.

ب – الهمزة المخفّفة: لا يُثبِت الإملاء العربي العادي الهمزة المخفّفة، وكأنّه لا يعترف بها، مع أنّها موجودة في واقع الكلام، وكأنّ الذي وضع رمز الهمزة[24]، وهو فيما علمنا، أبو الأسود الدّؤلي، تنبّه إلى اختلافها عن الهمزة المخفّفة، وكان يقصد بالرّمز الذي وضعه، الهمزة المحقّقة. لقد أثار عبد الصّبور شاهين هذه القضيّة، ومع أنّني "صُدمت" لأوّل وهلة إلاّ أنّني اقتنعت بها في الأخير، فأيّ تغيير في وضع الحنجرة خلاف الوضع الذي اتّفق عليه الأصواتيون، المتمثّل في انطباق الوترين الصّوتيين انطباقا تامّا وشديدا بحيث لا يسمح للهواء بالمرور مطلقا، لا يولّد صوت الهمزة[25]. ثم اطمأننت واستحضرت فكرة أنّ للصّوت وجهين هما الصّورة الذّهنية والصّورة النّطقية، فواو المدّ الأولى في ﴿مومنون﴾ هي في ذهن المتكلّم همزة إلاّ أنّها خفّفت بالصّوت الذي منه حركتها (الضمّة).

وعموما سوف لن أفصّل في فيزيولوجية الهمزة المخفّفة[26]، بل سأكتفي بذكر أنواعها، لأصل في نهاية هذا الحديث إلى اقتراح رسمها مخفّفة في الكتابة العادية وما درج النّاس عليه في إملائهم، وأخص بالذّكر، علم اللّهجات وعلم الأصوات وكذا في تسهيل نطق المداخل المعجمية العربية طبعا. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ تخفيف الهمز أنواع، هي:

1– التّسهيل بين بين: هو تّليين للنّبرة التي تكون في الصّدر على حدّ قول المبرّد[27]، وهي تلك الكيفية التي تصاحب عملية النّطق بالهمزة. ورمزها عند القرّاء هو إخلاؤها من صورة رأس العين الصّغيرة الموضوعة عادة فوق الألف،

في مثل: ﴿سأل سائل﴾ سال سائل. ووفقا للسّياق الذّي أنا بصدده، أقترح أن نعتمد نفس الطريقة في إثبات وجود ظاهرة التّسهيل بين بين في الكلم مع إضافة نقطة بين يدي الحرف (الهمزة المسهلة بين بين) فتكتب هكذا: سا.ل سائل، ولابدّ أنّ الأمر سيتعلق بنقد الشّعر أو خلال درس اللّهجات العربية، أو تحليله خطاب، وهلمّ جرا. والاقتراح التي قدّمته منسجم مع أسلوب النّقط الذي تبنّاه أبو الأسود الدّؤلي، وهي تلك النّقطة الحمراء.

2- **الإبدال:** يعرّف الإبدال بأنّه إحلال صوت مكان صوت آخر، تبعا لتوفّر مسوّغات صوتيّة كالتّقارب أم التّجانس، وشروط إبدال الهمزة المراد تخفيفها من الأصوات الثّلاثة، الألف والواو والياء، هو أن تكون ساكنة مسبوقة بحرف متحرّك، سواء في الانفصال أو الاتصال من الكلمة أو الكلمتين، بمعنى آخر، "إذا سكنت الهمزة وأُريد تخفيفها نظر إلى حركة ما قبلها، فإن كانت فتحة صارت ألفا، وإن كانت ضمّة صارت واوا، وإن كانت كسرة صارت ياء، مثل رأس وراس، وجئونة وجونة، وذئب وذيب، والمنفصل كالمتّصل في هذا التّخفيف، فتقرأ: إلى الهدى أتنا: إلى الهداتنا، ويقول أذن: يقولوذن، والذي **أؤتمن:** الذيتمن، الذي يأمن وهذا قياس مطّرد"[28]. والرّمز الذي أقترحه هنا هو نفسه الرّمز المعتمد في المصحف الشّريف، من نحو: رأس تكتب راس، وهي طريقة غير معقّدة بحيث تتوافق فيها الصّورة والصّوت تمام الموافقة.

3- **الحذف:** يتحقّق هذا النّوع من التّخفيف عند تجاور همزتين متّفقتين في الحركة في كلمة أو كلمتين، من نحو: ﴿جاء أحدكم﴾، و﴿هؤلاء إن﴾... والملاحظ أن الحذف في مثل هذه الأمثلة حقيقي، وليس اصطلاحيا فقط، بحيث حذف مقطع صوتي حذفا كاملا، وهو حرف الهمزة وحركتها[29].

أمّا بخصوص الرّمز الذي أقترحه بالنّسبة لهذا النّوع من التّخفيف، "الهمزة المحذوفة"، فأفضل الحذف التّام للهمزة، فنكتب في مثل: ﴿جاء أحدكم﴾، جا أحدكم، تماما كما كتبت في المصحف الأمام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه؛

4- **النّقل**: النّقل هو لون من ألوان التّخفيف، تنقل خلاله حركة الهمزة إلى ما قبلها مع حذفها، كقولنا: ﴿قد أفلح﴾، إلّا أنّ الأمر يتعدّى مجرّد النّقل إلى الحذف، بحيث تحذف الهمزة حذفا وبالتّالي ينبغي أن نقول: "النّقل والحذف" معا. ومن أمثلته: ﴿قد أفلح﴾، تُقرأ "قدَ فلْح". وبهذه الكيفية أقترح أن تقيد الهمزة في حالة النقل. وأجدني مضطرّة إلى هذا الاقتراح لأنّه لا يمكن أن نوجّه القارئ إلى "صوت" نقل في هذه الحالة إلا بهذه الطّريقة، وللأسف لا وجود لمثل هذا التّمثيل في المصحف الشّريف، وأحبّ أن أذكّر مرّة أخرى أنّني أوّجه هذا المقترح للمختصّين بتعليم العربيّة لغير النّاطقين بها، أو لتسهيل نطق المداخل المعجمية للّهجات العربية، أو لتعليم نطق القرآن الكريم، والله أعلم.

ثانيا: الحركات:

أ - الحركات القصار:

1- **الفتحة:** من خلال وضعية اللّسان أثناء نطق حركة الفتحة، تبيّن أنّه في وضعية استراحة، لذلك يرجّح أن لا يعمل اللّسان في إنتاجها، وإذا تحرّك فسدت، ومن هذا المنظور، تسكن الأعضاء كلّها، لتحرّك الصّوت، والسّاكنة هي أعضاء التّوجيه لأعضاء التّوليد. وهذه جميعا أحوال الفتحة كصائت منطوق[30]. وممّا يلاحظ أيضا أن اللّسان يكون مع الفتحة ثابتا لا يتحرّك[31] ممّا يتيح لنا وصف الفتحة بأنّها صائت بسيط... أي لا يتحرّك اللّسان أثناء أدائها لينتقل إلى صائت آخر[32]. وأمّا وضعية الشّفتين أثناء نطق هذا الصّوت فتكون منفرجة[33]، وعلى هذا الأساس الفيزيولوجي أقترح أن تكتب الفتحة بين يدي الحرف، للدلالة على

حياديتها، سواء أكانت حركة إعراب أم بناء، من نحو: سأل سأل، مع ميل بتلك الشّرطة، فالخليل جعلها ألفا مضطجعة: هكذا:

2- **الكسرة:** عند نطق الكسرة يكون وسط اللّسان معها في أقصى حالة ممكنة من الارتفاع دون أن يؤدّي ذلك إلى إيجاد احتكاك أو غلق، ينتج في "نصف صائت" أو كما يطلق عليه "نصف علّة". أمّا الارتفاع فيكون باتجاه الغار مع وسط اللّسان. ويتحقّق ثبات اللّسان بعد ارتفاعه، ولا ينتقل إلى حركة أخرى. وهناك عنصر آخر يعمل خلال إنتاج الكسرة إلى جانب اللّسان وهو الحنك السّفلي، بحيث ينخفض مع ميل إلى الجانبين(34).

أما شكل الشّفتين أثاء نطق الكسرة، فهو شكل منفرج يميل إلى شكل الابتسامة، وقد نسب مصطلح الكسر إلى انكسار الشفتين إلى الخلف"(35).

وعلى هذا فإنّني أقترح أن تحتفظ "بموقعيتها" الخطية، مع الرّجوع بشكلها إلى ما وضعه الخليل، وهو ياء صغيرة أسفل الحرف بدلا من الشّرطة التي نعتمدها عليها اليوم هكذا: (ى).

3- **الضمّة:** ينطلق صائت الضمّة من الحنجرة كغيره من حركتي الفتحة والكسرة، ثم يمرّ بالتّجويف الفموي قرب اللّهاة فيتكوّن هناك بارتفاع مؤخّر اللّسان، ويصل الصّوت أخيرا إلى التّجويف الشّفهي، وهناك تستديران له، مشكّلة فتحة دائرية ضيّقة، وعلى العموم فالضمّة مستعلية مرتفعة في بداية الفراغ الفموي، ومضمومة مفخّمة في نهايته، "...كما أنّها تكون مستعلية مرتفعة في بداية الفم وينتهي بها الأمر مستقلّة مستوية في نهايته"(36).

وبخصوص رمزها فإنني أقترح أن تبقى على حالها، لأنّه تحقّق فيها الرّمز المناسب والوضعية، فرمزها يشبه الواو التي هي بعض منها.

ب – الحركات الطّوال: لم أشأ أن أتحدث عن فيزيولوجية الحركات الطّـــوال، لأنّها متّفقة مع الحركات القصار، وأمّا الفرق فيكمن في المدّة فقط، لـــذلك ســـأمرّ مباشرة إلى الحديث عن مقترحي الإملائي، لأقول: لقد تبيّن لي أنّ ما بين حرفـــي المدّ الواو والياء وبين الصّامتين الواو والياء المدّيتين من اختلاف، فالأولى حروف والثّانية حركات، ومع ذلك احتفظتا بصورة مشتركة. وعلى كلّ، فبعد أن اجتمعـــت الأمّة على هذا المصحف، المصحف الإمام، وأخذ علماء اللّغـــة وأغلـــبهم قـــرّاء، يصنّفون في مسائل القراءات، ظهرت الحاجة إلى استخدام رموز إيضاحية، لتفريق القراءات بعضها عن بعض، وبيان طرق آدائها أداء صحيحا سليما[(37)]، وكان مـــن بينها رموز المدّ ودرجاته، ومن خصائصها أنّها رموز متّسقة ومنسجمة مع النّظام الإملائي العربي.

لقد وضعت للمدّ خاصة لصوت الألف، علامة صغيرة تشبه الألف تسمى الألف الحنجرية وتوضع فوق الحرف الممدود، مثل ﴿الرحمن﴾، وهذا في أحوال الحذف كلّها وأنواعه (حذف الإشارة وحذف الاختصار، وحذف الاقتصـــار). أمّـــا اليـــاء والواو، فلم يرمز لها، ولا يوجد ما يدل على حذفها إلاّ الصوت أثناء القراءة. وأمّا في حالة إثبات حروف المدّ، فإن رموزها جميعا توافق الإملاء العادي، الذّي نكتب به اليوم. بمعنى، الألف توافق رمز (ا) الياء توافق رمز (ي) الواو رمز (و).

ونحن إذ نقول المد فإنما نعني القصر عند القراء أما ما زاد عليه مقدارا وكمـــا وامتدادا، فيرمز إليه بهذا الرمز ٓ وهو ما يعرف باصطلاح المطّة. وأمثلة ذلـــك كثيرة ومتنوّعة، ومنها رمز الصّلة الكبرى، ورمز المدّ قبل الهمزة، ومنها المدّ قبل الحرف المشدّد. ففي مثل الصّلة الكبرى نجد الآية الآتيـــة: ﴿بعضـــكموٓ أوليـــاء بعض﴾، ثم أضيف لها رمز المطّة. ونلاحظ أنّ الكلمة الأولى كتبت علـــى لفظهـــا خلافا للقاعدة الإملائية، ثم أضيف لها رمز المطّة، للدّلالة على أنّ مقدار المدّ هنـــا

ستّ درجات. بينما جُرّدت الصّلة الصّغرى من هذه العلامــة، لأنّ مقــدارها هــو مقدار القصر أي حركتين. وذلك في مثل ﴿نوته منها﴾، وقد أتت الدّال هنــا لتــدلّ على ذلك، علما بأنها منفصلة عن الكلمة التي قبلها أي عن الحرف الممدود بها.

نستنتج أنّ القرّاء اعتنوا كثيرا بدرجة المدّ، ورمزوا إليه، مخافة الإخلال بأحكام التّلاوة، واستمرّت الكتابة العربية تعامل الصّوائت الطّويلة معاملة خاصّــة، وهــي أنّها ترمز بنفس الرمز للواو المديّة والسّاكنة، ولليناء المدّية والسّاكنة(38).

إنّ الّذي أريد أن أصل إليه، هو اتّخاذ رموز القّراء أدوات خطّيــة بــل تقنيــة تضاف إلى الكتابة العادية لأنّها بحقّ موجّه صوتي عالي الجودة.

ج – الإمالة: نأت الكتابة العربية في أوّلياتها عن تمثيل الحركات تماما، بل وحتّى المدود أحيانا، ورجّحت أن يكون مردّ هذا العزوف إلى خاصّــية التّغيــر والحركــة المستمرّين، فلو تصوّرنا مثلا جذرا معينا وليكن ثلاثيا، وناوبنــا مــن خلالــه بــين الحركات القصار والطّوال، لعاينّا حركة الصّوائت عــن كثــب، وبشــكل أوضــح، ولأدركنا أنّها دليل نظام متكامل، ودليل التّشكيل الرّياضي الكامن في التّشكيل اللّغوي في العربية، ولأدركنا أيضا أن الكتابة الهجائية في مراحلها الأولــى التزمــت بقلّــة الرّموز للتّخلص من ركام الكتابة المقطعية وقبلها الكتابة الرّمزية، خاصّــة إذا كــان العربي في تلك العهود يفصل فصلا ذهنيا بين ما هو من حركات الإعراب، وما هو من حركات البناء. وبين الحركة الواحدة في موقعية البداية والوسط والنّهاية، وهــذا احتمال وارد جدا، على أساس أن ذلك الرّجل البدوي استطاع أن يربط بــين الفعــل وفاعله بحركة الرّفع، وبين الفاعل ومفعوله بحركة النّصب، ولا يمكن أنّه وصل إلى ذلك اعتباطا، بل لابدّ أنّه استخدم الفكر العميق والإحساس المرهف.

ولذلك كلّه لا داعي لتجشّم عناء البحث عن بقايا آثار حوَت رموزا لألفات ممالة في هذه الكتابة، وعلى العموم فهي غير موجودة في النّقوش التي عثر عليهــا فــي

بلاد العرب[39]. إلاّ أنّها موجودة في رسم القرآن الكريم وبجلاء[40]. وقد فُسّرت هذه الطّريقة بالإبدال الرّسمي، والمقصود به إبدال حرف بحرف آخر في كتابة كلمات القرآن الكريم، ورسمها بكيفية خاصّة، وقد عرفنا الإبدال الرّسمي بأنّه: تلك المسافة الفاصلة بين الهجاء المتداول بين الناس، وبين الهجاء المصحف الشريف من حيث البدل: وقد حصره إبراهيم المارغني في أنّه كلّ ما جاء مرسوما في المصاحف بألف على اللّفظ وأصله أن يكون مرسوما بالياء لكونه من ذوات الياء وكذا ما جاء مرسوما بالياء، وأصله أن يكون بالألف، مضيفا إلى هذين النّوعين نوعا آخر، وهو ما رسم بالواو عوضا عن ألف في اللّفظ[41].

وعلى هذا الأساس بنينا تصوّرنا لرمز الألفات الممالة، فاستعمال ياء بدلا عن ألف مثلا معناه توجيه القارئ إلى جواز إمالة هذه الألف نحو الكسرة، وما دامت علامة الكسر لم تكن موجودة حين كتابة المصحف الإمام فقد استبدلت ياء لما بينهما من قرابة. وهكذا يكون الإبدال الرّسمي قد أدّى وظيفة صوتيّة، بحيث رام الضّبط والرّمز للهجة الإمالة، وكما أنّها لهجة انزاحت عن الأصل، الذي هو الفتح، فكذلك انزاحت علامتها الإملائية عن القاعدة. ولأجل ذلك كلّه وجدت أنّ مثل هذه الطّرق الكتابية من صميم رسم القرآن الكريم، وهي منسجمة تماما مع روح الكتابة العربية لذلك فضّلت الاحتفاظ بها كما هي، وأنا أقترح مجدّدا اعتمادها في علم اللّهجات على الأخصّ. أمّا رمز النّقطة السّوداء تتناثر في المصاحف المغربية والتي تشير إلى وجود إمالة كبرى في نحو: ﴿أحوى﴾ فإنني أقترح أن تتّخذ رمزا قارا في الكتابة العربيّة تستدعيه كلّما احتاجت إليه.

وهناك علامات أخرى مثل علامة الرّوم والإشمام والصّلات لألفات الوصل وقد أتيت على ذكرها في بحثي الموسوم بـ: "الكتابة الصوتية العربية"، أرجو أن تبعث من جديد وخاصة في كتابة الشعر.

والله ولي التوفيق.

هوامش البحث:

---

[1] الفهرست، ابن النديم، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 75.

[2] نفسه، ص 58.

[3] صبح الأعشى في صناعة الإنشا. أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، نسخة مصوّرة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة الوطنية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ج3، ص 40.

[4] مقدمة كتاب العبر ...، عبد الرحمن بن خلدون، دار القلم، بيروت لبنان، ص461.

[5] فلسفة اللغة والألفاظ العربية. جرجي زيدان، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان الجزء الثاني، ص174 و175.

[6] للاستزادة من المعلومات الخاصة بمسالك الكتابة العربية ينظر مدخل رسالة: " الكتابة العربية الصوتية"، فاطمة الزهراء حبيب زحماني، سنة 2011 –2012، في مدخل الرسالة تحديدا من ص12 إلى ص17.

[7] بدائع الخط العربي، ناجي زين الدين المصرف، دار النهضة، بغداد، ودار القلم، بيروت، ص12.

[8] فلفسفة اللغة والألفاظ العربية، تاريخ اللغة العربية، جرجي زيدان، ص174.

[9] نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية، فوزي سالم عفيفي، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ص17.

[10] نفسه، ص14. ويشير المرجع إلى أن أشهر هذا النّوع من التّعبير الصّوري الرّمزي هو الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة، والحيثية بآسيا الصغرى، والآشورية في العراق، والصّينية في الصّين، وكلّ منهما نشأ في بلاده ولم يأخذ عن غيره.

[11] فلسفة اللغة والألفاظ العربية، تاريخ اللغة العربية، جرجي زيدان، ص176.

(12) نفسه، ص 177.

(13) سيأتي الحديث عنها لاحقا في عنصر" الحركات "من ص؟

(14) يقول ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة، الجزء الأول، ص144:" وأول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد، فوضع فيه كتابا سماه " العروض" استخفافا، ثم ألف للناس بعده واختلفوا على مقادير استنباطهم حتى وصل الأمر إلى أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري فبين الأشياء وأوضحها في اختصار وإلى مذهب يذهب حذاق أهل الوقت وأرباب الصناعة".

(15) الكافي في العروض والقوافي، الخطيب التبريزي، تحقيق: الحسانس حسن عبد الله، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الثالثة، 1994م، ص19.

(16) راجع: أطروحة:" الكتابة الصوتية العربية"، فاطمة الزهراء حبيب زحماني. السنة الجامعية 2011 – 2012، من ص28 إلى ص31.

(17) ألفبائية صوتية دولية بالحرف العربي، المؤتمر السنوي التاسع للتعريب / للتقريب / العلوب – جامعة عين شمس– القاهرة، سنة 2003.

(18) راجع أطروحة: " الكتابة الصوتية العربية"، فاطمة الزهراء حبيب زحماني، من ص31 إلى ص37.

(19) ________________________

(20) تاريخ الكتابة قبل الإسلام وعدد الكتبة في أول الوحي.

(21) كل التفاصيل موجودة في رسالة: "رسم القرآن الكريم دراسة صوتية"، فاطمة الزّهراء حبيب زحماني. سنة 2000.

(22) بل هو توقيف من الله تعالى.

(23) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص11.

(24) المحكم في نقط المصاحف، أبو عمرو الداني، تحقيق: عزة حسن، مطبوعات: مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، سنة 1960.

(25) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي... أبو عمرو بن العلاء، عبد الصبور شاهين، ص 166.

(26) قمنا بشرح كيفية حدوث عملية تسهيل الهمزة بين بين في أطروحة:" الكتابة الصوتية العربية"، ص164 إلى ص166.

(27) المقتضب، المبرد، ج1، ص155.

(28) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، عبد الصبور شاهين، نقلا عن شرح المفصل، ج1، ص107.

(29) القراءات وأثرها في علوم العربية. محمد سالم محيسن، ص96.

(30) يراجع: الوظائف الصّوتية والدّلالية للصّوائت العربية، مكي درّار، ص55.

على الرّغم من سكون اللّسان واستقراره إلا أنّ هناك جزءا متحركا وهو وسطه، إذ يرتفع ارتفاعا طفيفا
(31) (بدرجة دقيقة). والجزء الّذي يتّجه صوبه هو منطقتي الغار والطّبق اللّين.
(32) الأصوات اللّغوية، عبد القادر عبد الجليل، الطبعة الأولى، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ص209.

(33) نفسه.

(34) الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، ص310. ويراجع دراسة في أصوات المد العربية، فاضل غالب مطلبي، دراسة في أصوات المد العربية، ص35.

(34) علم اللغة العام، قسم الثاني، الأصوات، كمال محمد بشر، الطبعة الثانية، ص198.

(35)

(36) الوظائف الصوتية والدلالية للصوائت العربية، مكي درار، ص178.

(37) يرجح أن يكون ذلك مع ازدهار علم القراءات القرآنية واكتمال اصطلاحاته، أي في مطلع القرن الثالث الهجري، مع اول المصنفات فيه، مثل كتاب القراءات لعبيد القاسم بن سلام (154هـ – 224هـ).

(38) للاستزادة راجع: أطروحة الكتابة الصوتية العربية، فاطمة الزهراء حبيب زحماني، ص97.

(39) نقش النمارة، ونقش حوران، ونقش أم الجمال

(40) مادة هذه الفكرة موجودة في رسالة: " رسم القرآن الكريم – دراسة صوتية –"، فاطمة الزهراء حبيب زحماني، من ص99 إلى ص107.

(41) دليل الحيران على مورد الضمآن، إبراهيم المارغني، دار الطباعة للنشر، ص203.

بلاغة القرآن الكريم ومشهدية اللغة البصرية من خلال جهود الدكتور (حبيب مونسي) في مؤلفه (المشهد السردي في القرآن الكريم)، قراءة في قصة سيدنا يوسف.

د. زينب لوت
المدرسة العليا للأساتذة، مستغانم.

تجربة الباحث (مونسي حبيب) في مجال القــراءة تختلــف اخــتلاف منشــئ لمعطيات تنتج الحركة في مشهديتها، وتؤسس منحى تأثيث الفضاء النصي، حيــث يتزامن النقد مع تطور النظرية، وتفاعل الناقد بالقرآن الكريم من حيث هو افتعــال لمزايا تُطَاوع الفكر حينا وتراود القيمة النصية حيناً آخر والاعجــاز هــو مزيــة اختلف وجودها في المخيال البشري، لكن ما هو التأســيس؟ ومــن أيــن يرتقــي المُؤسس؟ خلف جسد نُعِد قوامه من أجل ضخ المقروء في صفة القارئ الإجرائــي فينثني جملة وتفصيلا في هذا المنجز المعجز.

تتزامن الخيوط الرفيعة في ترويض المقاس حسب القياس، وتشــكيل العبــارة، وتمثل اللفظ بتمثيل المعنى، يعنى القرآن الكريم بجملة محققات لا تقدر كينونتها إلا في نثر منحنيات المعنى، ومكمن الجمال الذي ينزوي في عدة خواص وهي جمــل تفسيري، تحليلي، طقوسي، تفاعلي، ارتباطي، وتأويلي.

ومن خلال هذه المداخلة محاور قرائية لمقروء قرآني كريم في سورة يوســف التي تناولها دراسة الباحث (مونسي حبيب) ومن خلال قراءة القراءة يتسع المجــال

لسبر الآراء والتحولات من مشهد لآخر بين: محور منفعل- ومحور فاعل يضم كلاهما مشاهد تنتج عناصر التصوير.

مقدمة: يتداول الفكر المعاصر القضايا النقدية، والأبعاد التصورية، والارتكاز الآني بمحور الانتقاء والتركيب، وتثبيت النصوص المتخفية والظاهرة، وتعبئة الفواصل، والفراغات، وشطف حدود النص بنص الموازي، ويقتضي للمفكر ان يمشط المقروء، وينظر للنص بوجهة نظر جاهزة يتم فيها ضخ جملة التحققات السابقة ويبقى المحقق لا حقا لتوقعات الحوافز المهيئة لنظر والتمعن المستديم والقار، واكتساب ردود فعل تتناءى مع المد والجزر الحاصل والمحصول بين رؤى النقد وتهافت المصطلح تحديدا وحصرا لسجل النص الذي ينعت مرة بالمفتوح وأخرى بالمغلق وأحيانا.

1- اللغة البصرية وحركة المشهد القصصي الاعجاز والبناء الفني في القرآن الكريم: يتجاوز الباحث المحنك "مونسي حبيب" في امتحان النص العربي أمام هالة المنافذ النقدية الغربية.. ليسقط فكره على الحقائق، وملامسة مقاييس النص مقارنة بالإكراه التقني الممارسة عليه فنجده مهدئا ملمسا لجمالية تمخضها فيافي النص وسواحله وبواعثه المتنامية بامتداد الفكر، وتسلل المتمعن المتمرس في مختلف اوضاعه، ويترع ممعنا متمعنا بين أصوله وجزئياته، وفصوص لغته، ليس التوخي في حاجة التدوين، ولا في غاية التمرن، بل بترويض النصوص عودة لأصول الفعل الكتابي، وخطوات الممارسة، إلى جمالية التمرس القرائي، وتأصيل الكتابة بفعلها الاستقرائي للوجود، والتواجد مخاطبة لتأني الهادف، والهدف الآني خلف المقروء، فلسفة تعيد المنطق، وتتحكم في منطلقه فهل نحن نقرأ لنستوعب الجمال؟ أم نرصد الجمال الذي يعبئ في وعاء جاهز لأشكاله؟ لماذا نقرا وماذا نريد من

النص إذ كان ما سنقيسه سيصلب قراءتنا الأولى بداية بالتقاط ما يشبع غرائز الاتجاه النقدي، ويجمد أطراف النص عنوة.

يعد المشهد السردي في القرآن الكريم تمثيل الواقع الوجودي، وتعميق جوهره المحفز للوعي، والمسيطر على واقعية الجاهز لتفتيت خواص جاهزيته وابتكار العوامل الجديدة للاستغناء عن الوجود الفعلي ومعايشة ما هو مركب لكنه لا يكسر إطار الكون إلا بتكريس اللّغة نحو إمكانية البلاغة من جهة والتبليغ المعجز والمحرك للحس النفسي والروحي والذهني يخرج الباحث "مونسي حبيب" عن التفسير الفقهي الذي ينتج التأويل، أو عن الباعث التحليلي لسورة وجمالياتها، بل ارتبط البحث في مركزية المشهدية، وصورة التي تشكلها الكتابة، في مخملية العمران الهندسي لسرد، وترقين عملية دقيقة الفحص خلف الصورة وتصوير معا، وسورة "يوسف" تتوافد فيها منحنيات تتقاسم الرؤية وتقدم أحداثا متعالقة في الأخير كما (قال الأستاذ المبارك رحمه الله: "هذه أطول قصة من كتاب الله تضمنت مشاهد كثيرة متوالية:

أولها يمثل طفولة يوسف إذ يقص رؤياه على ابيه يعقوب (الآيات 4–7)

تآمر إخوة يوسف لقتله او إبعاده وما نفقوا عليه من بعد المذاكرة وإقناع أبيهم بإرسال يوسف معهم (الآيات 8–14)

التقاط يوسف وخروجه من البئر (الآيات 19–20)

يوسف في مصر في بيت العزيز وتبدأ في حياة يوسف مأساة جديدة دوافعها الإغراء والإغواء وسببها العفة والإباء (الآيات 21–34)

يوسف في السجن، ويبدو لنا هنا هنا وجه جديد ليوسف ذلك هو الداعية إلى الله والموهوب الذي كشف الله على بصيرته فاستشف المستقبل المغيب خلال الرؤى والأحلام (الآيات 35-53)

ويتلو ذلك مشاهد متعددة فيها كثير من الحوادث والأزمات تنتهي بلقائه، لإخوته وتعارفهم وانتقالهم جميعا مع أبيهم إلى مصر حيث تصل الحوادث إلى نهايتها وتفتح أبواب الفر على مصراعيها وينتهي ذلك بتعبير يوسف عن شكره لله على نعمه (58-101))[1]

من خلال هذه التجزئة نرصد الحقائق الوضعية التي تواضع عليها التنزيل الحكيم للقرآن الكريم:

- **تقريرية في قلب الحدث.**
- **تمثيلية في واجهة الصورة.**
- **حركية في تماثل القيم ومماثلة الحركة.**

2- **تأثير القصص في ذهن القارئ:** يكفل التاريخ بجعل القصص نوعا من انواع التذكر، والتشكل الفكري لمستويات الصورة التي تمارس سلطتها في التواصل الفكري والانتباه، والتعقيد في مباحثة الذات، وتشفير قوانين الطبيعة، والتسليم لمكانتها وعظمة سحرها، وقوة أدائها، والمتتبع لفن القص يجد من البديع ما يتخفى خلف جموح التفاصيل حدثا ولغة ومساءلة تتجهز عنوة لتفجر طاقة المشهد، وتحرك أحداثه وتوقع بالمعاني والدلائل وتوخز الانتباه لمسافة الجمال بين أساليب التشكيل الجمالي **(تندلق "الصورة" في متن ما وتحديد هوية ذلك المتن من خلال نمذجته، وتجنيسه، هو الذي يسعفنا بالامكانات)**[2] وأما عن استخدام القصة وتوظيفها للدعم المعنوي، والشدِّ النفسي وتثبيت القلوب على المبادئ،

وتوطينها، على تكاليفها فتأتي هذه الإشارة القرآنية: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ **(هود** 120**))**(3) وإحداث توقعات دائمة وتأمل فطـــري ممـــنهج حول التشاكل المنبعث داخل فعالية الوقائع، لكن البديل فـــي القصـــص الواقعيـــة، والمنسوجة على وتر الأخيلة والفكر الذي يسقط معاني وقيما ســـلوكية وإنســـانية، ويثمر القصص القرآني على شاكلة الباعث التاريخي والحضاري والابستيمولوجي، امكانات وضعية لتصور شريعة واضحة في حياة الإنسان، واهتمام الباحث "حبيب مونسي" بفكرة المشهد ليس لطرح تقابلات في التصوير، وحدود الإطار وخامـــات الشكل بقدر ما هو حركة تنتج دلالة في أفق خبرات واعية، وإستراتيجية مؤسســـة، وتجلي ظاهر لأفق محدد التّصور.

تحدد سورة يوسف بالنسبة للقارئ مجموعة من التيمات العميقـــة، والديناميكيـــة التي حددها الدكتور "مونسي الحبيب" تعطينا استقلالية في تصور البناء القصصـــي الحامل للعواطف المتقاطعة مع الأفعال والأشياء، وتدرج الخطاب كحامـــل لســـعة اللغة وتوزيعها بيانيا وتركيبيا، إن الاتساع والتمدد والتدوير الذي ينســـبه الباحـــث للحكي يمنح القارئ انشغالا دائما بعملية أهم وهي الحركة، والحس المباشـــر فـــي استقراء طبيعة الموقف، والرسم المباشر على شفرات النص، ويمكن تصوير هـــذا التخطيط كما يلي:



الرسم البياني[4]

الرسم باللغة، والتشكل بالعواطف الحسية، وتوصيف الإطار يبرز المعالم التعبيرية (للكلمات طريقتها الشعرية الخاصة في محاكاة الحياة، وتجسيد حركتها)[5] وشعرية الكلمات في دراسة المشهد عند "مونسي حبيب" تتصل تتأى خلف الهيمنة والفعل المتشكل في فضاء النص المتسع لكل نماء تخيلي يرفع قيمة المعنى.

3- **المشهدية البصرية في سورة (يوسف)عليه السلام:** يشهد القرآن الكريم الحرص العلمي، والتعلم الحريص في تفشي أسراره، والإحاطة بمسعى الدين كخطاب فاعل، والقداسة المتفاعلة في ذهن القارئ، وحالة المتعة الروحية والتبسط النفسي بين آيات الله الكريمة، يجري مجرى الحس بواعث الاستقرار الفكري، والتفكر المستلقي على رخاء المعنى، وجودة لفظه، وسبك المنجز وموجز الخطاب، ومَكْمِلِ.. سهل التعاقب، مرن التجاوب بين المتلقي اللغوي الحريص على فراسة البليغ، وبلاغة المتفرس في خطوب الإعجاز وفصاحة المعجز.

1-المحور المنفعل.

المشهد الاول: الرؤيا بؤرة التشكيل: يفصل الباحث "مونسي حبيب" بين آيات السورة الكريمة "يوسف" والفصل بين آياتها تقليص الرؤية حول بواعث المشهد من كل قسم قرآني، بمثل حركة مشهدية، تثل بؤرة التشكيل الذي يبدأ من الآيات (1–18) بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٣ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ١٠ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ١١ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ١٢ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾

تمكن الآيات من تبئير الرؤيا في مركزية التشكيل السردي: يتشكل الفضاء التركيبي للقرآن الكريم، من مكونات تخلق اللون والحركة، واللغة الحاملة للمعنى، وتفاصيل التقاطع المترف بالتشريع الديني والحياة مباشرة التي يتقاسمها الإنسان في وجوده، ويتواجد معها في نفس الوقت، حين يحس المتلقي بمركبات الصورة، وهي تُنَمي رؤية تتعايش ومواطن الحس لدى المتدخل في تفتيش جمالياتها وترقب مفاهيمها، حيث يستند التشكيل المشهدي إلى إطار تنتظم فيه العناصر المشهدية، في خضوعها إلى توزيع خاص داخل الحيز المشهدي، فيكون منها ما نشاهده **(في دراسة النسق القرآني، وفي الرؤية إلى سوره واجزائها ومكوناتها والبحث عن الصلات المبثوثة في ثناياها بين الجزء والجزء والقضية والقضية لان السورة هي هذا الكل الذي لا يمكن فهمه إلا بالنظر إليه كلا متكاملا)**[(6)] والتنوع بين الأجزاء هو نفسه التكامل اللوني في انجاز اللوحة.

كما يتحدث الباحث "مونسي حبيب" عن الشخصيات وعلاقتها بالحركة الداخليـــة التي تعيشها الشخصية الرئيسية، وتتوجه التحولات نحو مصير تســوقه الأحـــداث (يتوزع السرد في قصة يوسف على محورين: محور منفعل، وآخر فاعل، ومـــن الميسور جدا تحديد مجالات كل محور، على حدة، وكأن القص القرآني في تعاملـــه مع الشخصية الرئيسية، يريد لها أن تتحرك حركتين في حياتها كلها حركة تســـوق فيها الأحداث الشخصية إلى مصير ،وحركة تتولى فيها الشخصية سوق الأحـــداث إلى مصير آخر)[(7)] وهو المسار المرتبط بالكينونة، وديمومة فـــي كـــل الأزمنـــة والعصور، بنفس وتيرة التي تبقي الصورة حية بمشهدها التـــأثيري طالمـــا تحمـــل الظواهر الإنسانية وتتعايش معها فنيا.

المشهد الثاني: يركز الباحث على دراسة المكان حيث يحدده كالآتي: [(8)]

الجب	السوق
تمدد مكاني - مسافة الرحلة	**تمدد مكاني حاضرة مصر**
المكان	**المكان**
تعدد الأمكنة	**تعدد الأمكنة**

توزن مكاني وصفي بين البدو والحضر، وتراص منسجم لتأثيث الحيز الفعلي للأحداث، وتمكين درجات الانعكاس في توجه معلوم حسب المشهد الثاني من (19-22) في قوله تعالى:

﴿وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٩ وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ٢٠ وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢١ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾

تصميم السرد يكون تدريجيا، وجد الباحث الآيات تقدم صورة تشخيصية لسلوكات سيدنا "يوسف" عليه السلام، من أجل التخصيص في ذاتية الصفات العالقة في نبوته الكريمة وتوصيف الشخصية الرئيسية لها دور مهم لاستقبال المواقف القادمة، وتقبل تغيرات الأوضاع اللاحقة **(إذ تحدد سير الحكي وقيمة الصورة**

وجدية المواقف أو هزلها)[9] وتحويل مسارات الحكي حسب بناء الشخوص، ووضعيتهم، وأعمالهم السابقة ويكون الزمن واصلا بين طرفي الإمكانات حتى تهيء المقام للأحداث الموالية.

المشهد الثالث: المراودة الأنثى والرودان:

يمثله الباحث "حبيب مونسي" بالمشهد المهم في تحديد التغيرات (أن يشتمل على حدث مهيمن تعمل الأحداث الثانوية على تصعيده ليبلغ درجة الهيمنة)[10] المستندة على ما سبق وتوقع اللاحق، لقوله تعالى:

﴿وَرَاوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يتحدث "الباحث مونسي حبيب" عن الخلفية الحاملة للمشهد حين تراوده زوجة العزيز وكيف كان كيدها حين تمنع عنها، تلك الأحداث التي انفعلت دخلت القصر في حدود زمنية ممتدة دون تقدير لكن هنا يكون الحدث اهم من الزمن في سرد الحادثة (**إن الخلفية التي يقف عليها المشهد -في تطاولها الزمني- تمهد لكافة الأحداث التي سيترتب عليها ناتج المراودة وكأن هذا التطاول الزمني إعداد خاص لمحمولات السرد التابع في المشاهد المتبقية فالمجال المكاني مجال مغلق لا يطل**

على خارج القصر)[11] وهذا أيضا ما استثمره في تحليلي الناتج السردي في توليف الكتابة، بمجموعة من التصورات الذهنية لهندسة السرد مثـل الإطـار –الحـوار –المواجهة –اللغة –الشخصيات –الفعل –الموقف) وهنا نطرح السؤال الأهم وهـو حقيقة اهتمام الباحث بالقصص القرآني، هل هي فخامة اللغة؟ أم حقيقـة الأحـداث وميزة تصديرها؟ هل هي قداسة القرآن ذاته؟ لكن هناك ميزة قوية نستشـفها مـن خلاله ان "القرآن الكريم":

- يسرد قيمة إنسانية ويمنح الجزاء بالقسطين (الجنة/النار).
- الوصف القائم بين ثنائية (الكافر/المسلم).
- المنطق الإلهي في الايجاز ببلاغة القول والمقام البليغ الرؤية.

المشهد الرابع: المتكأ سلطة المكر: الإثارة تجعل المشهد مكثف الرؤية، معمـم الزويا، موجزا في إطاره، محدد لغاياته، مستندا لصورة تصل درجة انفعالها حدود (تتكتل فيه المشاعر والأفعال حول بؤرة واحدة تسير فيها الأحداث الجزئيـة فـي ضرب من التّصعيد والتوالي حو نتيجة محددة)[12] والمتحكم فيها هندسة القص، في انبساطها لدفع مراتب الأشياء وتبئير وجودها في الآيات (30–35)

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ٣١ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ٣٢ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا

تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾﴾.

التصوير الفعلي، والصورة تمر من خلال فنيات خطابية، تختزلها الجماعة (النسوة) لإبراز ذاتية زوجة (العزيز) وتبرير تصرفها، من خلال مشهد السكين الذي فصل بين قريناتها بالمكاشفة المباشرة، والمشهد هو المتعالي المطلق في القرآن الكريم حيث يشتغل على طرفي العقل، والحس والاستدلال، والبرهان لغة وتشخيصا لعوامل قصصية ثابتة الثنائية بين الترغيب والترهيب، والجزاء حيث تتنوع الأدلة والبراهين في كل سورة قرآنية، لكن في الآيات معرض لمشهد تتابع فيه عناصره:

- النسوة لغة الشائعة والمكر
- التجلي ألم المكاشفة
- التجلي لغة الاعتراف
- التبكيت حجة الاستمرار
- المشهد الهندسة والبناء
- الانفراج الخاتمة التمهيد.

المشهد الخامس: السجن فضاء العزلة والتحول:

من حقائق الإيمان التجرد من الوسائط المادية وتجاوز المكان بروحانية الفكر المؤمن، وصدق الرابط الإيماني ما يحدده الباحث في الآيات (36–42) ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا

يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ينقسم المشهد إلى ضرورات ذات قيمة إنسانية، في السجن اين يبرز الصراع الزمني، واللاومني في النبوة التي تتجاوز الزمن وتتعامل مع المكان في فضاء تسوده العزلة الذي تتجاوزه الرؤيا، إلى خطاب ديني وتاملي:

- السجن فضاء النبوة
- الرؤيا الرمز والدلالة
- الذكر حركة الفعل الأولى
- المشهد الهندسة والخطاب.

المشهد السادس: الرؤيا والبراءة:

بنائية السرد تمنح طبيعة سلسة في تدارك الأحداث في الآيات (43–57)

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم

بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يخصص الباحث "مونسي حبيب" للمشهد علاقات تشكيلية ترصدها فنية اللغة في خضم تأسيس الدلالة وحركتها وانطواء في تأدية مهمة سردية تمزج بين جوانب إنسانية تختلط فيها العلاقات وتتمازج وتصنف سلوكاتها حسب ما تؤول إليه استدراجا للمؤول حولها، وقد وضع مصمما لذلك في العناصر الآتية:

- المشهد التشكيل الفني: حتى تبرز مرونة القراءة والتذوق يحمل النص فنيات تعبئة التراكيب وتنضيد المسالك االلفظية لتوخي المعنى، ونظم القرين الكريم صورة حية لجمالية اللغة ومحاورتها ذائقة الإنسان النفسية **(من نظمه طريقة نفسية في الطريقة اللسانية، وأدار المعاني على سنن ووجوه، تجعل الألفاظ كأنها**

مذهب هذه المعاني[13] التي تبرز في تلفيف الصورة باحتفـــاء لغـــوي، وبراعـــة متمكنة.

- **المشهد التشكيل الدلالي (الرؤيا – البقرات–السنابل)**
- **المشهد التشكيل اللغوي (السنون – التدبير)**
- **المشهد تمفصل الحركة**
- **البراءة والإعتراف والندم**

الباب الثاني: المحور الفـــاعل.

المشهد الأول: لقاء الإخوة صناعة الغد.

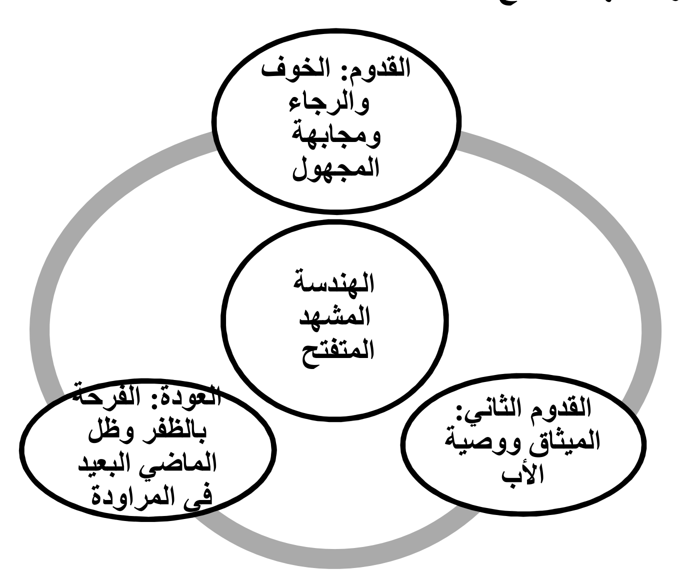
يبدوا أننا من خلال قراءة القرآن الكريم، نفتح عالما من الصور المتعـــددة مـــن حيث الشعائر الدينية، والقوانين الشرعية، والتقابلات الثنائية بين الأفعـــال شـــرها وخيرها، بالمقابل التي تحمله اللغة المعجزة، والبلاغة المنجزة، وصلابة التركيب في صلب الحدث، والقصص الذي يتصل بحياة أنبياء عليهم الســـلام وأقـــوام دثـــر التاريخ آثارهم، ومواقف حسم في سعيهم وحوادث إعجازية تترجم عظمة الخـــالق، في سبر أغوار النفس **(والإنسان بوصفه صورة يغدو مطالبا بمعرفة نفســـه مـــن حيث هو كذلك، ومن خلال تلك المعرفة يتمكن من معرفة الأصل بوصفه منطلقـــا ومآلا إنه صورة مفكرة تعيش وجودها الخيالي في نمط نشيط فعال لا منفعل فقط بهذا الشكل تكون دائرة المعرفة تعبيرا عن دائرة الوجود)**[14] والوجوديـــة التـــي ترتكز على الخلق وتدبير الخالق لنظام كوني مسير للفعل، والمشهد الأول هو أول مشهد من محور الفاعل ــ الذي يدفع المشاهد بعد تطور الشخصيات فـــي نموهـــا الجسدي والعقلي والمحيط المنفعل مع كل هذه التفاعلات في الآيات: (58–67).

﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٦٢ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣ قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ قَالَ لَنۡ أُرۡسِلَهُۥ مَعَكُمۡ حَتَّىٰ تُؤۡتُونِ مَوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأۡتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ فَلَمَّآ ءَاتَوۡهُ مَوۡثِقَهُمۡ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٦٦ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾.

ومن خلال الآيات في المشهد الأول من محور الفاعل، يتبين لنا حسن التحديد من الباحث "مونسي حبيب" يمثل عناصرها السردية، والدينية والسلوكية، فالأبعاد تترتب حسبه في العناصر الآتية

- **الإخوة الشخصية القارة.**
- **الإخوة مراودة الأب.**
- **الوصية النص والأبعاد.**

- **الهندسة والمشهد المتفتح.**



- **الخاتمة تمهيد المشهد:**

المشهد الثاني: الكيد بالإخوة تدبير جمع الشمل:

يكفل القرآن الكريم بتصوير أفعال الإنسان، وما يؤول له نتاجا، سبقا للزمن، وتاكيدا للعقاب والثواب فيتحول النص القرآني من ضرورة تأويل اللغة إلى الفعل (التأويل ليس ضربا من التخميين أو الإخضاع المتعسف للنص القرآني حتى يساير مفاهيم المفسر أو الاعتناء بالمتشابه من الآيات، إنه صرف الآية إلى ما تحمله من المعاني الموافقة لما قبلها وما بعدها هو عمل استنباطي تساهم فيه علوم القرآن وتعضده المفاهيم الأساسية للقرآن هذا جانب رئيسي أوّل)[15] ذلك المعنى المستديم والمتكرر في آيات القرآن الكريم المتعلق بالأفعال والنفس وما تخبو في سرائرها من دسائس قد يغير منطقها القرآن وعياً مدركا من خلال الآيات (68–79)

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ۚ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦٨) وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٩) فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (٧٠) قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ (٧١) قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ (٧٢) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ (٧٣) قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ (٧٤) قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٧٥) فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ (٧٧) قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٧٨) قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ (٧٩)﴾

الحراك الحواري القائم في هذه الآيات، يستند إلى التأويل الدائم، في حقائق ذهنية فسرها الباحث وتسائلت لعبقرية تمثيله لها في قوله: (وكان الحوار استخراج لمكنونات النفس، وما ينطمر فيها من صدق وزيف، وما يفرضه عليها تكوينها من انحراف واعتدال)[16] وقد ساهم هذا الحوار بفتح فضاء تأثيثي للمكان والزمان، وتمثيلي لتحولات في السرد القصصي بباعث إلصاق تهمة السرقة بالإخوة رغبة في رؤية والده يمثل امامه بعد طول غياب ومعاناة وقد مثلها تراتبيا:

- **الحوار التواصل والتمثيل.**
- **المشهد الزمان والمكان: المكان والزمان – الأشياء.**

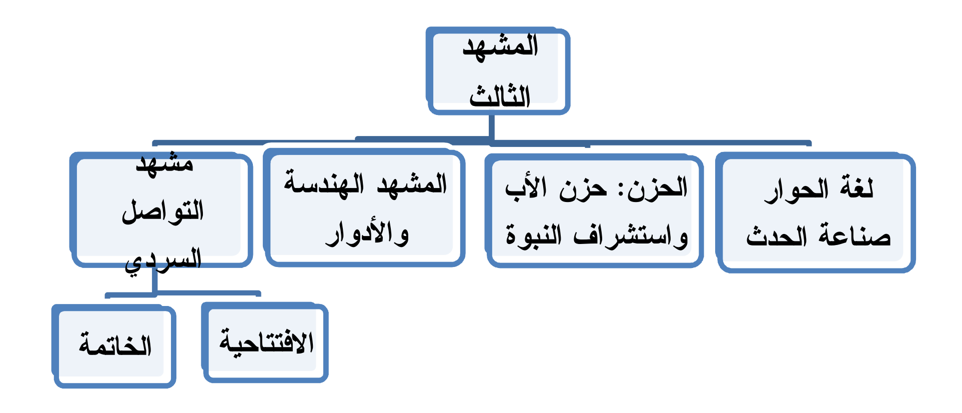
•مجال التحول السردي.

المشهد الثالث: ريح يوسف ممهدات اللقاء:

القرىن الكريم يُعنى بالإعجاز، ورسم حدود التشريع، كما خصّ للغة فيضا من البيان (إن التجربة التواصلية التي نقف عليها من خلال النص القرآني تجربة تعكس تفاعلا راجعا في أصله إلى الواقع الإعجازي والتأثير النظمي اللّذين يتميز بهما هذا النص طيلة تاريخ تلقيه عند المسلمين)(17) هذا التلقي الذي عبر عنه الباحث في محددات يقف عنها التفسير القابل لتأويل، والتفسير الفني المتقبل للوازع القرائي من حيث تمهيد دلالات تساهم في إعمال الفكر، وفرز خصوبة دائمة للفهم، وروح دائمة تفكر، والآيات في المشهد (80–87) توقد عند المتقي الاستعدادات النفسية هي ذاتها التي تهيء للشخصيات في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ قَالَ كَبِيرُهُمۡ أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبۡلُ مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨٠ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ٨٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ٨٥ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٦ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾

تمهيد اللقاء، بعد زمن كبر فيه "يوسف" عليه السلام، وازداد فيه جمالا ونفعا وعلما، وبصيرة، زمن مركب من تجارب مختلفة تشرئب من مكائد وقدرة على تجاوز، ومن نبوءات، وحنكة في تحدي صعوباتها، أين تظهر من خلال لغة الحوار في قوله تعالى: ﴿ ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ ٨١ وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ٨٢ ﴾ لغة حاملة للخطاب والمشهدية في نفس الوقت، ويلخص المشهد الثالث من خلال المخطط الآتي صياغة لما جاء في المؤلف:



المشهد الرابع: يوسف التجلي والإحسان:

يميل الباحث للاختلاف والتقدم في وضعية المشاهد من خلال التقادم في قـراءة الآيات القرآنية، ويمنح مقاربات تربوية وفنية لأن المغزى القـويم مـن "القـرآن الكريم" هي التقويم المستمر لحياة الإنسان، جهله، وعلمه، الضرر والنفع، الإحسان والشح، وتتعدد الصفات ليكون الجزاء من صفة العمل كما في الآيات (88-93)

﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣﴾

وقد حصر الباحث "مونسي حبيب" في تحديد صفة إخوة "يوسف" عليه السلام وهم يحاولون بيع بضاعتهم تفاديا للفقر وانعكاسا للعجز، ووهنا بانقلاب صورة الحياة التي خلصت عندهم بعدما مكرو بأخيهم، حتى فقد أبوهم الشيخ الطاعن بصره حزنا، ولما كان اللقاء اختبرهم "يوسف" في القصر، وهناك تجدد اللقاء بالمشاهد التي رتبها كالآتي:

- **البضاعة آية الفاقة والعجز.**
- **المكاشفة لحظة التعجب.**
- **المكاشفة لحظة الندم.**
- **القميص الرمزية المزدوجة.**

المشهد الخامس: القميص البشارة.

يتحدث مستقرءا غاية الزمن في مقاربة الحدث وتوقعه، وكان القارئ يحاول الانكفاء لمعرفة المخبوء، وتلك اللهفة لمعرفة طبيعة السعادة التي ستتشكل في سمات الشيخ وهو يمسك قميص "يوسف" عليه السلام من خلال المشهد (94-98)

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ۝٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ۝٩٥ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٩٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٩٨﴾

في دراسته للآيات القرآنية نجد الباحث يربط استنتاجاته الدقيقة إلى تحليل السرد، وابراز خلاياه التي تنبعث منها الحياة وتقدير المشهد وقدرة الحركة في نقل الصورة فنيا، بفكر فلسفي جعله الباحث وازعا في تحليل مدركاته (إذا كان الفن أقدر على التعبير فالفلسفة أقدر على التّفهم عُدَّة الفن البصري الصورة، وعتاد الفلسفة المفهوم، وبينما تُخُوم غير مستكشفة لا حدود مرسومة، الشيء الذي يجعل المتأمل يمرُّ إذ تملك العدة الفكرية الضرورية)[18] الرسم باللغة أو المشافهة بالكتابة هي نفسها الدراسات الحديثة في تحليل هندسة الكتابة التي تجعل القارئ ينتقل إلى الصورة الفنية وهي في حالة رسم مستديمة للأوان والحركة والتوقعات التي تدجت كالآتي:

- **الوصف التخطي والافتتاح.**
- **العتاب لغة العجز ويقين النبوة.**
- **البصر رمزية النور.**

المشهد السادس: تأويل الرؤيا الدائرة السردية.

يصف الباحث القرآن الكريم بوجه الخصوص القصص بحد ذاته كما يلي: (**إننا أمام نص أزلي واحد....نص كلي...نص جامع.. تنثال منه النصوص السردية شرقا وغربا لتروي جزءا منه. فلو أعدنا تجميع هذه النصوص: قديمها وحديثها شعبيِّها وأسطوريِّها فإننا سنرقى صعدا إلى النص الاول، النص المثال هذا**

التصور الذي نبصر من خلاله الشكل)[19] والقرآن سند قوي لتعرف على أشـــكال سردية تتنوع في مشاهدها، كما جاء المشهد (99–101).

- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾

- **مصر التَّحول والتَّاريخ:** تنشطر بين فترة قحط وحرمان، وتليهـــا خيـــرات وانفراج حسب تأويل يوسف عليه السلام لقوله تعالى: **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ**(47).

- الرؤيا المسار الحياتي وهو يدور حول مسار زمني للحياة (تأويل الرؤيـــا– الخروج من السجن–قدوم الأهل من البدو)[20] ورؤيا "يوسف" عليه الســـلام رؤيـــا زمنية بعدية لكنها بفعل نبوته محققة، أما السجن فقد ارتبط بجانب الحكمة الإلهيـــة والخروج منه أحسانا حسب تحليل الباحث.

- شخصية الشيطان: وقد وصفه بالشخصية التي تقف خلف الأفعال الشـــيطانية التي بدات بوادرها مع أخوته الذين حاولوا التّخلص منه إلى كيد زوجـــة العزيـــز، والاتهامات الباطلة التي نسبت لسيرة " يوسف "عليه السلام، فهي غير ظاهرة لكـــن فاعلة ومؤثرة.

الخاتمة: تدعو الدراسة القرآنية في سورة يوسف للباحث "حبيب مونسي" متكئا على فراسته التي تتكيف في مسعى البنية السطحية والعميقة، في علاقات العناصر المشهدية، وهي نفسها علاقات العمل الفني، والقرآن الكريم باعجازه، ويبدو جليا رفضه لحصر النصوص، وشد حدودها نحو النوع دون الوصف الحركي لكونية الإبداع وكينونته، و لعل البرهنة القصصية في سورة "يوسف" من حيث النتائج التالية:

- **التأثيث المشهدي والإطار المؤثث.**
- **الخلفية الزمنية والمكانية والحسية والشخوص وخطاب النص تعلو درجتها الجمالية حسب توزيعها الفعال لصورة انفعالية مؤثرة.**
- **تجاوز الكتابة من خلال المشهد الخلاق الذي يرسم عالما يتسع مقابل النص الخطي المنجز إبداعي.**
- **الخيال الخلاق والطاقة الفنية في النص.**
- **المشهد هو حراك للحياة وتجاوز للكتابة لدافع المكتوب والمقروء.**

يتعاضد المعنى خلف مسار المركب، والتركيب عسجدا يمرر جماليته في خضم السعي إلى تشعيث اللفظ في معناه، وتسلط ثقافة المتلقي لمبادلة الفهم العادي بالفهم التزامني، والمنفلت من ذات الزمن والمكان، يخوض غمار السجية، وميزة العربي القُح، في مناظرة لغته، ومسايرة أعرافها ومسالكها، وبردة ميزانها المرئي وخلف المرئي، واعتبار السجايا جسدا يلبسه النص، ويمتطيه المعنى في صهوة خياله.

ولعل القارئ للقرآن الكريم، يجتث هذه المعاني، ويرقى لتتويج نظرية المشهدية للباحث "**مونسي حبيب**" وهو يتوج بحثه باللغة البلاغية، وحسن التصرف وقناعاته الذاتية بمقصدية الخطاب القرآني وقصد القراءة لتصفح مجال إعجازي يمثل القصص، وانطباعاته حول السرد فيخرج عن المألوف ليؤلف نظرية تعنى بالتدبر والفحص

والانثناء داخل وخلف المشهد، والانفتاح على المهيمنات السائدة والمسيرة للحركة، والديمومة من خلال قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ ﴾ (سورة فصلت الآية:3) والدراسة ممارسة تفحصية لوسائط متنوعة مرئية ومكتوبة، ظاهرة ومتخفية، مغلقة ومفتوحة، محدودة ومتسعة، وعناية الباحث بكل علائق واضحة المعالم، سائدة المرأى في خبرته وفطنته داخل خبايا القراءة المنتجة.

الاحالات:

(1) أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط/1، 1989م، ص.29

(2) عبد اللطيف زكريا، وظيفة الصورة في الرواية النظرية الممارسة، دار كنوز المعرفة، ط/1، 2016، ص.35

(3) محمد رشدي عبيد، قصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة أدبية، رابطة الأدب الإسلامية العالمية، مكتبة العبيكان، الرياض المملكة السعودية، ط/2، 1427هـ، 2007م، ص18

(4) ينظر مونسي حبيب، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، الرشاد للطباعة والنشر ط/2009،1م، ص.9

(5) صلاح فضل، قراءة الصورة وصورة القراءة، دار رؤية، القاهرة مصر، ط/1، 2014م، ص.26

(6) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.7

(7) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.18

(8) ينظر حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.46

(9) عبد اللطيف الزكري، وظيفة الصورة في الرواية والنظرية والممارسة، دراسة، دار الكنوز، عمان، الأردن، ط/1، 2016م، ص.123

(10) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.61

(11) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.66

(12) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.85

(13) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت، 2003م، ص.213

(14) فريد الزاهي، الصورة والآخر، رهانات الجسد واللغة والاختلاف، دار الحوار للنشر والتوزيع، الاذقية، سوريا، ط/1، 2013م، ص.51

(15) أحميدة النيفر، الإنسان والقرآن وجها لوجه (التفاسير القرآنية المعاصرة – قراءة في المنهج) دار الفكر، دمشق، سوريا، 2000م، ص.148

(16) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.181

(17) حكيمة بوقرومة، المتلقي في الخطاب القرآني، دار المنتهى، الجزائر، ط/1، 2015م، ص.87–88

(18)عبد العالي معزوز، فلسفة الصورة، الصورة بين الفن والتواصل، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014م، ص.104

(19) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.262

(20) حبيب مونسي، المشهد السردي في القرآن الكريم، قراءة في قصة سيدنا يوسف، ص.269

التعرّف الآلي على خطوط المصاحف المكتوبة بخطّ النّسخ
حرف الميم المعزولة أنموذجا.

د. سليمة يحياوي

أ. محمد مساعدي

جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

الملخّص: نحاول في هذه الورقة العلميّة المتواضعة أن نقدّم طريقة للتّعرف الآلي على خطوط المصاحف المكتوبة بخطّ النّسخ، من خلالها يمكننا التّعرف الآلي على حرف الميم المعزولة بخطّ النّسخ، وذلك ضمن سلسلة من الأبحاث نسعى من خلالها إلى مزاوجة الدّرس النّظري مع التّطبيقي، لإعداد برنامج متكامل يضمن نسبة تعرّف عالية.

ثمَّة طرائق عدَّة للتّعرف الآلي على الخط العربي اليدوي، والطّريقة التي اعتمدت في هذا البحث ترتكز أساساً على تقنية معالجة الصورة، وتقنية الشّبكات العصبية الإلكترونية، بدءًا بمرحلة ما قبل المعالجة، مروراً بمرحلة المعالجة، حيث قمنا باستخراج الخصائص التّمييزية لحرف الميم العربية المعزولة، بإشكاله الثّلاثة: في أوّل الكلمة، ووسط الكلمة، وآخر الكلمة، ولتقييم هذه الخصائص اعتمدنا على تقنية الشّبكات العصبية الإلكترونية (مرحلة ما بعد المعالجة)، وفي النّهاية تمَّ استعراضُ النّتائج، ثم تحليلها واستخلاص التّوصيات بناء على الدّراسة التّطبيقية، والنّتائج المتحصّل عليها تؤكّد فعالية التّقنية.

الكلمات المفتاحية: خطوط المصاحف، خط النّسخ، التعرّف الآلي، معالجة الصورة، الشّبكات العصبية الإلكترونية.

المقدّمــة: إنّ التعرّف الآلي على الكتابة اليدوية هو عملية تحويلها إلــى نــصّ رقمي اعتمادا على صورة الكلمة المكتوبة فقط، والتعرّف على الكلمــة المكتوبــة يستوجب تقسيمها إلى الأحرف المكوّنة لها، ومن ثمّة التعرّف على كلّ حرف منها على حدة، وهذا الأخير تتمّ دراسته لغرض تحديد الصّفات المميّزة له، واســتخراج قاعدة المعطيات الخاصّة به.

يستعمل هذا المشروع في المعالجة الآليــة للملفّــات الإداريــة والاســتبيانات والعناوين البريدية والشّيكات البنكية، وميدان ترقيم التّراث الثّقافي العربي القــديم، الذي يعدّ الحفاظ عليه من الحفاظ على الهويّة القومية بمختلف أبعادها، في ظلّ مــا يشهده العالم من تغيّرات وظهور مفاهيم وقيم جديدة متمثّلة في العولمة، كما أنّ هذا المجال سيخدم اللّغات التي تستخدم الحروف العربية كالفارسية والأوردية والكردية والأمازيغية والماليزية والأندونيسية.

ويشتهر التعرّف الآلي على الحروف باسم "التّعرف على الحــروف ضــوئيا"، وذلك لأنّ التعرّف المقصود يقتصر على الحروف التي تتمّ معالجتهــا ضــوئيا ولا علاقة له بالحروف المكتوبة بالحبر المغناطيسي، والتي يمكن التّعرف عليهــا دون كبير مشقّة"[1].

ويمكن القول بأنّ الأصول المبكّرة لطرائق التّعرف على الحروف تعود إلــى عــام 1870م عندما "اخترع كاري "CAREY" آلة لمسح الصّور ذات شــبكية تعتمــد علــى مصفوفة من الخلايا الكهربائية الضّوئية لتحويــل عناصــر الصّــورة إلــى إشــارات كهربائية، وقام بعد ذلك نيبكاو "NIPKOW" عام 1990 بابتكار آلة المســح التّسلســلية والتي كانت مقدّمة لظهور أجهزة بثّ الصّور (التّلفزيون) وتجهيزات القراءة الآلية"[2].

ولقد ظهرت الحاجة إلى التّعرف على الحروف آليا في البداية كوسيلة لمساعدة المعاقين بصريا، "وتعزى أوّل محاولة ناجحة في هذا الصّدد إلى العــالم الرّوســي تيورين "TYURIN" في عام 1900م، وقد تلت ذلــك محــاولات فوربيــه دالــب

"FOURIER DALBE" لصناعة الآلة القارئة للحـــروف النّاطقـــة عـــام 1912م، والجهاز التّعويضي اللّمسي الذي بناه توماس "THOMAS" عام 1926م"[3].

وتصبح الحاجة ملحّة أكثر عندما يتعلق الأمر بالمصاحف القرآنية التي تزخر بهـــا الخزانات والمكتبات في كل أنحاء العالم، هذا التراث المخطوط الـــذي "بـــذل العـــرب وسائر الأقوام جهدا عظيما في توقيره واحترامه، وأذاعوا نســـخه واســـتخدموا كبـــار الخطاطين في إظهاره بالمظهر الجميل اللائق بحيث لا يدانيه كتاب في إتقانه"[4].

على هذا الأساس فإنّ هذه الورقة العلمية الموسومة بــــــ" التعرّف الآلي على خطوط المصاحف المكتوبة بخطّ النّسخ حرف الميم المعزولة أنموذجا "تســـعى إن شاء الله إلى تقديم طريقة يمكننا من خلالها تطوير برنامج للتعـــرف الآلـــي علـــى الحروف العربية المعزولة، لتكون أرضية تنطلق منها باقي الخطـــوات الإجرائيـــة المكمّلة للتعرّف على الحروف داخل الكلمة ثم الجملة فالنّص القرآني.

وقد خصّصنا من خط النّسخ حقلا تطبيقيا للدّراسة بوصفه من أهمّ الخطوط التي كتبت بها المصاحف منذ العصور الإسلامية، والتي أبدع فيها العرب وغير العرب (الأتراك) وتميّزوا، وهو من الخطوط الأكثر استعمالا لســـهولته ولتميّـــز حروفـــه بالجمال، وللوصول إلى الهدف المرجو تطلّب منّا العمل التّطرق إلى:

أوّلا: مراحل تطوّر رسم الميم العربية؛

ثانيا: التّمثيل الهندسي لحرف الميم العربية؛

ثالثا: مراحل التعرّف الآلي على حرف الميم العربية المعزولة بخط النّسخ. ثـــم ختمنا البحث بأهمّ النّتائج والتّوصيات.

أوّلا: أصل الكتابة العربية وتطوّرها

مثلما كانت الأقوال عن تاريخ الكتابة متضاربة، فإنّ الأقـــوال عـــن الجـــذور التّاريخية للخطّ العربي والتّطورات التي مرّ بها هي الأخرى كانت موضع اختلاف

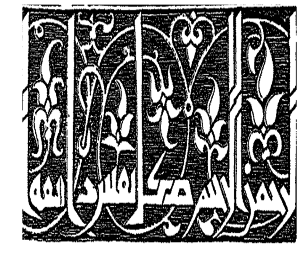
واجتهاد، فللعلماء في أصل الخطّ العربيّ نظريّات مختلفة قديما وحـديثا، ومهمـا تعدّدت هذه الآراء سواء أصدرت عن مؤلّفين عرب أم أجانب، فإنّ الرّأي السّـائد والمجمع عليه في أمر الكتابة العربية هو أنّ "العرب قد أخذوا كتابتهم عن الأنبـاط الّذين كانوا يسكنون شمالي الجزيرة العربية في بـلاد الأردن وكانـت عاصـمتهم البتراء، وقد ازدهرت بلاد الأنباط بحكم مركزها الجغرافي كثيرا، إذ كـان ممـرّا للقوافل التي كانت تتّجه من شبه الجزيرة العربية نحو الشّمال للمتاجرة"[5].

وقد أثبتت النّقوش الأثرية التي اكتشفها المستشرقون حديثا في أم الجمال وجبـل الدّروز وحران أنّ "الخط العربي قد اشتقّ من الخط النّبطي وذلك ما بين القـرنين الثّالث والسّادس الميلاديين"[6].

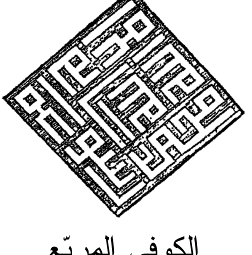
على أنّ هذا الخط الّذي انتهى إلى العرب من ديار النّبط تشير إليـه المراجـع العربية بأسماء عدّة فيذكر منه "الخطّ الأنباري والخطّ الحيري والخطّ المدني والخطّ المكّي، وكلّها خطوط حذقها العرب قبل الإسلام"[7] وظلّ الخـط العربـي يتطـوّر ويتنوّع حتى عصر الدّولة العبّاسية، وصار له أكثر من عشرين نوعا، ممّا جعـل الوزير أبو عليّ محمّد بن مقلة[8] في القرن السّادس الهجري يحصر هذه الأنـواع ويستخلص منها أنواعا ستّة وهي: "الثّلث والنّسخ والتّعليق والرّيحـاني والمحقّـق والرّقاع موضّحة كما يلي على التّوالي[9]:



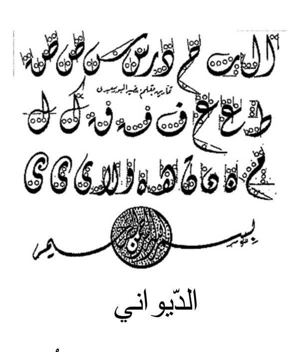
الرّقاع — المحقّق — الرّيحاني



الكوفي المخمّل



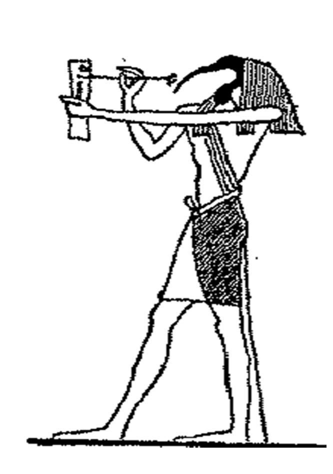
الكوفي المربّع



الدّيواني

ثانيا: مراحل تطوّر رسم الميم العربية: تعتبر "الكتابة المصرية القديمة أُمّا وأساسا لكلّ الهجائيات الموجودة في العالم اليوم"[10]، واللّغة المصرية هي اختراع المصريين أنفسهم[11]، بقيت لغتهم وكتابتهم أربعة آلاف سنة بدون تغيير، لكن مع حكم اليونان والرّومان لمصر مدّة سبعة قرون كان ذلك داعيا لزوال اللّغة المصرية القديمة[12].

إنّ للمصريين القدامى ثلاثة خطوط:



– الخطّ الهيروغليفي[13]: وهو الأصلي؛ كلمة يونانية مركّبة من (هيروس) أي مقدّس، و(غليفو) أي الخطّ، ومعناه: الخطّ المقدّس أو الكلام المقدّس، وقد سمّي كذلك بالخطّ الربّاني أو الكلمات الإلهية، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ معبودهم "تحوت" هو الّذي اخترع الكتابة.

– الخطّ الهيراطيقي[14]: كلمة يونانية معناها (كهنوتي) وسمّي كذلك لأنّ الكهنة هم الّذين استعملوه في بادئ الأمر، وهو مختصر الخطّ الهيروغليفي.

– الخطّ الديموطيقي[15]: ظهر في أواخر الأسرة الخامسة والعشرين، ولاسـيما في عهد الأسرة الثّانية والثّلاثين في جميع أنحاء القطر المصري؛ معناها باليوناني (شعبي) نسبة إلى الشّعب.

وعلى هذا الأساس أخذ حرف الميم ثلاثة أشكال في الكتابة المصـريّة القديمـة وفق الثّلاثة أنواع من الخطوط المذكورة سابقا، كما يلي:



هيروغليفي (بومة) هيراطيقي ديموطيقي

وقد عرف هذا الحرف (م) عند الفنيقيين مع الحروف الأبجدية الأولى ورتّبـوه ضمن المرتبة الثّالث عشرة في الأبجدية العربية بعد أن رمزوا له بالرمز ثـم طوّروه إلى الرّمز أو ، ونطقوا به ميم (mem)[16].

أمّا النّبطيون فقد عرفوه بدورهم، ورسموا شكله على نقوشهم، التي تحرّيت من خلالها التّسلسل الزّمني لضبط تطوّر الحرف، وذلك كما سيأتي:

1. نقش أمّ الجمال الأوّل: تمثّل هذه الكتابة الخط النّبطي المتأخّر الّذي اشـتقّ منه الخطّ الكوفي وتنصّ الكتابة على ما يلي[17]:

– دنه نفسو فهرو

– برسلي ربو جذيمة

– ملك دنوخ

2. نقش النّمارة، وهو مكتوب على طر

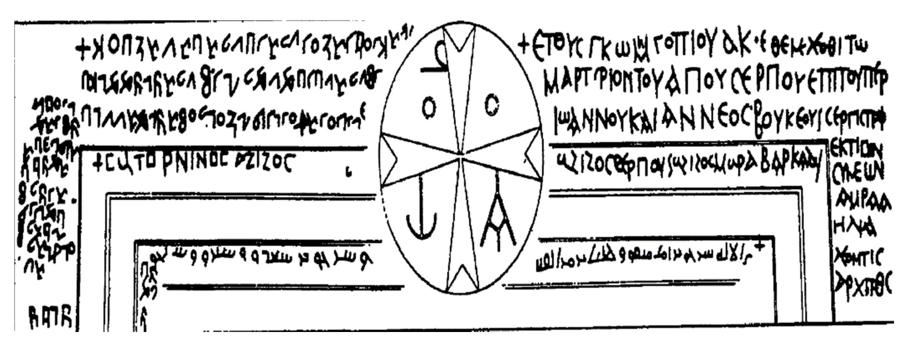
قرأها جواد علي في كتابه "تاريخ العرد

- هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلّهم الّذي نال التاج.
- وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهزم مذحجا بقوّته وقاد.
- الظفر إلى أسوار نجران مدينة شمر وملك معدا واستعمل.
- قسم أبنائه على القبائل كلّهم فرسانا للروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- في القدم هلك سنة 223 يوم 7 من كانون الأوّل.

3. نقش أسيس[(19)]: نسبة إلى جبل يقع على بعد 105 كلم جنوبي شرقي دمشق عثرت عليه بعثة ألمانية للتحرّي عن الآثار في سوريا سنة 1965م، يتضمّن النّقش نصّا عربيًّا من أربعة أسطر هي:

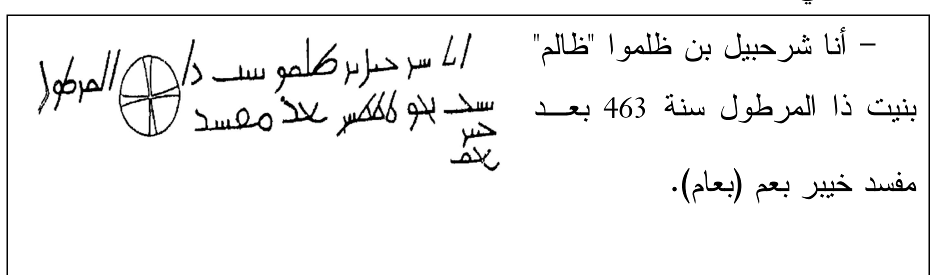
- إبراهيم بن مغيرة الأوسي
- أرسلني الحرث الملك على
- سليمان مسلحه سنة
- 423

4. نقش زبد[20]: عثر عليه في موقع زبد الّذي يقع بين قنسرين ونهر الفــرات جنوب شرقي حلب وجد على قطعة كبيرة من الحجر كانت تعلو واجهــة كنيســة، كتب هذا النّقش بثلاث لغات هي: اليونانية، والسّريانية، والعربية، تاريخه يعود إلى 512م والسّطر العربي الّذي يحتوي عليه:



- بنصر الإله شرحو برامع منفو وهليا برمر القيس

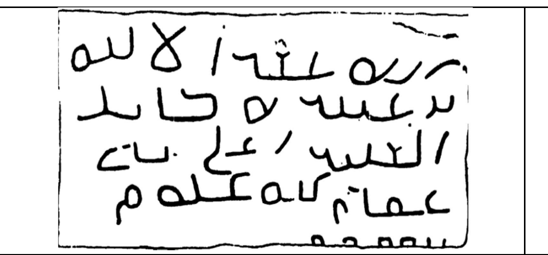
5. نقش حران[21]: وجد على باب كنيسة أقيمت للقدّيس يُوحنا المعمدان وهــو مكتوب بخط أقرب ما يكون من خط النّسخ، وقد قرأه المستشرق "ليتمــان" علــى النّحو التّالي:



- أنا شرحبيل بن ظلموا "ظالم" بنيت ذا المرطول سنة 463 بعــد مفسد خيبر بعم (بعام).

6. نقش أم الجمال الثّاني: عثر على هذا النّقش في موقع كنيسة تدعى الكنيســة المزدوجــة مــن قبــل بعثــة جامعــة برنســتن الأثاريــة إلــى ســوريا بــين

سنتي 1904–1905م، ويتسب إلى القرن السّادس للميلاد ويتكوّن من خمسة أسطر[22]:

- الله غفر لا ليه - بن عبيده كاتب. - القليد أعلى بني - عمري كتبه عنه من	

والجدول التّالي يختصر التّغيرات التي مرّ بها حرف الميم من خلال النّقوش النّبطية المذكورة:

نقش أمّ الجمال الأوّل	نقش النّمارة	نقش أسيس	نقش زبد	نقش حران	نقش أم الجمال الثّاني

كما يمكننا تلخيص مراحل تطوّر رسم حرف الميم في القرون الهجرية الأولى ضمن الجدول التّالي[23]:

القرن1هـ	القرن2هـ	القرن3هـ	القرن 4هـ	القرن 5هـ	القرنان(6–7هـ)

إنّ المقاربة بين الخطّين النّبطي والعربي في أوّل نشأة الخطّ العربي تؤكّد أنّ "غالبيّتها قد حافظت على أشكالها التي كانت قيد الاستعمال في القلم النّبطي المتأخّر

مثل الباء والجيم والحاء واللاّم والنّون والكاف والباء واللاّم ألف، وأنّ بعضـــها الآخــر نحَا نحو التّبسيط كـــ: الألف والكاف والعين والقاف والفاء، وأنّ أشكالا جديدة ظهــرت لبعضها الآخر مثل: الهاء والدّال والميم والسّين والشين والرّاء والتّاء"(24).

ثالثا: مراحل التعرّف الآلي على حرف الميم العربية المعزولة بخــط النّســخ:
هناك عدّة طرق متّبعة في عمليّة التّعرف الآلي على الحروف العربية اليدوية، أمّــا بخصوص الطّريقة المقترحة في هذا البحث فهي ترتكز على تقنيتين اثنتين: معالجة الصورة والشّبكات العصبية الإلكترونية المتعدّدة الطّبقات.

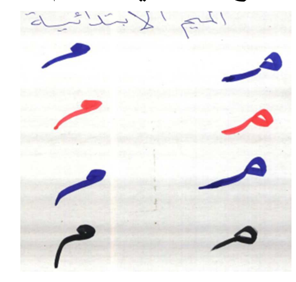
إنّ عمليّة المعالجة الآلية للصّورة هي أحد فروع علوم الحاسب تهــتمّ بــإجراء عمليات على الصّورة (Image Processing)، لها طرق متنوّعة ومراحل متعــدّدة وفيما يخصّ الطّريقة المقترحة في هذا البحث تعتمد على استعمال لغــة البرمجــة (MATLAB)، وهي لغة اصطناعية كغيرها من لغات البرمجة.

ونظام المعالجة المقترح يتألّف من المراحل التّالية، نهدف من خلالــه إلــى اســتخراج الخصائص التّمييزية للصورة أو الحرف، ثم نقوم بعملية تعليم الشّبكات العصبية الإلكترونية.

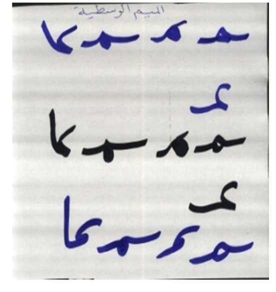
1- استقبال الحروف العربية وتخزينها في ذاكرة الحاسوب: يكتب حرف الميم بصفة عامّة على أربعة أوضاع بالنّسبة للكلمة حيث نجده بالشّكل {مــ، ــمــ} فــي بداية ووسط الكلمة، ثم بالشّكل {ــم،م} في نهايتها، والجدول التّالي هو نموذج لمختلــف الوضعيات الكتابية لحرف الميم بخط النّسخ، ساعدنا في رســمها الخطــاط المصــري المقيم بالموصل (راقم عبد النّبي) وبعض تلاميذه:

حرف الميم في أول الكلمة	حرف الميم في وسط الكلمة	حرف الميم في آخر الكلمة	

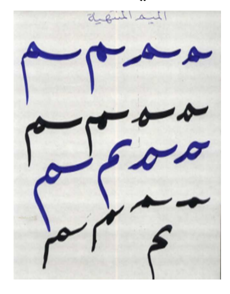
بعد الحصول على عيّنات خطّية مختلفة لحرف الميم العربية اليدوية المعزولـــة، ما يزيد عن العشرين حرفا (20) من الأشكال الكتابية الثّلاثة المختلفة الموضّحة في الشّكل، الابتدائية بنوعيها، الوسطية بنوعيها، النّهائية بنوعيها، نجري عليها عمليّـــة المسح الضّوئي، ونقوم بتخزين الصّورة داخل ذاكرة الحاسوب كالآتي:



الميم في أوّل الكلمة



الميم في وسط الكلمة



الميم في آخر الكلمة

2- مرحلة قلب مصفوفات الصورة الضوئية:

تتمثّل هذه المرحلة في قلب مصفوفات الصورة الضّوئية وذلك بتحويــل الــنّقط البيضاء إلى نقط سوداء والعكس، تسهيلا منّا لنقلها إلى مرحلة ما قبل المعالجة.



الميم بعد عملية المسح الضّوئي

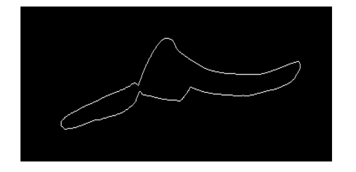


الميم بعد قلب مصفوفات

3- مرحلة التّرشيح:

تهدف هذه المرحلة إلى تهيئة صورة الميم لتسهيل معالجتها داخـــل الحاســـوب، وذلك بإزالة جميع الشّوائب، التي ممكن أن تكون عبارة عن نقط سوداء وخطـــوط عشوائية ليس لها وظيفة في شكل الحرف.





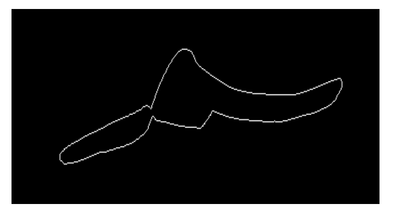
الميم بعد عملية المسح الضّوئي　　　　الميم بعد عملية التّرشيح

4- التّقطيع:

عمليّة تقطيع أو تجزئة مناطق الصّورة إلى مناطق متســـاوية لمقارنتهـــا مـــع بعضها البعض، ثمّ تحديد جميع الخصائص العامّة لصورة الحرف من حيث الشّكل والمحيط واستخراج مكوّناتها الأساسية باستعمال عدّة مؤثّرات (Opérateurs) على الصّورة.

والمؤثّر (Derichecanny) الأكثر استعمالا في معالجة الصورة، والأكثر دقّـــة في تحديد محيط وحجم ومساحة الحرف لتسهيل عمليّة التّقطيع وإنجاحها.



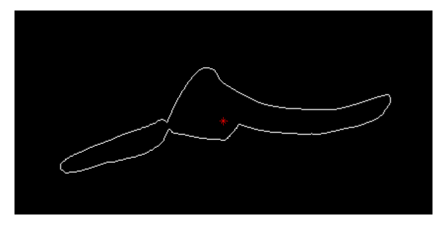


الميم بعد عملية المسح الضوئي　　　　الميم بعد عملية التقطيع

5- استخراج الخصائص انطلاقا من المحيط:

بالرّغم من وجود العديد من الصّفات المميّزة والتي يتمّ استخدامها فـــي عمليـــة التعرّف إلاّ أنّ الصّفات التّالية هي المعتمدة في هذا البحث:

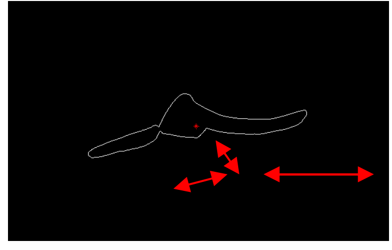
- حساب المحيط، وتعيين مركز ثقل الصورة:



حرف الميم بعد عملية المسح الضوئي   حساب المحيط وتعيين مركز ثقل حرف الميم

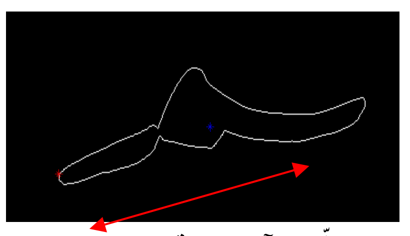
- حساب معدّل المسافة بين مركز ثقل الصورة ونقاط المحيط:





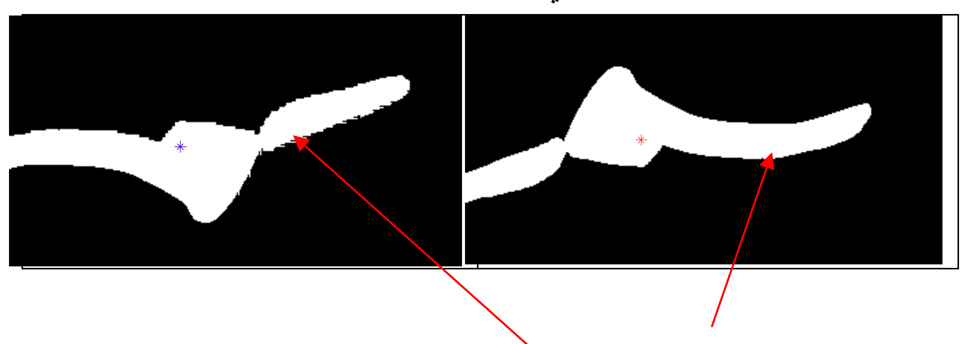
حرف الميم بعد عملية المسح الضوئي   حساب المحيط وتعيين مركز ثقل حرف الميم

- حساب المسافة بين مركز الثّقل وأوّل نقطة وآخر نقطة من المحيط بالنّسبة للصورة:.



مركز الثقل وأوّل نقطة من المحيط   مركز الثّقل وآخر نقطة من المحيط

➢ حساب نسبة التّناظر المركزي للصورة بدرجة دوران 180°:



الصورة 01 مركز ثقل"1"   مركز ثقل"2" الصورة 02

➢ حساب الفرق بين مركز الثّقل في الصورة 01 والصورة 02

6- مرحلة تعليم الشّبكات العصبية الإلكترونية المتعدّدة الطّبقات:

إنّ الشّبكات العصبية الاصطناعية هي "تركيبات للمعالجة المتوازية الموزّعــة، تعتمد أساسا على عنصر المعالجة القادر على العمل كذاكرة محلّيــة مــع إجــراء عمليّات المعالجة المختلفة، تعتمد على القيم المدخلة وكذلك القيم المخزونة للــذّاكرة المحلّية لهذه العناصر"[25].

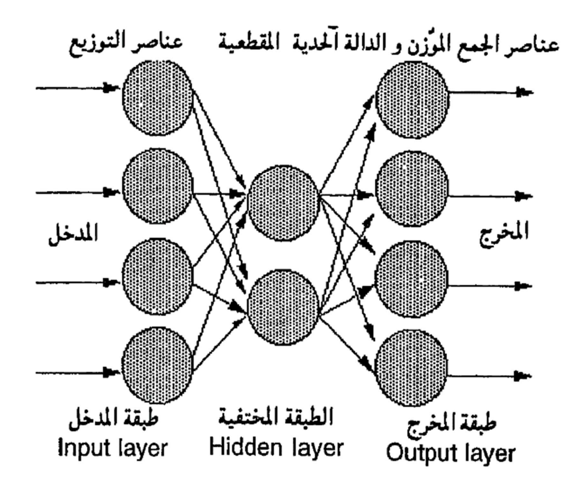
نقترح في هذا البحث استخدام الشّبكة العصبية ذات الترّكيب البنيوي ويســمّى بالإدراك المتعدّد الطّبقات (Multi layer perception) بعد القيام بمعالجة الصّورة الضّوئية واستخلاص خصائصها.

يتكوّن النّموذج العام للشّبكات متعدّدة الطّبقات من ثلاث طبقات:

1- طبقة المدخل.

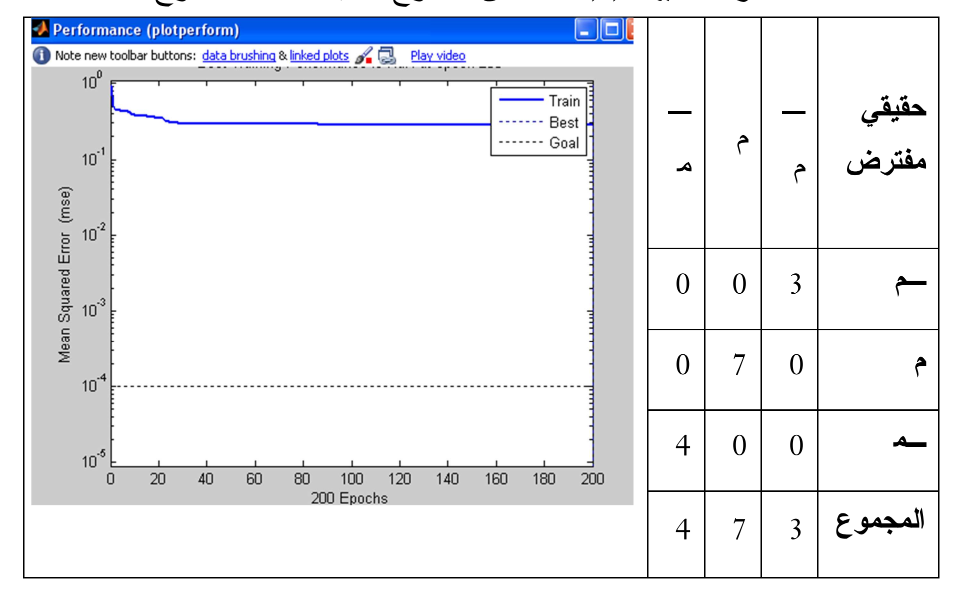
2- الطّبقة المختفية.

3- طبقة المخرج.



قمنا بتعليم الشّبكات العصبيّة على مرحلتين:

➢ **المرحلة الأولى:** تعليم الشّبكات ثلاث عيّنات خطّية فقط (ـــمـ، م، ـــمـ)، فكان عدد الحالات المتعرّف عليها 3,7,4 حالة من مجموع 14 بدالّة خطأ مسموح 10^{-4}.



حقيقي / مفترض	ـــمـ	م	ـــمـ
ـــمـ	3	0	0
م	0	7	0
ـــمـ	0	0	4
المجموع	3	7	4

➢ **المرحلة الثّانية:** تمّ تعليم الشّبكات العصبية أربع عيّنات خطّية (ـــم، م، ـــم) فكان عدد الحالات المتعرّف عليها 60 حالة من مجمـــوع 96 حالـــة بدالّـــة خطـــأ مسموح: 10^{-4}.

حقيقي / مفترض	ـــم	م	ـــمـ
ـــم	2	0	0
م	3	9	4
ـــمـ	0	0	0
المجموع	5	9	4

➢ **تعلـــيق:** بعد استقراء نتائج المرحلة الأولى والمرحلة الثّانية نستنتج أنّه قـــد تمّ التّعرف على حرف الميم في آخر الكلمة (م) بـــ: 100% و(ـــــم) بـــــ: 40% وهي نسب إيجابية مقارنة مع نسب التعرّف على حرف المـــيم فـــي أوّل الكلمـــة ووسطها (مـــ، ـــمـــ)؛ وهذا يعني أنّ الصّفات التّمييزية لشكليّ المـــيم فـــي آخـــر الكلمة هي التي ساعدت الحاسوب على التّعرف عليها.

الجدول التّالي يلخّص النّتيجة المتحصّل عليها:

نسبة التّعرف الآلي	عدد الطبقات الخفية
61.11%	طبقة خفيّة واحد تحتوي على 10 نيرونات Une seule couche cachée (10 neurones)

الخاتمة: الخط العربي مطبوعا كان أم يدويا يبقى محل بحث واهتمام من قبل الباحثين واللّغويين خاصّة في عصرنا الحاضر عصر التّكنولوجيات الحديثة والاتصالات، والتّجارب متواصلة لإيجاد طرائق تمكّن من رفع نسبة عمليّة التّعرف على الحروف العربية اليدوية المعزولة حتى تقترب أو تفوق التّسعين بالمائة، وهذا البحث يقترح تقنية- تبقى في نظرنا فعّالة- للتّعرف الآلي على الحروف العربية اليدوية المعزولة، وخلاصة ما انتهى إليه البحث من نتائج ما يلي:

- ضرورة إدماج تقنيتي معالجة الصورة والذّكاء الاصطناعي عن طريق نظام الشّبكات العصبية الالكترونية في حوسبة الحرف العربي؛

نقترح وكامتداد لهذا العمل البحثي استخدام النّظام نفسه للتعرّف على الميم العربية اليدوية المعزولة مع الأخذ بعين الاعتبار:

- ✓ الزّيادة في قيم المداخل (الصّفات التّمييزيّة)؛
- ✓ عدد العيّنات الخطّية الموضوعة للدّراسة.

أخيرا يبقى ما أنجز لحدّ الآن في هذا المجال ومجالات أخرى، لا يزال دون الطّموح الذي من شأنه أن يدخل العربية إلى المجتمع المعلوماتي، في ظلّ الفجوة الرّقمية التي تفصل بين العربية ولغات العالم المتقدّم، لذا نأمل أن تتكاثف الجهود لخدمة اللّغة العربية، خدمة ترقى بها في خضم العولمة وتياراتها الجارفة إلى أن تكون لغة تأخذ على عاتقها مستوى التّكليف الإلهي المنوط بها.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب المطبوعة:

-أنطوان زكري: مفتاح اللّغة المصرية القديمة وأنواع خطوطها وأهمّ إشاراتها ومبادئ اللّغتين القبطية والعبريّة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1417هـ1997م

-خالد قطيش: الخطّ العربي وآفاقه وتطوّره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986م

-شعبان عبد العزيز خليفة: الكتابة العربية، دار الثّقافة العلمية، مصر، د.ط، دت

-محمد حماد: تعلّم الهيروغليفية لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية- الهيأة المصرية العامة للكتاب- مصر- ط1-1991م.

-عبد العزيز بن محمد المسفر: المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المرّيخ للنّشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/1999م

-يحيى وهيب الجبّوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994م

الدّوريات:

-عاصم عبد الفتاح نبويّ، صبري عبد الله محمود: تمييز حروف اللّغة العربية المكتوبة آليا باستخدام الشبكات العصبية ذات الانتشار الرجوعي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلّدة 9: علوم الحاسب والمعلومات، الرياض، 1417هـ/1997م

-عباس العزاوي: خطوط المصاحف الشريفة والخطاط الحسن البغدادي- مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الثامن- 1380هـ ـ1961م.

السّلسلات:

- محمد علي الشرقاوي: الذّكاء الاصطناعي والشبكات العصبية- سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل- مطابع المكتب المصري الحديث-دط- دت.

مراجع باللّغة الأجنبية:

- *Denis ARRIVAULT : Apport des graphes dans la reconnaissance non- contrainte de caractères Manuscrits anciens- thèse pour l'obtention du grade de docteur en traitement du signal et des images- université de Poitiers- 25 Avril 2002*

الاحالات:

---

(1) *Vue : Denis ARRIVAULT : Apport des graphes dans la reconnaissance non- contrainte de caractères Manuscrits anciens- thèse pour l'obtention du grade de docteur en traitement du signal et des images- université de Poitiers- 25 Avril 2002- P : 11.*

(2) عاصم عبد الفتاح نبويّ، صبري عبد الله محمود: تمييز حروف اللّغة العربية المكتوبة آليا باستخدام الشبكات العصبية ذات الانتشار الرجوعي، مجلة جامعة الملك سعود، المجلّدة 9: علوم الحاسب والمعلومات، الرياض، 1417هـ/1997م، ص: 2.

(3) المرجع نفسه، ص: 3.

(4) عباس العزاوي: خطوط المصاحف الشريفة والخطاط الحسن البغدادي، ص: 326

(5) يحيى وهيب الجبّوري: الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1994م، ص: 22/24.

(6) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(7) عبد العزيز بن محمد المسفر: المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المرّيخ للنّشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ/1999م، ص: 18

(8) أبو علي محمد بن مقلة ولد سنة 272هـ، تقلّد الوزارة ثلاث مرات في العهد العباسي، عرف عن أنّه أديب وشاعر للإضافة إلى إبداعه في الخطّ والكتابة وهو الّذي هندس الحروف وأجاد تحريرها وأسّس قواعدها، تنظر ترجمته يحيى وهيب الجبّوري: المرجع السابق، ص: 211

[9] يحيى وهيب الجبّوري: المرجع السابق، ص: 211

[10] شعبان عبد العزيز خليفة: الكتابة العربية، دار الثّقافة العلمية، مصر، د.ط، دت، ص: 34.

[11] أنطوان زكري: مفتاح اللّغة المصرية القديمة وأنواع خطوطها وأهمّ إشاراتها ومبادئ اللّغتين القبطية والعبريّة، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 1417هـ1997م، ص: 14.

[12] أنطوان زكري: المرجع السّابق، ص: 15.

[13] محمد حمّاد: تعلّم الهيروغليفية لغة مصر القديمة وأصل الخطوط العالمية، الهيأة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط1، 1991، ص: 11.

[14] أنطوان زكري: المرجع السّابق، ص: 114.

[15] المرجع نفسه، ص: 117.

[16] خالد قطيش: الخطّ العربي وآفاقه وتطوّره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1986م، ص: 143

[17] يحيى وهيب الجبّوري: المرجع السابق، ص: 34.

[18] شعبان عبد العزيز خليفة: المرجع السابق، ص: 174/173.

[19] المرجع نفسه، ص: 182/181.

[20] المرجع نفسه، ص: 184/183.

[21] المرجع نفسه، ص: 187/186/185.

[22] المرجع نفسه، ص: 193/188.

[23] خالد قطيش: المرجع السّابق، ص: 148

[24] يحيى وهيب الجبّوري: المرجع السّابق، ص: 34.

[25].محمد علي الشّرقاوي: الذّكاء الاصطناعي والشّبكات العصبية، سلسلة علوم وتكنولوجيا حاسبات المستقبل، ص: 260/259.

شواهد الشعر الجاهلي
في تفسير الجواهر الحسان لعبد الرحمن الثعالبي

د. شميسة خلوي
جامعة الجزائر2

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين الذي علَّم الإنسان ما لم يعلــم، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ﷺ.

توطئة: القرآن الكريم كلام رب العالمين، تنزيل من حكيم حميد، كتاب تكفَّل الله عز وجل بحِفظه، فاستوعبته الصدور قبل المصاحف، ولما كانت العــرب أربــاب الفصاحة والبلاغة والخطابة جعلها الله جلّ وعلا المعجزة الخالدة والحجة البالغــة لنبينا محمد ﷺ واختصه بها دون غيره، فأُنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

ولفهم كلام الله عزّ وجلّ والمُراد منه، كان لا بد من علم يستوعب هــذا الأمــر ويحقِّقه، باعتبار كتاب الله المصدر الأوّل للتشريع الإسلامي والذي يــؤطر حيــاة المسلم في دنياه وآخرته، فكان بذلك ظهور ما يسمى (علم التفسير).

والملاحظ أن مِن المفسرين مَن عمد إلى كلام العرب شعره ونثره للاستعانة به على فهم كتاب الله من باب التفسير اللغوي، إلا أن حظ الشعر كان أوفر، ولا سيما الشعر الجاهلي، فصار الاستدلال بالمعنى المراد مــن اللفظــة القرآنيــة بالشــاهد الشعري ميزة لا تخفى في واحد من مصنفات التفسير وإن اختلف المنهج.

والتفسير المعوَّل عليه في هذه الدراسة والذي يعد بمثابة الثابــت مــن عنــوان البحث، هو "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" لعبد الرحمن الثعــالبي (ت: 875)

أحد أفاضل العلماء وأرباب الاجتهاد في الجزائر المحروسة، ونحاول تتبـــع هـــذا التفسير لبيان شواهد الشعر الجاهلي في ثناياه.

أولا: مفهوم علم التفسير: لقد قيَّظ الله لكتابه علماء يفسرونه، ويبينون المـــنهج الرباني الصحيح لعامة المسلمين، بدءا مما نُقل إلينا عن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم من تفسير لكتاب الله، إلى يوم الناس هذا، حيث لم يتوقف التدوين فـــي علـــم التفسير عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، سواء كـــان تفســـيرا كـــاملا أم جزئيا، أو اختصارا أو تعليقا على جهود السابقين، مما يدخل جميعـــه فـــي إطـــار تفسير كتاب الله على وجه العموم، يقول (ابن جُزي) (ت:741): «معنى التَّفســـيرِ: شرحُ القرآنِ، وبيانُ معناه، والإفصاحُ بما يقتضيه بنصِّهأ وإشارَتِه أو نجـــواه»[(1)]، وهذا من أجمع التعاريف التي تقتضي بيان علم التفسير.

ومعلوم أن قيمة أي علم وأهميته إنما تقاس بأهمية المعلوم، لذلك حاز تفسير كتـــاب الله الاهتمام البالغ، وليس أدل من قول (ابن عطية) (ت:542) مبينـــا شـــرف وأهميـــة الاشتغال بكتاب الله تفسيرا وشرحا، بقوله: «فلما أردتُ أن أختار لنفسي، وأنظـــر فـــي علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنويع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قـــدر شرف المعلوم فوجدت أمْتنها حبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنـــوارا، علم كتاب الله جلت قدرته، وتقدَّست أسماؤه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»[(2)]، والتفسير المعوَّل عليه في هذه الدراسة والذي يعد بمثابة الثابت مـــن عنـــوان البحث، هو (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لـــ(عبد الرحمن الثعـــالبي) (ت: 875هـ) أحد أفاضل العلماء وأرباب الاجتهاد في الجزائر المحروسة.

ولا ينكر عاقل العلاقة بين كتاب الله واللغة العربية فـــ «إذا كان هناك نص ما، في لغة ما، قد أحدث ثورة دلالية وطفرة مفهومية تحتاج ليحدث بعض من بعضـــها في مكان ما، وزمان ما، إلى قرون وقرون فهو القرآن العظيم»[(3)]، فاللغة والتفسير

لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، خصوصا إن علمنا أن العلوم اللازمة للمفسِّر عُدَّت خمسة عشر علما منها: ثمانية من علوم العربية، وهي: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبديع والقراءات، وقد علَّل (السيوطي) (ت: 911ه) ضرورة تمكُّن المفسر من اللغة بقوله: «بها يُعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع»[(4)]، بل إن فهم القرآن بفهم اللغة، ولا يتأتى ذلك دونها، «فمن أراد تفهمه، فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى طلب فهمه من غير هذه الجهة»[(5)]، فذات اللسان الذي نزل به كتاب الله يفهم ويفسر به.

وفي ذلك اعتبر (ابن عباس) رضي الله عنه أيضا أن اللغة هي أول أوجه التفسير فيما روي عن (الثوري) وغيره بعد أن قسَّم التفسير إلى أربعة أقسام جاعلا أولها قسم تعرفه العرب في كلامها، بقوله: «فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك شأن اللغة والإعراب، فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها»[(6)]، إذن، من هنا تبدو العلاقة وثيقة، تلك التي تربط آي القرآن العظيم باللغة العربية، ولا سيما حين نتحدث عن تفسير القرآن الكريم.

وعلى ضوء ما تقدَّم، فإننا نسعى في هذه الدراسة إلى البحث عن شواهد الشعر الجاهلي في سياق تفسير الثعالبي، بحيث نتتبع هذا التفسير، نترسمه ونمعن فيه النظر بغية الكشف عن مدى استعانة الثعالبي بالشواهد المذكورة في تأليف مصنفه.

ثانيا: ترجمة الشيخ عبد الرحمن الثعالبي:

هو[(7)] (عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف)، يكنى (أبا زيد)، ويلقب بـ (الثعالبي الجزائري المغربي المالكي)، ولد سنة 785هـ، وقيل سنة 786ه، بـ (وادي يسَّر) على نحو (86) كيلومترا بالجنوب الشرقي من العاصمة الجزائرية.

تلقى مبادئ العلم الأولى على يدي علماء منطقته، ثم توجه لـ (بجاية) مستزيدا من العلم، وبعدها إلى (تركيا) فـ (الحجاز)، ليعود بعدها لـ (مصر)، ويستقر أخيرا بـ (الجزائر العاصمة) مسقط رأسه، حيث انكب على التدريس والتأليف.

من جهة أخرى، لم تشر الكتب التي ترجمت (للثعالبي) إلى تاريخ زواجه، بينما ذكرت أن له من الأولاد ثمانية، أربعة ذكور وأربعة إناث.

وقد تتلمذ على يد (الثعالبي) كثيرون نذكر منهم: (أحمد بن عبد الله الزواوي) (ت: 884ه) والإمام (محمد بن يوسف السنوسي) (ت: 895ه) و(محمد بن مرزوق الكفيف) (ت:901ه) والعلامة محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت: 909ه) وغيرهم.

ولم يزل -رحمه الله- عاكفا على الطاعات متجردا لنشر العلم، إلى أن وافاه أجله صبيحة يوم (الجمعة 23 من رمضان 875ه / 1471م)، ودفن بمكان يعرف بـ(جبانة الطلبة)، خارج (باب الواد) بالجزائر العاصمة.

ولـ (عبد الرحمن الثعالبي) أزيد من (90) مؤلفا، بين متون وشروح وتعاليق وكتب مستقلة في فنون وعلوم عدة، كالتفسير والفقه والحديث والوعظ والرقائق، وجلها مازال مخطوطا، ففي علوم القرآن له: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، و(تحفة الأقران في إعراب بعض آي القرآن)، و(الذهب الإبريز في غريب القرآن العزيز)، وفي الفقه ألَّف: (روضة الأنوار)، و(جامع الأمهات في أحكام العبادات).

أما في الحديث فنجد: (أربعون حديثا مختارة)، و(المختار من الجوامع)، كما كانت للثعالبي مؤلفات في الرقائق وتهذيب النفس وعلوم الآخرة: هي: (الأنوار المضيئة في الجمع بين الشريعة والحقيقة)، و(العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة)، وكتاب (النّصائح)، و(جامع الفوائد)، و(الدر الفائق في الأذكار)، و(الإرشاد في

مصالح العباد)، و(إرشاد السالك)، وخصَّ الخصائص النبوية بكتاب في معجزاتـــه صلى الله عليه وسلم.

كما للثعالبي فهرس موسوم بـــ (غنيمة الواجد وبغية الطالب الماجد)، وهو ثبت لطيف ذكر فيه صاحبه مصنفات الحديث التي اتَّصلت به وبعض أسانيدها وأســـماء مؤلفاته، ومدار روايته فيه على (الحافظ ولي الدين العراقي)، إضافة إلـــى رحلتـــه العلمية التي جعلناها مدونة بحثنا.

كما كان للشعر نصيب من تآليف (الثعالبي) -وإن كانت جلها مخطوطة- مثـــل ذلك لاميته والتي كان لها صدى طيبا في إفريقيا الغربية، ومطلعها[8]:

تَمُـــرّ اللَّيَـــالِي بِنَفْسِـــي وَمَـــالِي فَيَا قَوْمِ مَالِي عَـنِ المَـوْتِ مَـالِي
نَهَـــارِي جِـــدَالٌ وَلَيْلِـــي انْجِـــدَالٌ وَحَوْلِي رِجَالٌ عَلَـى مِثْـلِ حَـالِي

وقد حظي (الثعالبي) بثناء عطر من قبل أهل العلم، إذ قال عنه الســخاوي (ت: 902ه): «كان إماما علامة مصنفا»[9]، وأثنى عليه التنبكتي (ت: 1036هـ) بقولـــه: «الشيخ الإمام الحجة العالم العامل الزاهد الورع ولي اللَّه الناصح الصالح العـــارف باللَّه أبو زيد الشهير بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، كان مـــن أوليـــاء اللَّـــه المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد اللَّه الصالحين» [10].

والمستفاد مما قدمناه حول حياة الرجل ومصنفاته العلمية هو أنه راسخ القدم في كثير من العلوم، طويل الباع واسع الاطلاع، وتنوع تصانيفه تدل على ذلك.

ثالثا: نبذة عن (الجواهر الحسان في تفسير القرآن):

إن مدونة بحثنا الموسومة بالجواهر الحسان في تفسير القرآن[11] كتاب تفســـير للقرآن الكريم، يقع في (05) أجزاء، حقَّق أصوله على أربع نســـخ وعلـــق عليـــه

وأخرج أحاديثه الشيخ (محمد علي معوض) والشيخ (عادل أحمد عبـــد الموجـــود)، وشارك في تحقيقه (عبد الفتاح أبو سنة).

وقد قال الثعالبي واصفا تفسيره ضمن حديثه عن مؤلفاته: «فمـــن أعمِّهـــا نفعـــا وأعظمها بركة كتابنا المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن وقد رأيت له بحمـــد الله عجائب وبركات وبشارات متواليات»[12] ولقي هذا التفسير القبول من أهل العلم، القدامى منهم والمحدثين، فأثنوا عليه وعلى كاتبه، وكان مما قيل فيه: «وأمـــا تآليفـــه فكثيرة كتفسيرها لجواهر الحسان في غاية الحسن»[13]، وكذلك: «إن الكتـــاب مفيـــد، جامع لخلاصات كتب مفيدة، وليس فيه ما في غيره من الحشو المُخِل، والاســـتطراد المُمِل»[14]، ومما أنشده الفضلاء احتفاء بهذا التفسير وصاحبه قولهم [15]:

يَـــا قَـــارِئَ القُـــرآن يَبْغِـــي تَفَهُّمـــا   خَـــزِّن لآلِـــي سَـــيِّد الفُضَـــلاء

جَوَاهِر جَـــاءَتْ مِـــنْ إمَـــام مُحَصِّـــل   جَـــزَاهُ إلـــه الخَلْـــق خَيْـــرَ جَـــزَاء

يَـــا زَيْـــدَ الحبـــر الـــوليّ إمَامنـــا   وملجأنـــا فـــي شِـــدَّة وَرَخَـــاء

فَحُقَّ لَهَا يـــا صَـــاح تُـــدعى جَـــواهِرا   وَجَامعهـــا مـــن ســـادة العُلَمَـــاء

رابعا: الشاهد الشعري: لقد رجع المفسرون إلى لغة العرب لبيان معاني القرآن الكريم باعتبارها أهم مصدر من مصادر التفسير بالرأي وأوســـعها «والمفســـرون يشترطون في تلك اللغة التي يفسر بها القرآن الاستفاضة والشـــهرة لأن كتـــاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشـــاذ مـــن لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ووجه معروف»[16]، وكثيرا مـــا لجـــأ المفسرون إلى الاستدلال على المعاني بالشاهد الشعري، وهو عند أهـــل العربيـــة «الذي يستشهد به في إثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب لكونـــه مـــن شعر العرب الموثوق بعربيتهم»[17]، والثقة هنا لازمة لكون المفسَّر هو كـــلام الله وما يستدعيه ذلك من حرص.

ومما ساد عند العلماء وخصوصا أهل النحو منهم ألفاظا تنطبق على معنى الشاهد على شاكلة الاحتجاج والتمثيل.

وقد لجأ العلماء إلى الشواهد في تفسير الغريب ومسائل النحو وغيرها «وكانوا يستشهدون على ذلك بأشعار الطبقتين من الجاهليين والمخضرمين»[18]، لما لهما من موثوقية نظرا لبعدهما عن العصور المتقدمة.

وإن للشاهد أهمية بالغة في التفسير، وكان هذا شأن الكثير من العلماء القدامى، إذ عدَّ الشاهد حجة المعجمي والنحوي والمؤول... وخصوصا الشاهد الشعري باعتبار «الشواهد تنزع من الشّعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرسول صلّى الله عليه وسلّم شاهد»[19].

فهذا (الأزهري) في تهذيب اللغة يقول: «وقد دعاني إلى ما جمعتُ في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها، واستقصيتُ في تتبُّع ما حصَّلت منها، والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها، التي احتجَّ بهَا أهل المعرفة المؤتمنون عليها»[20].

وإذا ما رمنا البحث عن الشواهد التي استعان بها علماء العربية احتجاجا بها لوجدنا الكثير منها، فقد ثبت أن عدد شواهد الشعر في كتاب سيبويه –على وجه التمثيل لا الحصر– قد بلغ (1056) شاهدا[21]، مما يدل على أصالة هذا المنهج المُعين على بسط المعنى مهما كان صنفه.

خامسا: شعراء العصر الجاهلي المستشهد بهم في (الجواهر الحسان):

كان نصيب الشعر الجاهلي معتبرا ضمن مجموع الاستشهادات الشعرية التي استعان بها (الثعالبي) في تفسيره، وقد قمنا بعملية إحصائية أسفرت عن وجود (138) استشهادا بتوظيف (257) بيتا شعريا، من عصور مختلفة.

وبما أننا ركزنا في بحثنا على الشاهد الشعري من العصر الجاهلي، فإننا عددنا هذه الشواهد في الجواهر وقد بلغت (41) استشهادا، ولو اعتمدنا على معيار طبقات الفحول من الشعراء والتمسنا في ذلك تقسيم (ابن سلام الجمحي) لوجدنا استشهادات (الثعالبي) تضمنت عددا من شعراء العصر الجاهلي ممثلا في الجدول التالي:

الشاعر	عدد الاستشهادات	الطبقة (حسب تصنيف الجمحي)
امرؤ القيس	03	الأولى
النابغة الذبياني	02	الأولى
زهير بن أبي سلمى	06	الأولى
الأعشى	04	الأولى
الحطيئة	01	الثانية
كعب بن زهير	01	الثانية
أبو ذئيب الهذلي	04	الثالثة
لبيد بن ربيعة	01	الثالثة
طرفة بن العبد	03	الرابعة
عبيد بن الأبرص	01	الرابعة
عدي بن زيد	04	الرابعة
عمرو بن كلثوم	01	السادسة
حسان بن ثابت	05	شعراء المدينة
عبد الله بن رواحة	01	شعراء المدينة
متمم بن نويرة	01	شعراء المراثي
الخنساء	03	شعراء المراثي

فنرى إذن كيف نوّع (الثعالبي) من الأبيات الشعرية لمختلف فحول الشــعر الجــاهلي والمخضرمين، كما نلفيه يعتمد أحيانا على شاعر واحد في مواضــع مختلفــة، وأحيانــا أخرى كان ينتقي الشاهد الواحد لشاعر معين دون الاحتجاج بشعره مرة أخرى.

سادسا: أنواع شواهد الشعر الجاهلي في تفسير الجواهر الحسان:

تعدّدت أنواع الشواهد الشعرية التي استعان بها (عبد الــرحمن الثعــالبي فــي تفسيره، والذي يهمنا هو الشواهد التي ينتمي قائلوها إلى العصر الجاهلي وفي ذلك ألفينا ثلاث فئات، شواهد نحوية وشواهد القراءات وشواهد معجمية.

أ. **الشواهد النحوية:** في هذا الباب من المدارسة سنوضح كيف استدل المفســر بالشعر الجاهلي لبيان أغراض نحوية، باعتبار الشاهد النحوي هو كل بيت استشهد به في بيان قاعدة نحوية أو توضيح وبيان مسألة نحوية على وجه العموم، أو مــا تعلق بها كشواهد الأسماء وشواهد الأفعال وشواهد الحروف وشواهد تتعلق بتركيب الجملة وشواهد التصريف.

ففي تفسيره للآيــة ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُا۟ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ ۝٨٥﴾ (يوسف:85) استعان الثعالبي ببيت شعري لامرئ القيس للدلالة على قاعدة نحوية تخص (لا)، إذ يقول: «المعنى: تالله لا تفتأ فتحذف (لا) في هــذا الموضع من القَسمِ لدلالة الكلام عليها فمن ذلك قول امرئ القيس: [الطويل]

فَقُلْــتُ يَمِــينَ اللَّــهِ أَبْــرَحُ قَاعِــداً ولَوْ قَطَعُــوا رَأْسِــي لَــدَيْكِ وَأَوْصَــالِي»[22]

وفي موضع آخر من (الجواهر الحسان) استدل المفسر ببيت للأعشى، إذ قال: «قرأ الجمهور: (أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ)، وهي عند سَيْبَوَيْهِ (أن) المخفَّفَةُ من الثقيلة قال أبــو الفتح: فهي بمنزلة قول الأعْشَى: [البسيط]:

فِي فِتْيَــةٍ كَسُــيُوفِ الهِنْــدِ قَــدْ عَلِمُــوا أَنْ هَالِكٌ كُــلُّ مَــنْ يحفــى وينتعــل»[23]

ب. شواهد القراءات: يعد علم القراءات من أوثق العلوم صلة بكتاب الله تعالى ثم إنه سند لكثير من استنباطات الفقهاء، فباختلاف القراءات يظهر الاختلاف في الأحكام، وعلم القراءات من العلوم التي ينبغي الاعتماد عليها في دراسة العربية الفصحى «لأن رواياتها هي أوثق الشواهد على ما كانت عليه ظواهرها الصوتية والصرفية والنحوية واللغوية بعامة»[24]، وعليه كان الاهتمام بتوضيحها في تفسير الثعالبي ببسط ما يؤيدها من الأشعار حاضرا على مدار الأجزاء كلها.

يقول (الثعالبي): «قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مخاطبة لجميعِ النَّاسِ، يجمع الآباءَ والأمهاتِ، أي: لهم اتخاذُ الظِّئْر، مع الاتفاق على ذلك، وأما قوله: إِذا سَلَّمْتُمْ، فمخاطبةٌ للرجال خاصَّة إلا عَلَى أحد التأويلَيْن في قراءة مَنْ قرأ: (أُوتِيتُمْ)، وقرأ السِّتَّة من السبعةِ: (آتَيْتُمْ) بالمدِّ بمعنى أَعْطَيْتم، وقرأ ابن كثير: (أَتَيْتُمْ) بمعنى: فعلتم كما قال زُهير: [الطويل]

وَمَا كَانَ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ»[25]

وأثناء تفسيره للآية: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (هود: 46) يستشهد الثعالبي في التفسير ببيت للخنساء فيقول: «قالت الخَنْسَاءُ تصفُ ناقَةً ذَهَبَ عنْها ولَدُها: [البسيط]

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا ادكرت فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

أي: ذاتُ إِقبالٍ وإِدبارٍ ويبيِّن هذا قراءةُ الكسَائِيِّ «إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ»[26].

د. الشواهد المعجمية: تضم هذه الشواهد الشعرية كل ما له علاقة باستعمال لفظة ما وما يهمنا هو ما تعلق بالمفردات القرآنية معنى وشرحا أو لبيان أصلها الاشتقاقي أو تطورها الدلالي، ونورد نماذج لبيان الغرض المذكور.

فأثناء تفسير (الثعالبي) لقوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾(غافر:27) قال: «والدين: السلطانُ ومنه قولُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

لَئِنْ حَلَلْتَ بِحَيٍّ في بَنِي أَسَدٍ   في دِينِ عَمْرٍو وَحَالَتْ بَيْنَنَا فَدَكُ»[27]

وفي موضع آخر من التفسير ورد: «وقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ﴾: معناه: شدَّدتم، وعَقْدُ اليمينِ كعَقْدِ الحبل والعهد قال الحطيئة: [البسيط]

قَوْمٌ إذَا عَقَدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ   شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرَبَا»[28]

كما يستشهد المفسر ببيت لـ(كعب بن زهير) في معرض تفسيره للآية (النجم: 57) فيقول: «وقوله تعالى: أ﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ٥٧﴾ معناه: قربت القريبة، والآزفة: عبارة عن القيامة بإجماعٍ من المفسرين، وأَزِفَ معناه قَرُبَ جدًّا قال كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ: [البسيط]

بَانَ الشَّبَابُ وَآهَا الشَّيْب قَدْ أَزِفَا   ولا أرى لشباب ذاهب خلفا»[29]

ونشير في خضم الحديث عن شواهد الشعر الجاهلي في (الجواهر الحسان)، أن الثعالبي لم ينسب كل الأبيات إلى قائليها، فكثيرة هي العبارات التي استعان بها لعرض الشاهد الشعري دون عزو فعلي لقائله الأصلي، وقد انسحبت هذه الخاصية على مختلف الشعراء بتنوع العصور، بما في ذلك الشعر الجاهلي، وقد بلغ عدد الاستشهادات المنسوبة إلى قائليها (62) استشهادا، بينما تم رصد (76) استشهادا مجهول القائل، وهذا الأمر لا يسقط الاحتجاج بالأبيات.

ومن العبارات التي تبسط الشاهد دون ذكر صاحبه قول المفسِّر: (لله در القائل، قول بعضهم، قول القائل، كقول الشاعر)، وغيرها.

ونمثل لهذه الظاهرة بما يلي -مما تعلق بالشعر الجاهلي-: يقول (الثعالبي): «ومنه قولُ الشاعر: [الطويل]

على حِينَ عَاتَبْتُ المَشِيبَ عَلَى الصِّبَا   فَقُلْتُ: أَلَمَّا أَصْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ»[30]

والبيت (للنابغة الذبياني)[31] التي يمدح فيها (النعمان) ويعتذر إليه.

وورد في التفسير أيضا قول (الثعالبي): «ومنه قول الآخر: [البسيط] تَاللَّهِ يبقى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حيد...»[32]، وشطر البيت لأبي ذؤيب الهذلي، وورد كاملا في عدة مصادر على النحو التالي:

تَاللَّهِ يبقى عَلَى الأَيَّامِ ذُو حيد بمشمخرّ به الظيّان والآس[33]

وأخيرا نلخص ما وصلنا إليه في هذا البحث عبر النقاط المختصرة التالية:

– لقد تتبع (الثعالبي) منحى من سبقوه من المفسرين وذلك بتوظيف الشواهد الشعرية لمختلف العصور ولا سيما العصر الجاهلي، وهذه الميزة لا تخفى في واحد من مصنفات التفسير وإن اختلف المنهج؛

– لقد بلغت مجمل الاستشهادات الشعرية في تفسير (الجواهر الحسان) بأجزائه الخمسة (138) استشهادا ضم (257) بيتا شعريا، منها (29) استشهادا لشعراء من العصر الجاهلي؛

– اعتبر الشاهد الشعري دليلا معتبرا استند إليه الثعالبي لبيان مسائل نحوية ومعجمية وأخرى تتعلق بالقراءات؛

– احتل الشاعر (زهير بن أبي سلمى) الصدارة مقارنة ببقية الشعراء المستشهد بهم من العصر الجاهلي؛

– اعتمد (الثعالبي) في استشهاداته على شعراء الطبقة الأولى من طبقات فحول الشعراء على وجه الخصوص؛

– بعض شواهد الشعر الجاهلي الواردة في التفسير معزوة لقائليها، وبعضها الآخر لم تنسب لأصحابها نظرا لشهرة الشاهد وتداوله؛

– بعض الشواهد اقتصر فيها المفسِّر على بيت واحد، بينما تعدَّت بعض الاستشهادات البيت والبيتين من الشعر؛

– كان نصيب الشعر النسوي الجاهلي منحصرا في استشهادات شعرية للخنساء فقط.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

– آدم عبد الله الإلوري، الفواكه الساقطة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر.

– إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م.

– إسماعيل البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

– أبو صفوان ذياب الغامدي، الوَجازة في الإثبات والإجازة، ط1، دار قرطبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1428هـ، 21.

– أبو العباس التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م.

– أبو عبد الله بن إدريس الشافعي، الديوان (الجوهر النفيس في شعر الإمام ابن إدريس) إعداد وتعليق وتقديم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر.

– أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر.

– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، 1998م.

- ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التَّنْزِيل، تحقيق: عبد الله الخالـــدي، شــركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ.

- ابن عطية المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422ه.

- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، لبنان، 1414هـ.

- الشاهد بن محمد البوشيخي، نحو معجــم تــاريخي للمصــطلحات القرآنيــة المُعرَّفة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ندوة عناية المملكة العربيــة السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، 1421هـ.

- العربي ايشبودان، مدينة الجزائر، تاريخ عاصمة، ترجمة: جنــاح مســعود، مراجعة: حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

- النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: عباس عبد الســاتر، دار الكتــب العلميــة، بيروت، لبنان.

- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيــروت، 1408 هـ - 1988م.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، مايو، 2002م.

- شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحيــاة، بيروت، لبنان.

- صلاح الدين الشامي، الرحلة على الجغرافيا المبصرة، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر-، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م.

- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م.

- عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418ه/1997م.

- ـــ، غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد (فهرسة مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي) ويليه رحلة عبد الرحمن الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426ه، 2005م.

- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الوطنية الجزائرية، ومنشورات دار مكتبة دار الحياة بيروت،1385ه/1965م.

- عبد الجبار حلواني، الشواهد والاستشهاد في النحو، مطبعة الزهراء، بغداد.

- محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.

- محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ / 2003م.

- محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية والمنح المرعية، عالم الكتب.

- محمد بن علي التهانوي موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

– مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغـــة والأدب، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1984م.

– خالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، ط2، الدار الشرقية، 1409ه/ 1989م.

الاحالات:

(1) ابن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التَّنْزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، 1416هـ، 15.

(2) ابن عطية المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلظمية، بيروت، 1422 هـ، 34.

(3) الشاهد بن محمد البوشيخي، نحو معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المُعرَّفة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ندوة عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، 1421هـ، 360.

(4) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م، 213/4.

(5) إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط1، دار ابن عفان، 1417هـ/ 1997م، 102/2.

(6)ابن عطية المحاربي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ، 34.

(7) ممن ترجموا للثعالبي على سبيل التمثيل لا الحصر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 152/4، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م، 257–258، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، علق عليه: عبد

المجيد خيالي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ / 2003م، 382/1، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، 733/2-734، والأعلام، خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، مايو، 2002م، 331/3، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 532/1، وتعريف الخلف برجال السلف، أبو القاسم الحفناوي، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1334ه/ 1906م، 63/1، وتاريخ الجزائر العام، عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، ط2، مكتبة الشركة الوطنية الجزائرية، ومنشورات دار مكتبة دار الحياة بيروت،1385ه/1965م، 280/2-285، ومعجم أعلام الجزائر -من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر- عادل نويهض، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، 90.

([8])آدم عبد الله الإلوري، الفواكه الساقطة، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، مصر، ص:02.

([9])شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 152/4.

([10]) أبو العباس التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 257-258.

([11]) ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1418ه/1997م.

([12]) غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد (فهرسة مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي) تحقيق: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426ه، 2005م، 26.

([13]) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، عناية وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، 2000م، 259.

([14]) محمد السيد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، 179/1.

([15])غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد (فهرسة مرويات ومؤلفات عبد الرحمن الثعالبي) تحقيق: محمد شايب شريف، ط1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1426ه، 2005م، 27.

([16]) عبد الرحمن بن معاضة الشهري، الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 05.

([17]) المرجع السابق، 61.

([18]) مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، 229.

([19]) أبو هلال العسكري، الصناعتين، علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، 1419ه، 131.

([20]) أبو منصور الأزهري، تهذيب اللغة، محمد عوض مرعب، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، 07/1.

([21]) خالد عبد الكريم جمعة، شواهد الشعر في كتاب سيبويه، ط2، الدار الشرقية، 1409ه/ 1989م، 173.

([22]) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 347/3.

([23]) المصدر السابق، 239/3.

([24]) عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي، 07.

([25]) عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 471/1.

([26]) المصدر السابق، 286/3.

([27]) نفسه، 112/5.

([28]) نفسه، 414/2.

([29]) نفسه، 333/5.

([30]) نفسه، 88/1.

([31]) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 53.

([32])عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 347/3.

([33]) ابن منظور، لسان العرب ط3، دار صادر، بيروت، 1414ه، 429/4.

موقف المفسّرين من الشعر الجاهلي وحاجتهم إليه لفهم القرآن الكريم

داه. عبد الرحمن بلحنيش.
المركز الجامعي عبد الله مرسلي، تيبازة.

ملخص: الشعر العربي مثلما قال عمر بن الخطاب: "علم قوم ليس لهم غيره" كان معتمد العلماء من لغويّين ونحويّين ومفسّرين يعينهم في بناء القواعد اللّغوية وفي فهم القرآن الكريم وتفسيره بخاصة إذا أشكل عليهم فهم بعض مفرداته من غريب أو دخيل أو أي حرف خالف ما ألفوه من أوجه العربية، فلا تجد كتابا لغويا أو تفسيريا يخلو من هذا الشّاهد الشّعري.

إذ قد أجمع العلماء على جواز ذلك لأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، فهذا ابن عباس في الصدر الأول من الإسلام مثلما يروى عنه كان لا يفسّر آية إلاّ ويعقبها بشاهد شعري؛ ومسائله مع نافع بن الأزرق لا تخفى على أحد.

الكلمات المفتاحية: الشعر؛ القرآن الكريم؛ اللغة؛ التفسير؛ الدّخيل؛ الغريب؛ المعرب.

Abstract

The Arabic poetry as Omer Ben-El-KHATTAB says: "knowledge which its people has nothing else" was the basis that helped scholars amongst Linguists, Grammarians and Interpreters in constructing language rules, in understanding the Holy Quran and interpreting it especially if they feel confused in understanding some of its strange or borrowed concepts or any letter that differs from what they are used to in the different Arabic uses. You cannot find a Linguistic or Interpretation book that is devoid from this poetic reference.

There is a major consensus among scholars on the latter because the Holy Quran was revealed in a clear Arabic tongue. Ibn-ABASS in the first era of Islam, as narrated, has never interpreted a verse (Ayah) without

proceeding it with a poetic reference; and his matters with Nafi'e Ben-El-AZRAQ cannot be missed.

Key words: Poetry; The Holy Quran; Language; Interpretation; Intruder; Strange; Conjugated.

توطئة: نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فأعجز أهل الفصاحة والبيـــان، وتحدّاهم أن يأتوا بمثله أو ببعضه، وليس لأنّهم صرفوا عنه كما يـــرى المعتزلـــة، وظهر إعجازه في بيانه وأسلوبه وفصاحة كلماته.

أمّا الصحابة فقد فهموا القرآن في مجمله، وما عجزوا عن بعضه فسّره لهـــم ســـيّد الفصاحة والبيان محمد عليه الصلاة والسّلام، وعند وفاته كانوا يقفون عاجزين في بعض مفردات غريب القرآن، ولا حول لهم إلاّ بالعودة إلى كلام العرب مـــن نثـــر وشعر فكان المعين لهم على ذلك، وممّا يروى أنّ عمر بن الخطاب وهـــو علـــى المنبر سأل عن معنى كلمة تخوّف في آية ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ فأجابه رجل من هذيل على أنها على معنى (تنقص) ثمّ أنشد:

تَخَوَّفَ الرَّجُلُ مِنْهَـــا تَامِكًـــا قَـــرِداً   كَمَا تَخَـــوَّفَ عُـــودُ النَّبْعَـــةِ السَّـــفِنُ

وهنا تبدو حكمة نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف، وعليـــه قـــال عمـــر:" عليكم بشعر العرب (ديوان العرب) فإنّ فيه تفسير كتابكم" ويعنـــي بـــه القـــرآن، ورواية عن عبد الله بن عباس وهو أوّل مفسر للقـــرآن وقصـــته مـــع الخـــوارج مشهورة، فقد رجع في أكثر من مئتي مسألة إلى الشعر الجاهلي وهو الذي قال: ما عرفت معنى فَطَرَ من ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى اختصم عندي رجـــلان في بئر فقال أحدهما: هذه بئري ذو فَطَرْتُ وذو طَمَرْتُ، فعلـــم عنـــدها أنّ فطـــر معناها شَقَّ، وهو القائل: عليكم بديوان العرب (شعر)، وهذا أهم موقف وأفضـــله، ممّن يمنع الاستشهاد والاحتجاج بالشعر الجاهلي على القرآن الكريم.

هذه المداخلة ستبيّن مختلف المواقف من الشعر الجاهلي كما ستتناول محطات مختلفة، كألفاظ الغريب لبيان فضل هذا الشعر وأهميّته في تفسير وفهم آي القرآن الكريم.

1/**مفهوم التّفسير والتّأويل:** قال ابن منظور في لسان العرب:" الفسر البيان، يقال: فسر الشّيء وفسّره، أي أبانه...والفسر: كشف المغطّى، والتّفسير البيان وهو كشف المراد عن اللّفظ المشكل."[1]

أمّا **اصطلاحا:** فهو البيان والكشف والتّوضيح والإظهار، جاء عن الزّركشي في البرهان بأنّه:" علم يعرف به فهم كتاب اللّه المنزّل على نبيّه محمّد –عليه الصّلاة والسّلام– وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه"[2]، ويرى الطّاهر بن عاشور بأنّه" اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسّع."[3]، ومن معاني التّفسير: التّأويل، فما التّأويل؟ التّأويل مرادف للتّفسير في أشهر معانيه مثلما يرى الزّرقاني نقلا عن صاحب القاموس: أوّل الكلام تأويلا تأوّله: دبّره وقدّره وفسّره، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ آل عمران07، وخلاصة ما يراه المفسّرون أنّ التّأويل والتّفسير مترادفان، ومنهم من يرى التّفسير بيان اللّفظ عن طريق الرّواية، بينما التّأويل بيان للّفظ عن طريق الدّراية، ومن يرى التّفسير بيان للمعاني الّتي تستفاد من وضع العبارة، والتّأويل بيان للمعاني الّتي تستفاد بطريق الإشارة[4]

2/ **أنواع التّفاسير:** تفاسير القرآن الكريم تتنوّع حسب اختصاص كلّ مفسّر، فمنها تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالمأثور، ومنها التّفسير بالرّأي، والتّفسير الإشاري[5]، ومنها التّفسير اللّغوي، وهو موضوعنا، والتّفاسير الّتي عنت باللّغة عديدة لعلّها وأوّلها تفسير ابن عبّاس، ثمّ توالت تفاسير عديدة، كتفسير ابن جرير الطّبري، وتفسير ابن عطيّة "المحرّر الوجيز"، وتفسير السّمين الحلبي "الدرّ

المصون"، وتفسير أبي حيّان الأندلسي "البحر المحيط"، وتفسير الطّاهر بن عاشور "التّحرير والتّنوير"، وتفسير جمال الدّين القاسمي "محاسن التّأويل"، وغير هذه التّفاسير كثير لا يحصيها عدّ في هذه الورقة، وما يهمّنا هنا هو الإشارة إلى أنّ هذه التّفاسير اللّغويّة قد عنت بالشّاهد الشّعري، وجعلت منه أصلا من أصول اللّغة الّتي يستدلّ بها على حرف من حروف العربيّة أو وجها من وجوهها، أو مفردة من الدّخيل أو الغريب، أو المعرّب استبهمت على طالب القرآن فهو في حاجة إلى هذا الشّاهد ليذلّ له الصّعب فيقتنص المعنى من خلال المقارنة أو المشابهة أو الإسقاط؛ فقد ورد عن ابن عبّاس–رضي اللّه عنهما– "أنّ التّفسير أربعة: حلال وحرام، لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسّره العرب بألسنتها، وتفسير تفسّره العلماء، وتفسير لا يعلمه إلاّ اللّه.اه"[(6)]، وقال الزّركشي في البرهان معلّقا على هذا التّقسيم: "هذا تقسيم صحيح. فأمّا الّذي تعرفه العرب بألسنتها فهو ما يرجع إلى لسانهم من اللّغة والإعراب. فأمّا اللّغة فعلى المفسّر معرفة معانيها ومسمّيات أسمائها. ولا يلزم ذلك القارئ. ثمّ إن كان ما يتضمّنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد والاثنين، والاستشهاد بالبيت والبيتين. وإن كان يوجب العلم (أي الاعتقاد) لم يكف ذلك، بل لا بدّ أن يستفيض ذلك اللّفظ وتكثر شواهده...."[(7)]، في النّص ما يشير إلى العلم بكلام العرب، لفهم القرآن لأنّه نزل بلغتهم، وهذا من أوكد الواجبات.

3/مفهوم النّص الشّعري ودوره في التّأسيس للقاعدة اللّغويّة والبيانيّة:

الشّعر عند الأدباء والنّقاد الكلام العربيّ الموزون المقفّى، وهو من أصول النّقل والسّماع في العربيّة والبيان والتّفسير والفقه وغيرها من العلوم.

الشّعر العربي مصدر من مصادر اللّغويّين والنّحويّين على السّواء، فهو أحد روافد النّقل والسّماع، إضافة إلى القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف؛ فممّا يروى من أشعار العرب للتّفسير والبيان والشّرح، وهو ما اصطلح على تسميته

بالشّاهد الشّعري، فما مفهوم الشّاهد في اللّغة؟ "**الشّاهد** عند أهل العربيّة هو الجزئيّ الّذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئيّ من التّنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيّتهم."[8]، هذا الشّاهد حوته مصنّفات لغويّة ونحويّة وبلاغيّة، تحمل أسماء مثل: الفصيح (لثعلب)، المفردات في غريب القرآن (للرّاغب الأصفهاني)، ومجاز القرآن (لأبي عبيدة)، وغريب القرآن ومشكل القرآن (لابن قتيبة)، وكتب إعراب القرآن كالّتي للفرّاء والمبرّد والنّحّاس وأبي البركات الأنباري، وغيرها، وكمثال على ذلك ما ذكره السّيوطي تحت عنوان: {موضع اللّفظ الفصيح} ومستشهدا له بالشّعر: قال: "ولفظ **اللّبّ** بمعنى **العقل** يقبح مفردا ولا يقبح مجموعا، لقوله تعالى: ﴿لِأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَـٰبِ﴾ غافر54 قال: ولم يرد لفظ اللّبّ مفردا إلاّ مضافا، لقوله عليه الصّلاة والسّلام: ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبّ الرّجل الحازم من إحداكنّ، أو مضافا إليه، كقول جرير: يصرعن ذا اللّبّ حتّى لا حراك به.

وكذلك (الأرجاء) تحسن مجموعة كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ﴾ الحاقّة17، ولا تحسن مفردة إلاّ مضافة، نحو: رجا البئر، وكذلك الأصواف، تحسن مجموعة، كقوله تعالى: ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ ، ولا تحسن مفردة، كقول أبي تمّام: فكأنّما لبس الزّمان الصّوفا.[9]

هذا النّصّ سقناه لبيان أنّ اللّغويّ والنّحويّ أو المفسّر، إنّما حاجته دائما للشّعر، والشّعر درجات؛ وأعلاه الجاهليّ لبعده عن الاختلاط، ولأنّ القرآن الكريم نزلّ متحدّيّا لأمرائه في فصاحته وبلاغته؛ والمشتغلون بهذه العلوم، يبحثون في دواوينه وقصائده، كلّ حسب اختصاصه؛ فمنهم من يبحث عن نظريّة نحويّة حقيقيّة، ومنهم من يبحث عن ضروب استعمال اللّغة، ومنهم من يبحث عن الفصيح، وعن الغريب والدّخيل، لهذا نسمع بمصطلحات للدّارسين: هذا أفصح وهذا أبلغ، وهذه لغة

فصيحة وهذه لغة رديئة، وهذا متروك....إلخ ،فمن ذلك أنّ النّحاة يبحثون في استعمالات الشّعراء ويؤوّلونها بمختلف الضّروب، قال الخليل بن أحمد: "الشّعراء أمراء الكلام يصرّفونه أنّى شاؤوا وجائز لهم ما لا يجوز لغيرهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللّفظ وتعقيده، ومدّ مقصوره وقصر ممدوده، والجمع بين لغاته، والتّفريق بين صفاته، واستخراج ما كلّت الألسن عن وصفه وبعثه، والأذهان عن فهمه وإيضاحه، فيقرّبون البعيد ويبعدون الغريب، ويحتجّ بهم ولا يحتجّ عليهم."[10] فاللّغويون والنّحاة والمفسّرون لهم إلى الشّعر حاجة في إثبات حرف في القرآن الكريم أو تقرير قاعدة، وأنّ هذا الشّاهد إنّما يساق للإثبات والتّوضيح، وأنّ هذه القواعد إنّما بنيت وفق منظور العرب، وليست من اختراع النّحاة، ولنا أن نقدّم أمثلة لغويّة ونحويّة في هذه المسائل على سبيل الاستئناس لا غير، من ذلك مثلا:

- لفظ **الأبابيل** هل هو عربيّ أم دخيل؟ جاء أنّ لفظ الأبابيل: ج. أبِّيل بتضعيف الباء وكسرها، وهو من الألفاظ الّتي تداخلت في اللّغة العربيّة منذ القديم، وجاءت في القرآن الكريم: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ الفيل03، يقول الأصمعيّ ولا تعرف العرب واحد الشّماميط وهي القِطَعُ من الخيل والأساطير والأبابيل[11] وهذا مجانب للصّواب فالعرب عرفت ذلك، يقول أبو عبيدة: واحد الشّماميط: شماط، وواحد الأبابيل: أبيل[12] قال الأزهريّ: ولو قيل واحد الأبابيل إبّالة لكان الصّواب[13]، ومن قال أنّ اللّفظة استعملت مرّة واحدة في شعر زهير بن أبي سلمى في كامل ديوانه:

وَبِالْفَوَارِسِ مِنْ وَرْقَاءَ قَدْ عَلِمُوا   إِخْوَانَ صِدْقٍ عَلَى جُرُدٍ أَبَابِيلَ[14]

وقد ذكر جمال الدّين القاسمي في تفسيره ما حكاه أبو عبيد والفرّاء بأنّه جمع لا مفرد له، وزعم أبو جعفر الرّؤاسي وكان ثقة أنّه سمع واحدها إبّالة بكسر الهمزة

وتشديد الموحّدة، وهي حزمة الحطب، استعير لجماعة الطّير، وحكى الكسائيّ عن بعض النّحويّين في مفردها (أبول) وعن آخرين (أبيل) سماعا كما أثره ابن جرير..[15]، وعند الأندلسي: أبابيل: جماعة في تفرقة، أي حلقة حلقة، واحدها: إبّالة، وإبّول، وإبّيل[16]، هذا لا يمنع أن يكون اللّفظ غريبا دخيلا ثمّ صار عربيّا في الاستعمال، وهذا ممّا وقع فيه الإجماع من كثير من اللّغويّين، وإن منعه بعضهم بحجّة أنّ القرآن عربيّ بدليل القرآن نفسه ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾، وبدليل قوله: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾.

– الاستدلال على لفظ **(الذّرع)** في آية ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧﴾ هود77، جاء تفسيرها على أنّ (ذرعا) تمييز لأنّه خرج مفسّرا محوّلا، والأصل: ضاق ذرعي به، والشّاهد في ذلك قول حميد بن ثور الهلالي:

وَإِنْ بَاتَ وَحْشًا لَيْلَةً لَمْ يَضِقْ بِهَا ذِرَاعًا وَلَمْ يُصْبِحْ لَهَا وَهُوَ خَاشِعُ

قوله: (ذراعا) هو مثل قولهم: ضاق الأمر ذرعا وذراعا، إذا ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلّصا، أي مدّ يده إليه ولم ينله. "[17]

– ومن المسائل النّحويّة، قضيّة العدول، أو الاتّساع، وهو باب عظيم في اللّغة؛ من ذلك ما ورد في آية ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ هود12، استدلّ على التحوّل والعدول في استعمال (ضائق) اسم فاعل بدل (ضيّق) صفة مشبّهة للدلالة على الحدوث لا على الثّبات، فيقولون في (سيّد) سائد، وفي (جواد) جائد، وفي (سمين) سامن، قال:

بِمَنْزِلَةٍ أَمَّا اللّئِيمُ فَسَامِنٌ بِهَا وَكِرَامُ النّاسِ بَادٍ شُحُوبُهَا[18]

- الاستدلال في مسألة العطف على الصلة مع حذف الموصول، بما ورد في كلام العرب على ما ورد في آية ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠﴾ الرّعد10، وهذه مسألة خلافيّة لها عدّة وجوه، والمهمّ عندنا الوجه الّذي يستدلّ عليه بالنّقل الصّحيح المسموع عن العرب؛ هذا الوجه الّذي يرى فيه حذف الموصول مع بقاء صلته، والمعنى: {وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ}، وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع، خصوصا وقد تكرّر الموصول في الآية ثلاثا، ومنه آية ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ﴾ الأحقاف09، والأصل: {ولا ما يفعل بكم}، وإلاّ كان حرف النّفي دخيلا في غير موضعه، لأنّ الجملة الثّانيّة لو قدّرت داخلة في صلة الأوّل بواسطة العاطف، لم يكن للنّفي موقع، وإنّما صحب في الأوّل الموصول لا الصّلة ومنه قول حسّان بن ثابت يهجو أبا سفيان:

فمن يهجو رسول اللّه منكم ويمدحه وينصره سواء

أي: ومن يمدحه وينصره."[19]، هذا النّص فيه استدلال القاسمي بشاعر مخضرم معدود في الطّبقات الأولى، يحتجّ بشعره، ولا خلاف في ذلك بين العلماء.

وما يمكن أن ننوّه به في هذا المقام أنّ القرآن الكريم حفظ اللّه به اللّغات أي أوجه العربيّة، حين نزوله على سبعة أحرف، في كلّ حرف لم تعرفه قريش، إلاّ وله دليل من كلام العرب، يعلم هذا الرّاسخون في العلم، والحافظون لأشعار العرب على تنوّع مصادرها وقبائلها.

04/حاجة المفسّرين للشّعر: (فهم غريب القرآن) وموقفهم منه:

كما بيّنا سابقا أنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين، وكان الصّحابة رضوان اللّه عليهم أجمعين يفهمونه، وإذا أشكل عليهم بعض آياته فسّره لهم رسول

اللّه؛ أمّا بموته عليه السّلام، فقد انقطع الوحيّ، وليس لهم في ذلك إلاّ الغوص في أعماقه لسبر أغواره، واللّجوء إلى كلام العرب، فهذا عمر -رضي اللّه عنه- (ت23ه) يدعوهم إلى ديوان العرب شعره ونثره، لفهم غريبه في حرف أو لفظ أشكل عليهم، أو استعصى على الفهم. ومنه فقد كثر التّأليف في مشكل القرآن وغريبه، لكن ما المقصود بالغريب؟ قد يتناهى إلى بعضهم أنّ في القرآن غريبا، والصحابة والعلماء مجمعون على أنّ القرآن أفصح كلام على الإطلاق، لا يدانيه كلام، قال ابن خالويه في شرح الفصيح: "...قد أجمع النّاس جميعا أنّ اللّغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح ممّا في غير القرآن، لا خلاف في ذلك"[20]، فالغريب إذا هو ما حمل معنى البعد والغموض، يقول الزّمخشري: "تكلّم فأغرب، إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وتقول: فلان يعرب في كلامه ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وقد غربت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة".[21]، هذا في اللّغة أمّا في الاصطلاح، فيعرّفه الخطيب البستي(ت388ه) في كتابه (غريب الحديث) بقوله: الغريب من الكلام، إنّما هو الغامض البعيد من الفهم، كالغريب من النّاس هو البعيد عن الوطن المنقطع عن الأهل.. والغريب من الكلام على وجهين: يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يفهم إلاّ بمعاناة وفكر؛ وما يراد به كلام من بعدت به الدّار ونأى به المحلّ من شواذ قبائل العرب، فإذا وقعت إلينا كلمة من لغاتهم استغربناها"[22]، وجاء تعريفه عند الجرجاني(ت816ه) في التّعريفات بقوله: "كون الكلمة وحشيّة غير ظاهرة المعنى ولا مأنوسة الاستعمال"[23]، وليس المقصود أنّ في القرآن وحشيّا، حاشاه، بل كما ذكر الرّافعيّ عن الكلمة الغريبة، أنّها حسنة مستغربة في التّأويل بحيث لا يتساوى في العلم أهلها وسائر النّاس".[24]، وقد جلّى لنا أبو حيّان الأندلسي هذا الفهم من خلال مؤلّفه" تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب" إذ قال: "لغات القرآن العزيز على قسمين: قسم يشترك في فهم معناه

المستعربة وخاصّتهم، كمدلول السّماء والأرض.. وقسم يختصّ بمعرفته من له اطّلاع وتبحّر في اللّغة العربيّة وهو الّذي صنّف أكثر النّاس فيه وسمّوه غريب القرآن".[25]، ومنه نعلم لماذا استغاث علماؤنا بشعر العرب، فليس ذلك إلاّ لأنّ القرآن حوى لغات العرب، وليس للنّاس علم بكلّ هذه اللّغات، فلمّا استغلق عليهم فهم كلمات منه، لجأوا إلى تراث العرب يبتغون فهم ما نزل بلغتهم وبكلامهم.

وأمّا لماذا كانت أشعار العرب –خاصّة الجاهليّين– معتمد علماء اللّغة عليها في بناء قواعدهم اللّغويّة والبيانيّة، وهم كفّار؟ قد أجاب عن هذا السّؤال السّيوطي نقلا عن العزّ بن عبد السّلام في فتاويه، قال: "اعتمد في العربيّة على أشعار العرب وهم كفّار، لبعد التّدليس فيها، كما اعتمد في الطّبّ، وهو في الأصل مأخوذ عن قوم كفّار لذلك. انتهى"([26]). وما نعلمه أنّ سلفنا من العلماء لم يكن لهم مانع أو حرج في تعاطي الشّعر وحفظه، فقد أثر عن السيّدة عائشة –رضي اللّه عنها– أنّها كانت تحفظ نصف أشعار العرب، وأنّ من وصايا عمر بن الخطّاب "عليكم بديوان العرب، فإنّ فيه تفسير كتابكم" ويعني به القرآن؛ فقد أخرج الخطيب البغدادي عن ابن عبد الحكم قال: كان أصحاب الأدب يأتون الشّافعي فيقرؤون عليه الشّعر فيفسّره، وكان يحفظ عشرة آلاف بيت من شعر هذيل بإعرابها وغريبها ومعانيها؛ وقال السّاجيّ: سمعت جعفر بن محمّد الخوارزمي يحدّث عن أبي عثمان المازني عن الأصمعيّ، قال: قرأت شعر الشّنفرى عن الشّافعي بمكّة"([27]). لذلك نجد في مسألة الاستشهاد بالشّعر لفهم القرآن ثلاثة مذاهب على الأرجح؛ مذهب يجيز الاستشهاد بالشّعر ولا يرى مندوحة له من ذلك، ومذهب يمنعه مطلقا، ومذهب يجيزه في حدود، لكن ما وصل إلينا من تفاسير يبيّن أنّ سلف الأمّة أخذوا من الشّعر لفهم القرآن فيما غمض عليهم؛ فهذا أبو بكر ابن الأنباري(ت328ه) في موقف يردّ على من أنكر على النّحويّين استشهادهم بالشّعر، قال: "إنّ جماعة لا علم لها بحديث رسول اللّه ﷺ ولا معرفة لهم بلغة العرب أنكروا

على النّحويّين احتجاجهم على القرآن بالشّعر، وقالوا: إذا فعلتم ذلــك جعلــتم الشّــعراء أصلا للقرآن، وقالوا أيضا: كيف يجوز أن يحتجّ بالشّعر على القرآن، وقد قــال اللّــه تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾﴾الشّعراء224، وقال النبيّ عليه الصّلاة والسّــلام **{لأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَيْحًا يُرِيهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِــئَ شِــعْرًا}** رواه البخــاري، 45/8،...وصحيح مسلم، 50/7...وسنن التّرمذي، 140/5، فأمّا ما ادّعوه على النّحويّين من أنّهم جعلوا الشّعراء أصلا للقرآن فليس كــذلك، وإنّمــا أرادوا أن يبيّنــوا الحــرف الغريب من القرآن بالشّعر، لأنّ اللّه تعالى قــال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٣﴾﴾ الزّخرف3، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾الشّعراء195، وقــال ابــن عبّاس الشّعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القــرآن الّــذي أنــزل بلغــة العرب، رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا ذلك منه".([28])، نقلنا هذا النّصّ على طولــه لنبــيّن موقفا قويّا وصارما من جمّ غفير من سلف علماء هذه الأمّة وخلفها أنّهم كانوا يبحثــون في إرث هذه الأمّة شعرا ونثرا، ولأنّه تاريخها، وفيه تفسير لكتاب ربّها، وعلــى هــذا إجماع الأمّة، ولا نريد الإطالة في هذا الأمر لأنّه ليس موضوعنا.

وإذا نظرنا في أحوال الرّجال اللّغويّين والمفسّرين والقرّاء وجدنا عجبا، فقد كــانوا ذخائر موسوعيّة، حقّ لهذه الأمّة أن تفخر برجالها، فقد ذكر صاحب طبقــات فحــول الشّعراء قائلا: "..وكان أبو عمرو بن العلاء أوســع علمــا بكــلام العــرب ولغاتهــا وغريبها([29])." فعمرو بن العلاء(ت154ه) من الطّبقة الثّانيّة من نحاة البصرة وهو مــن القرّاء، بل من شيوخهم. وما يروى عن عمر بن الخطّاب في سؤاله عن معنــى لفــظ تخوّف في القرآن الكريم، فأجابه رجل من هذيل أنّها على معنى تنقّص، ثمّ أنشد:

تَخَوَّفَ الرَّجْلُ مِنْهَــا تَامِكًــا قَــرِدًا كَمَا تَخَــوَّفَ عُــودُ النَّبْعَــةِ السَّــفِنُ

فقال عمر: أيّها النّاس تمسّكوا بديوان شعركم في جاهليتكم، فإنّــه فيــه تفســير كتابكم([30])، فقد كان المفسّرون من علماء اللّغة الّذين يحرصون على حفــظ الشّــعر

وروايته وقراءة الدّواوين، مثلما أوردنا عن الشّافعي وغيره؛ حتّى أنّ الواحدي(ت468ه)- وهو من المفسّرين الكبار- ذكر أنّه درس اللّغة ودواوين الشّعر على شيخه العروضي -أبو الفضل أحمد بن محمد بن يوسف-.[31] أمّا ما يعضّد مذهب المجيزين، ما يروى عن ابن عبّاس(ت 68ه)، قال عكرمة: "ما سمعت ابن عبّاس فسّر آية من كتاب اللّه عزّ وجلّ إلاّ نزع فيها بيتا من الشّعر، وكان يقول: إذا أعياكم تفسير آية من كتاب اللّه فاطلبوه في الشّعر، فإنّه ديوان العرب".[32] وهذا النصّ لا يعني الغريب وحده في استشهاده بالشّعر، بل على التّفسير عموما؛ ونقل عن سعيد بن جبير التّابعي، قال: سمعنا ابن عبّاس يسأل عن شيء من القرآن، فيقول فيه كذا وكذا، أما سمعتم الشّاعر يقول كذا وكذا."[33]، وعنه وعن يوسف بن مهران، أنّ ابن عبّاس قال: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشّعر، فإنّ الشّعر عربيّ، ثمّ دعا ابن عبّاس أعربيّا فقال: ما الحرج؟ قال: الضّيق، قال: صدقت."[34] ولهذا فعلماء الإسلام تشدّدوا على من أقبل على تفسير كتاب اللّه وهو غير عالم بالعربيّة ولغاتها؛ روي عن البيهقي في الشّعب عن مالك قال: لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسّر كتاب اللّه إلاّ جعلته نكالا."[35] وإنّما تعرف العربيّة في شعر العرب على تنوّعه واختلافه، قال أبو اللّيث: "وأمّا من لم يعرف وجوه اللّغة فلا يجوز أن يفسّره إلاّ بمقدار ما سمع، فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التّفسير."[36] وقد أكّد الشّاطبيّ في الموافقات: "أنّ القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنّما يكون من هذا الطّريق خاصّة، لأنّ اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ ، وقال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ ، وقال: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ﴾، إلى غير ذلك ممّا يدلّ على أنّه عربيّ وبلسان العرب، لا أنّه أعجميّ، أو بلسان العجم، فمن أراد تفهّمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى طلب فهمه من غير هذه

الجهة."[37]، وعن فضائل الشّعر يقول أبو هلا ل العسكري في صناعتيه منوّها به: "..من ذلك أيضا أنّ الشّواهد تنزع من الشّعر، ولولاه لم يكن على ما يلتبس من ألفاظ القرآن وأخبار الرّسول شاهد."[38] ويرى ابن رشيق القيرواني أنّ الشّعر أكبر علوم العرب، وأوفر حظوظ الأدب، وأحرى أن تقبل شهادته، وتمثّل إرادته[39] وأورد الجمحيّ قول عمر بن الخطّاب: كان الشّعر علم قوم لم يكن لهم علم أصحّ منه[40]، ولنا لآن أن نورد مسألة نافع بن الأزرق فهي أشهر من نار على علم–وقد تناولتها العديد من المصادر اللّغويّة والتّفسيريّة لشهرتها، وفيها الدّليل القاطع على ضرورة الشّعر للمفسّر ومطيّة له لفهم كتاب اللّه، لكنّ الاختلاف بينها في عدد المسائل، وهل هي جلسة واحدة أم عدّة جلسات؛ أورد السّيوطي هذه القصّة في كتابه الإتقان، قال: قال نافع بن الأزرق لصاحبه نجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الّذي يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فقاما إليه فقالا: إنّا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب اللّه ففسّرها لنا وتأتينا بمصداقه من كلام العرب، فإنّ اللّه أنزل القرآن بلسان عربيّ مبين، فقال ابن عبّاس: سلاني عمّا بدا لكما، تجدا علمه عندي حاضرا إن شاء اللّه، فقال نافع: أخبرني عن قول اللّه تعالى: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ۝٣٧﴾ المعارج37، قال: العزون حلق الرّفاق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص يقول:

جَاؤُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ حَتّى يَكُونُوا حَوْلَ مِنْبَرِهِ عِزِينَا

قال نافع: أخبرني عن قول اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ المائدة35، قال: الوسيلة الحاجة، قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عنترة العبسي يقول:

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة48، قال: الشّرعة الدّين، والمنهاج الطّريق، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب يقول:

لَقَدْ نَطَقَ الْمَأْمُونُ بِالصِّدْقِ وَالْهُدَى وَبَيَّنَ لِلْإِسْلَامِ دِينًا وَمِنْهَاجًا(41)

ختاما: موضوع الشّعر العربي وضروته في التّأصيل للقواعد النّحويّة والبيانيّة، وحاجة المفسّرين إليه دوما، ممّا لا يتناطح فيه عنزان، فالشّعر ديوان العرب، ليس لهم علم غيره، وقد نزل القرآن بهذا اللّسان أي بلسان هذا الشّعر، متحدّيا أهل الفصاحة في قوّة بلاغته وبيانه؛ فالمفسّرون على اختلاف مدارسهم ومشاربهم هم بحاجة إلى الشّعر لا يستغنون عنه في كلّ زمان، خاصّة في زمان بعدنا فيه عن السّليقة القحّة، هم بحجة إليه في التّقعيد للقواعد، وفي شرح عويص اللّغات والغريب منه والدّخيل؛ ولنا أن نعلم أنّ هذا القرآن المعجز كان حافظا لهذه اللّغات، من خلال أوجه القرآات المختلفة، وإلاّ كانت لغة قريش وهي أفصح اللّغات المهيمنة، قد قضت عليها، فهذه الذّاكرة الشّعريّة والتّفسيريّة قد حفظت حروفا وألفاظا من الغريب والدّخيل والفصيح.

الهوامش:

---

[1]أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، 55/5

[2] محمد عبد اللّه الزّركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، صيدا بيروت، 31/1.

[3] محمد الطّاهر بن عاشور، تفسير التّحرير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب الجزائر، 1984م، 11/1

[4] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، دار الفكر بيروت لبنان، ط02، (د ت)، 6/2، بتصرّف.

[5] المرجع نفسه، 04/02، وما بعدها بتصرّف

[6] المرجع نفسه 09/02

[7] الزّركشي بدرالدّين محمد بن عبد اللّه، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1404/03ه /1984م، دار التراث القاهرة، 148/2، وينظر: مناهل العرفان، 02/9−10

[8] التّهانوي محمد عليّ، كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط01، 1996م،

[9] السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل بيروت، (د ط)، (د ت)، 199/01.

[10] القرطاجنّيّ حازم بن محمّد بن حسن، منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمّد بن الحبيب بن الخوجة، ط02، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1981م، ص143.

[11] الأزهريّ، التّهذيب، (أبل).

[12] الجزائريّ، التّقريب لأصول التّعريب، المطبعة السّلفيّة مصر، (د ط)، و(د ت)، ص102.

[13] الأزهري محمد بن أحمد أبو منصور، التّهذيب، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت، ط1، 2001م، مادة: (أبل)

[14] أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشّيباني ثعلب، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب القوميّة للطباعة والنّشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص309.

[15] القاسمي محمد جمال الدّين، محاسن التّأويل، دار الفكر بيروت، ط02/ 1398ه−1978م 386/16−387

[16] الأندلسي أبو حيّان، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تح: محمد سعيد بن مصطفى الوردي النّعساني، مطبعة الإخلاص، حماه، 1345هـ/1926م، ص18

[17] القاسمي محمد جمال الدّين، محاسن التّأويل 322/09

[18] القاسمي، 293/09.

[19] المرجع نفسه، 433/09−434، بتصرّف

[20] السّيوطي جلال الدّين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الجيل بيروت، (د ت)، (د ط)، 213/01.

[21] الزّمخشري أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، مادة (غرب)، دار الكتب العلميّة، ، تح: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، ط1419/1ه/1998م

[22] الخطّابي غريب الحديث،1/70-71، تح: عبد الكريم إبراهيم العزباوي، طبعة دار الفكر، دمشق/،1402هــ/1982م.

[23] سيّد شريف الجرجاني، التّعريفات، ص167، ط، 1978م، بيروت لبنان.

[24] مصطفى صادق الرّافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النّبويّة، ص71، ط7، 1381ه/1961م، مطبعة الاستقامة القاهرة.

[25] أبو حيّان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، تح: محمد سعيد بن مصطفى الوردي النّعساني، مطبعة الإخلاص، حماه 1345ه/1926م، ص27

[26] السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 140/01.

[27] السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 160/01.

[28] أبو بكر ابن الأنباري، كتاب إيضاح الوقف والابتداء، 1/99-101، تح: محي الدّين عبد الرّحمن رمضان، دمشق، 1971، وينظر: السيّوطي، الإتقان في علوم القرآن، 55/2.

[29] محمد بن سلّام الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، 1974م، القاهرة، مصر، ص14.

[30] الشّاطبيّ، الموافقات، 321/02

[31] عبد الرّحمن الشّهري، الشّاهد الشّعري في تفسير القرآن، ص209

[32] التّبريزي، سرح حماسة أبي تمّام، ص41.

[33] القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ص41.

[34] الطّبري محمّد بن جرير، تفسير الطّبري، ص690.

[35] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 444/2.

[36] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 447/2.

[37] الشّاطبيّ، الموافقات، 305/02

[38] العسكري أبو هلال، كتاب الصّناعتين، 43/1.

[39] القيرواني بن رشيق، العمدة، 16/1

[40] ابن سلاّم الجمحي، طبقات فحول الشّعراء، 24/01.

[41] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 242/17.

الدلالة اللغوية ومكانتها
في تفسير النص القرآني

د. فاطنة نهاري
جامعة جيلالي ليابس، بسيدي بلعباس.

الملخّص: علم الدلالة (Sémantic) هو أحد فروع اللسانيات وهو أحدث فروع اللسانيات الحديثة، ويعنى بدراسة معاني الألفاظ والجمل دراسة وصفية موضوعية.

والدراسة الدلالية تكشف عن الخصائص الدلالية للكلمة أو التركيب، وبالتالي يحتل علم الدلالة أعلى منزلة بين مستويات الدرس اللغوي. ذلك لأن الهدف من الخطاب سواء كان مكتوبا أم منطوقا، إنما هو إيصال الرسائل اللغوية، بحيث يتم فهمها، وهذا الفهم هو الهدف من اللغة بصفة عامة، والمسؤول عن الفهم هي الدلالة في المقام الأول.

وإن الذكر الحكيم كان الباحث الموجه للدرس الدلالي، فقد جعل في ثناياه المباركة ما يوحي إلى المعنى المرفق إليه في المفهوم المعاصر، حيث أرشد القرآن الكريم في عدة مواضع إلى التدبر والتفكر والتأمل في دلالات الكون التي هي آيات بينات على وجود الخالق وعظمته وقدرته.

Abstract:

Sémantic is one branch of linguistics, the latest branch of modern linguistics.

The semantic study reveals the semantic characteristics of the word or structure, and thus the signifier occupies a higher status among the levels of the linguistic lesson. This is because the purpose of the speech, whether written or spoken, is to convey the messages of language, so that they are understood, and this understanding is the purpose of the language in general, and responsible for understanding is the signifier in the first place.

The wise male was the researcher of the semantic study. In his blessed teachings, he made reference to the meaning attached to it in the contemporary concept, where he guided the Qur'an in several places to reflect, reflect and reflect on the signs of the universe, which are evidence of the Creator's existence.

تقديم: موضوع علم الدلالة هو دراسة المعنى، وقد بدأ البحث عن المعنى منذ أن حصل للإنسان وعي لغوي، ويُرجع الباحثون جذوره إلى علماء الهنود واليونان، وقد اهتم اللغويون العرب والمفسرون وعلماء الأصول بدراسة المعنى ووضعوا قواعد وأصولاً لاستنباطه، ولم يكن ثمة فصل في هذا المجال بين البحث في طرق استنباط النص وبين البحث اللغوي، بل إن مباحث الدلالة عند اللغويين تأثرت بمباحث الأصوليين ومناهجهم في تقعيد فهم النص، وتواتر استعمال مصطلح الدلالة في التعبير عن المعنى المستنبط من النصوص والألفاظ، وكان ذلك بالخصوص في كتب الأصوليين.

بدأ البحث في دلالة الألفاظ مبكراً عند العرب، وذلك منذ أن بدأ البحث في مشكل الآيات القرآنية وإعجازها وتفسير غريبها واستخراج الأحكام الشرعية منها، فقد كان موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى حاضراً في المدونات الأولى في الحضارة الإسلامية، فمصنفات الوجوه والنظائر في القرآن كانت الحاضن الأول للبحث الدلالي المتعدد المعنى في الألفاظ.

1.مفهوم الدلالة:

▪**في اللّغة:** جاء في لسان العرب: "والدّليل ما يُستدلّ به، والدليل: الدّال، وقد دلّه الطريقة يدلّه دلالة، بفتح الدال أو كسرها أو ضمها، والفتح أعلى.

وفي تاج العروس: "... وامرأة ذات دلّ أي شكل تدلّ به، ونقل عن الأزهري قوله: دللت هذا الطريق عرفته، ودللت به أدلّ دلالة، ثم إن المراد: التسديد إرادة الطريقة، دلّ عليه يدلّه دلالة ودلولة فاندل على الطريق سدّده إليه...ومما يستدرك

عليه الدليل ما يستدلّ به، وأيضا الدال، وقيل هو المرشد[1] وما به الإرشاد، الجمع أدلّة وأدلاء...قال ابن الأعرابي: دلّ فلان إذا هدى"[2].

وفي القاموس المحيط: الدال كالهدي، وهما من السّكينة والوقار وحسن المنظر. والدالة ما تدلّ به على حميمك، ودله دلولة فاندلّ: سدّده إليه[3].

ولعل خير ما ينوب عن تعريف اللغويين للدلالة هو تعريف الراغب الأصفهاني (ت 502ه) في مفرداته حيث يقول "الدلالة ما يتوصل به إلي معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب سواء ذلك بقصد ممن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حي، قال تعالى ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ﴾[4]"[5].

نستشف من تعريف الراغب للدلالة وتقسيمه إياها إلي خمس دلالات أنه اعتمد على تقسيم الجاحظ (ت255 ه) الذي عدّ أصناف الدلالات من لفظ وغير لفظ، وهي عنده خمسة يقول "أولها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبه ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحيلة مخالفة لحيله أختها وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في جملة ثم عن حقائقها من التفسير"[6]

يعد الجاحظ من أعلام البلاغة والبيان، فقد أسس مباحث لغوية لا تزال مرجعا لدراسات لسانية ودلالية معاصرة من خلال كتاب البيان والتبيين، وكتاب الحيوان: "وإنما الألفاظ على أقدار المعاني، فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها، وشريفها لشريفها، وسخيفها لسخيفها، والمعاني المصغرة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الألفاظ إلى أقل ما تحتاج إليه المعاني المشتركة "[7].

هذا تعريف جامع ومانع، حدد ما تدرسه الدلالة.

وقد تعرض ابن حزم (465ه) لمصطلح "دلّ" باشتقاقاته المختلفة: الدّال، الدّليل، الدلالة، الاستدلال.

فالدّال: "هو المعرفة بحقيقة الشيء، وقد يكون إنسانا معلّما، وقد يعبّر عن الباري تعالى الذي علّمنا كلّ ما نعلم، وقد سمي الدّليل دالا على المجاز، وسمي الدال دليلا كذلك في اللغة العربية"[8]

فالمعنى اللغوي للدلالة يوحي عند القدامى بالإرشاد، والهداية، والتسديد، أو التوجيه نحو الشيء.

- **في الاصطلاح**: والدلالة في الاصطلاح هي "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول"[9]

وترتبط دلالة لفظ "الدلالة" في الاصطلاح بدلالته في اللغة، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق وهو معنى حسي إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ وهو معنى عقلي مجرد وأقسامها ثلاثة: وضعية، طبيعية، عقلية وكل منها لفظية وغير لفظية[10].

✓ فالدلالة الطبيعية هي إحداث طبيعة من الطبائع، سواء كانت طبيعة اللفظ أم طبيعة المعنى أو طبيعة غيرهما، وعروض الدال عند عروض المدلول، كدلالة "إ حْ إ حْ" على السعال، أصوات البهائم عند دعاء بعضها بعضا. في حين أنّ:

✓ الدلالة العقلية: فهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية، ينتقل لأجلها منه إليه، والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقا،

سواء كان استلزام المدلول للعلة، كاستلزام الدخان للنار أو العكس وكاستلزام النار للحرارة، أو استلزام أحد المعلولين "الحرارة والدخان" للآخر فان كليهما معلولان للنار.

فالرابط بين الدال والمدلول هنا، رابطة عقلية منطقية، قائمة على الاستنتاج المنطقي العقلي، المعتمد على الإدراك الذهني للعلاقة المطردة بين الظواهر المتلازمة، كالدخان مع الحرارة والسحاب الداكن الكثيف مع المطر. أما فيما يتعلق ب:

✓ الدلالة الوضعية اللفظية: فهي كون اللفظ متى أطلق فهم منه المعنى، مثل دلالة "قائما" من قولنا: كلمت زيدا قائما على الهيئة وأقسامها ثلاثة:[11]

1) المطابقية: وهي دلالة اللفظ على جميع ما وضع له، مثل دلالة اللفظ المشترك على جميع معانيه إذا لم تصحبه قرينه تخصصه بمعنى معين، كدلالة لفظ النكاح فى قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[12]على الوطء والعقد معا.

2) التضمنية: هى دلالة اللفظ على بعض ما وضع له، مثل دلالة الواو على الحال فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُوا مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱلله عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞ﴾[13] لأن الواو تأتي لعدة معان منها الحالية.

3) الإلزامية: وهي دلالة اللفظ على معنى خارج ملازم للمعنى الذي وضع له، مثل دلالة مادة "فضا" من قوله تعالى: ﴿وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾[14]، فإنّ أبا حنيفة ومن وافقه استنبطوا منها حكما فقهيا وهي أن خلوة الرجل الصحيحة بامرأته توجب عليه الصداق حتى يحرم عليه أخذ شيء منه، وإنما استقوا هذا الحكم من قوله "أفضى" لأنه من "فضا" والمعنى الذي وضع له "فضا" هو الفضاء الدال على السعة، وخلوة ملازمة للفضاء.

ومما سبق نخلص إلى أنّ الأداة الرئيسية للدلالة هي اللفظة، وقد ربط بعضهم بينها وبين مدلولاتها ربطا وثيقا، وجعلها سببا طبيعيا للفهم والإدراك، فلا تؤدى الدلالة إلا به. ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله، الصلة الطبيعية، أو الصلة الذاتية[15].

وللسياق دور مهم في تحديد دلالة اللفظة، إذ لا يمكن أن يكون البحث في معاني الألفاظ مستقلا عن السياق الذي وردت فيه اللفظة.

2. **علم الدلالة:** أطلقت عليه عدة أسماء في اللغة الإنجليزية أشهرها الآن كلمة سمنتيك (sémantique) وهو أحد فروع علم اللغة (linguistique) وأحدثها ظهورًا، يدرس المعنى signification، أو دراسة دلالة الوحدات المعجمية unites lexicales؛ ولذا عرف بأنَّه علمُ دراسة المعنى، كما عرف أيضًا بأنه العلم الذي يهتم بدراسة الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرًا على حمل المعنى، ومن ثم فهو أحد فروع علم الرموز semiologie، وهذا التعريف يستلزم أن يكون موضوعُ علم الدلالة كُلَّ شيء يقوم بدَوْرِ العلامة أو الرمز، سواء أكانت العلامة لغوية أم غير لغوية[16].

تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية semantique، لدى اللغوي الفرنسي (بريبل Bréal) في أواخر القرن التاسع عشر (1883م) ليعبّر عن فرع من علم اللغة العام هو "علم الدلالات" ليقابل "علم الصوتيات" الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية[17]

وعلى الرغم من أن علم الدلالة هو أحدث الدِّراسات اللغوية ظهورًا، فإن دراسة الدلالة أو المعنى تُعَدُّ من الدراسات اللغوية القديمة التي تمتد من القرون الثالث والرابع والخامس الهجرية إلى سائر القرون التاليّة لها.

3. **علمية علم الدلالة:** العلم الحقيقي هو ما يتوفر فيه اليقين المطلق أو على الأقل ما يقارب الحقيقة المطلقة، وللوصول إلى هذه الدرجة حسب (ليتش Leech) لا بد للدلالة م نالمرور بأربعة مراحل[18].

أولا: صياغة نظريات واضحة ودقيقة حتى يتمكن كل باحث من الوقوف على ما تدعيه أي نظرية وما لا تدعيه.

ثانيا: تحري الموضوعية في البحث والتحقيق.

ثالثا: البساطة في تفسير الظواهر.

رابعا: شمولية الوصف، وهذا لم يتوفر بعد في النظرية الدلالية نظرا لتعقيد المعطيات اللغوية، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه توصل إلى دراسة شاملة للغة واحدة أو حتى لجانب واحد من جوانب الدلالة.

وانطلاقا من هذه المعطيات حكم "ليتش" على كل النظريات الدلالية بأنها مؤقتة وجزئية، وعلى علم الدلالة بأنه ليس علما، وإنما يهدف إلى أن يكون علما، ومما لا شك فيه أن الدلالة هي أصعب مجال في اللسانيات بالمقارنة إلى التركيب والصوتيات[19].

4. **منزلة علم الدلالة بين مستويات الدرس اللغوي:** يقسم علماء اللغة المحدثون الدرس اللغوي إلى أربعة مستويات[20]:

1) المستوى الصوتي؛

2) المستوى النحوي؛

3) المستوى الصرفي؛

4) المستوى الدلالي.

علم الدلالة يستخدم ما يبدو من الخصائص الصوتية والصرفية والتركيبية للخطاب أثناء عملية التحليل الدلالي، للكشف عن الخصائص الدلالية للكلمة أو

التركيب وبالتالي يحتل علم الدلالة أعلى منزلة بين المستويات. ذلك لأن الهدف من الخطاب سواء كان مكتوبا أم منطوقا، إنما هو إيصال الرسائل اللغوية، بحيث يـــتم فهمها، وهذا الفهم هو الهدف من اللغة بصفة عامة، والمسؤول عـــن الفهـــم هـــي الدلالة في المقام الأول، وما يسبقها من رمـــوز صـــوتية، أو صـــيغ صـــرفية، أو تراكيب نحوية إنما هي خدم للدلالة، ووسائل الإعراب عنها وبيانها.

5.**دلالة الألفاظ اللّغوية المفردة:** المفردة في اللّغة تحمل معنى الأحادية، ويبـــدو ذلك جليا فيما ما تورده المعاجم العربية من اشتقاقات مختلفة لهذه الكلمة. يقول ابن فارس(ت395هـــ): "الفاء والرّاء والدّال أصل واحد يدلّ على وُحْدَة"[21]

وفي العين: "الفَرْدُ مَا كَانَ وَحْدَه، يقال: فَرَدَ يَفْرَدُ، وانْفَرَد انْفِرَادًا وأفردته: جعلته واحـــدا.. والفَرِيدُ: الشَّذْر، والوَاحِدَة: فَرِيدَة.. والله الفرد: تفرّد بالرّبوبية والأمر دون خلقه"[22].

وفي اللّسان "الفرد": الوتر والجمع أفراد وفرادى.. والفرد أيضا: الذي لا نظيـــر له.. والفريد: الدُّرّ إذا نظم وفصل بغيره، وقيل: الفريد بغير هاء الجوهرة النّفيســـة كأنها مفردة في نوعها"[23].

أمّا المعجم الوسيط فيضيف: "الفَرْدِيَة نُزوعُ الفَرْدِ إلى التَّحَرُّر مِن سُلْطَان الجَمَاعَـــة، ومَذْهَبٌ سِيَاسِي يَعْتّد بالفَرْد، ويحدُّ من سُلْطَان الدَّوْلَة على الأفراد(محدثـــة).. المفـــرد: ثور الوحش ومن الألفاظ ما لا يدل جزؤه على جزء معناه"[24]

فالمفردات: جمع مفردة، ودلالة هذه اللفظة في اللغة تعني الوحدة التي هي ضد الجمع والتركيب.

وقد ذكر اللّغويون أنّ "أوّل ما يحتاج أن يشتغل به من علـــوم القـــرآن العلـــوم اللّفظية، ومن العلوم اللّفظية: تحقيق الألفاظ المفردة."[25]

دلالةُ اللفظ على معناه الحقيقي، أو معانيه المجازية بقرينة ما، يوضحها السياق؛ لأَنَّ الألفاظَ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها، إلاَّ عند التركيب.

ففَهْمُ القرآنِ الكريم يتطلب النظرَ في المادة اللغوية للَّفظ المـــرادِ تفســـيرُه، مـــن خلال الوقوف على دلالة اللفظ عَصْرَ نزول القرآن.

تكلّم العالمان الجليلان الراغب الأصفهاني وجلال الدين السيوطي عن الألفـــاظ والمعاني، يقول الراغب في مقدمة تفسير القرآن الكريم في فصل (في بيان ما وقع فيه الاشتباه من الكلام المفرد والمركَّب) بقوله: "ويجب أن يعلم أنّ للفظ مع المعنى خمسة أحوال:

1.أن يتفقا في اللفظ والمعنى، فيسمى "اللفـــظ المتـــواطئ"، نحـــو "الإنســـان" إذا استعمل في زيد وعمرو؛

2.أن يختلفا في اللفظ والمعنى، ويسمى "المتباين"، نحو رحل وفرس؛

3.أن يتفقا في المعنى من دون اللفظ، ويسمى "المترادف"، نحو الحُسَامِ والصَّمْصَام؛

4.أن يتفقا في اللفظ ويختلفا في المعنى ويسمى "المشترك"، والمتفق، نحو العـــين المستعملة في الجارحة ومنبع الماء والدَّيْدَان وغير ذلك؛

5.أن يتفقا في بعض الألفاظ وبعض المعنى، ويسمى "المشتق"، نحو ضارب وضرب"[26].

رأي (الراغب) في علاقة اللفظ بالمعنى، يتفق مع رأي عالم اللغة (الســـيوطي)، إذ قال: "قال أهل الأصول: اللفظ والمعنى إما أن يتحدا فهو المفرد كلفظة الله، فإنّها واحدة ومدلولها واحد، ويسمى هذا بالمفرد، لانفراد لفظه بمعنـــاه، أو يتعـــدّدا فهـــي الألفـــاظ المتباينة كالإنسان والفرس وغير ذلك من الألفاظ المختلفة، الموضوعة لمعانٍ مختلفـــة، وحينئذٍ إما أن يمتنع اجتماعهما كالسّواد والبياض، وتسمى المتباينـــة المتفاضـــلة، أو لا يمتنع كالاسم والصفة، نحو السيف والصارم، أو الصـــفة وصـــفة الصـــفة كالنـــاطق

والفصيح، وتسمى المتباينة المتواصلة، أو يتعدد اللفظ والمعنى واحد فهو الألفاظ المترادفة، أو يتحد اللفظ ويتعدد المعنى، فإن كان قد وضع للكل فهو المشترك"[27].

ومن هذا القول يكون التقسيم كالآتي:

1. اللفظ والمعنى إما أن يتحدا فهو المفرد كلفظة "الله" فإنها واحدة ومدلولها واحد؛
2. يتعدد اللفظ والمعنى فهي الألفاظ المتباينة كالإنسان والفرس. وإما أن تكون متباينة متفاضلة، أو متباينة متواصلة؛
3. يتعدد اللفظ والمعنى واحد فهو الألفاظ المترادفة؛
4. يتحد اللفظ ويتعدد المعنى فإن كان قد وضع للكل فهو المشترك.

6. **الدلالة وتفسير القرآن الكريم:** وهي دلالةُ استعمال اللفظ على معناه الحقيقي، أو معانيه المجازية بقرينة ما، يوضحها السياق؛ لأَنَّ الألفاظَ المفردة لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها، إلاَّ عند التركيب.

ففَهْمُ القرآنِ الكريم يتطلب النظرَ في المادة اللغوية للَّفظ المرادِ تفسيرُه، من خلال الوقوف على دلالة اللفظ عَصْرَ نزول القرآن؛ لتَحقيق معناه اللُّغوي، ومن ثم الانتقال إلى المعنى الاستعمالي للكلمة، بتتبُّع وُرودِها فيه، والاهتداء إلى معانيها الاستعماليَّة في القرآن الكريم، لا سيما أنَّ النظم القرآني اكتسب به قسمٌ من الألفاظ دلالاتٍ خاصة من معانيها العامة، وصار لبعضها دلالة جديدة غير معهودة سابقًا، تطلبها السياق القرآني.

وهناك قسم من الألفاظ استُعْمِلَت على نَحو دقيق، أو على سبيل التوسع في اللغة، وصارت المفردة القرآنية تتمتع بمَيْزَات لم تعرفها في الاستعمال اللغوي سابقًا، بما يبرهن على إعجازها، من ذلك:

1) جمالُ المفردة ووقعها على السَّمع؛

2) اتساقها الكامل مع المعنى؛

3) اتساع دلالتها لِمَا لا يتسعُ له عادة دلالات الكلمات الأخرى[28].

مثلاً الألفاظ المستعارة ألفاظ موحية، وقد اكتسبت في القــرآن الكــريم ملامــحَ جمالية، أبرزها:

1) استخدام الألفاظ الموضوعة للدلالة على الأمور الحسية فــي الدلالــة علــى الأمور المعنويَّة؛ حتى تَغْدُوَ الثانية كأنها محسوسة ملموسة؛

2) اختيار الألفاظ المتناسقة، والمتآلفة مع بعضها، ومع معانيها[29]

7. **نماذج من التفسير الدلالي للقرآن الكريم:** اعتمدت في البحث دراسة مدلول الألفاظ في مؤلفي الراغب الأصفهاني " تفسير القرآن الكريم" ومعجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم.

- مدلول لفظتي الأبد والأمد:

قال الراغب: "الأمد والأبد يتقاربان، لكن الأبدُ عبارة عن مدّةِ الزمان التي ليس لها حدّ محدود ولا يتقيّد، لا يقال أبدُ كذا، والأمد مدّةٌ لها حدٌّ مجهولٌ إذا أُطلق، وقد ينحصر نحو أن يقال: أَمدُ كذا يُقال زَمَانُ كذا، والفرق بين الزمان والأمدِ أنّ الأمد يقال باعتبار الغايةِ والزمان عام في المبدإ والغايةِ، ولذلك قــال بعضــهم: المــدى والأمد يتقاربان"[30].

وقــد تجــيءُ لمجــرد الغايــة كقولــه تعــالى: ﴿تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا﴾[31] أي غاية. وقد تجيءُ لنهاية بلوغها كقوله تعالى: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ﴾[32]

- مدلول لفظتي بجس وفجر:

يقال بجس الماء وانبجس انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيّق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع ولذلك قال عزّ وجلّ:

﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾[33]. وقـــال فـــي موضـــع آخـــر: ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا ﴾[34]. فاســتعمل حيــث ضــاق المخــرج اللّفظان، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا﴾[35] ولم يقل بجسنا"[36].

و"الفَجْرُ شَقٌّ الشَّيءِ شقًا واسعا كفَجَرَ الإنسَانُ السِّكْرَ، يقــال فَجَرْتُــه فــانفجرَ وفجَّرتُه فتفجَّر، قال تعالى: ﴿وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا﴾[37] "[38]

وجاء في اللسان: "..والفجْرُ: تفحيرُك الماء ...والفَجَر: العطاء والكرم والجود"[39].

الانبجاس بداية الانفجار، فالماء انبجس من الحجر، ثم انفجر منه بعد ذلــك؛ أي أنّ خروج عيون الماء من الحجر كان على مرحلتين:

المرحلة الأولى: الانبجاس: فلما ضرب موسى عليه السلام الحجــر بعصــاه، تشقق الحجر اثني عشر شقا، وبدأ الماء ينزّ ويخرج بصعوبة من بين تلك الشقوق، وهذا هو الانبجاس، الذي أخبرت عنه آية ســورة الأعــراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗا﴾[40].

المرحلة الثانية: الانفجار، وقد حدث نتيجة انحباس الماء داخل الحجــر، وعــدم قدرة الشقوق فيه على تصريفه، فتفاعل الماء في الداخل، وأدى إلى انفجار الشقوق وتفجر عيون الماء منها. على مرحلتين.

الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شيء ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع. الانفجار عامّ والانبجاس خاص. فكلّ انبجاس انفجار وليس كل انفجار انبجاسا.

من يتأمّل الجذر يرى أنّه يدور حول السعة والانتشار، فيقال: فجَّر.

يختار القرآن الكريم الألفاظ اختيارا دقيقا، ويضع كل لفظ في موضعه المناسب ليؤدّي معنى آخر، مع أن الموضوع في الآيتين واحد خرج الماء من مكان ضيق،

ثم اتسع وانتشر، فالانبجاس ابتداء الانفجار والانفجار بعده غاية له. وهذا ما ذهب إليه أهل العلم والموهبة.

بخل وشح: ذهب بعض اللُّغويين إلى وجود فرق بين البخل والشح، في حين ذهب آخرون إلى أنّها بمعنى واحد. وقد ذكر لفظ البخل في القرآن الكريم بتصاريف مختلفة في خمسة مواضع.

قال الراغب الأصفهاني: "البُخْلُ إمساك المُقْتنيات عمَّا لا يَحِقُّ حبسها عنه، ويُقَابله الجُودُ. يُقالُ: بَخِلَ فهو بَاخِلٌ، وأما البخيلُ فالذي يكثُر منه البُخل كالرحيم من الراحم. والبُخل ضربان: بُخلٌ بقَنيَّات نفسه، وبُخلٌ بقَنيَّات غيره، وهو أكثرهما ذَمًّا، ودليلنا على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾[41]"[42].

وقال ابن فارس: "الباء والخاء واللام كلمة واحدة، وهي البُخْل والبَخَلُ ورَجُلٌ بَخيلٌ وباخلٌ فإذا كان ذلك شأنه فهو بخَّال"[43].

وجاء في اللسان: "البَخْلُ والبَخْلُ لغتان وقُرِئَ بهما والبَخْلُ والبُخُولُ: ضدّ الكرم"[44].

البخل هو أن يبخل الإنسان بما في يده ويمسكه ويمنعه عمن يستحقونه. وهكذا ذهب اللغويون إلى أن الشحّ هو البخل الشديد مع الحرص.

وقال الراغب: "الشُّحُّ بُخْلٌ مع حرصٍ وذلك فيما كان عادة قال تعالى: ﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾[45] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾[46]. يُقال رجلٌ شَحِيحٌ وقومٌ أَشِحَّة ...وخطيب شَحْشَحُ ماضٍ في خطبته من قولهم: شَحْشَحَ البعيرُ في هديرِهِ"[47].

ويفسِّرُ الزمخشري الآية السابقة بقوله: "قد أُضيف الشح إلى النفس لأنه غريزة فيها، وأما البُخل فهو المنع نفسه"[48]

وقال ابن فارس: "الشين والحاء الأصل فيه المنع، ثم يكون منعًا مع حرص. من ذلك الشُّحُّ وهو البُخل مع حرص، ويقال: تَشَاحَّ الرَّجلانِ على الأمر، إذا أراد كل واحدٍ منهما الفوزَ به ومنْعَه من صاحبه"[49].

وفي البصائر يفسّر الفيروز آبادي الشّحّ بمعنى البخل "شحّ به: بخِل مع حِرص...والشح ضدّ الإيثار، فإنّ المؤثِر على نفسه تارك لما هو محتاج إليه، والشحيح حريص على ما ليس بيده، فإذا حصل بيده شَحَّ وبخل بإخراجه"[50]

وبذلك قد جُعل الشحّ عادة لا تنفصل عن الإنسان البخيل ولا ينفصل هو عنهما.

هناك فرق دقيق بين البخل والشّحّ ف "الشُّحُّ أشدُّ البُخل، وهو أبلغ في المنع من البُخل، وقيل البخل في أفرادِ الأمورِ وآحادها، والشُّحُّ عامٌّ، وقيل البخل بالمال والشّحّ بالمال والمعروف"[51] أي أنَّ البخل منع المال خاصة والشح منع الخير عامة"[52].

بين هذين اللّفظين شبه ترادف، المعنى المشترك بينهما هو المنع والإمساك والحرص بالمال على الرّغم من وجود الفرق بينهما، وهذا ما جعل كثير من اللغويين يستخدمونها على أنّها مترادفة أو متطابقة في المعنى، ولكن الاستعمال القرآني يدلّ على وجود صفات فارقة بينها رغم اشتراكهما في أصل المعنى.

- خوف وخشي:

و"الخَوْفُ تَوَقُّعُ مكْروهٍ عن أمارَةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ.. ويُضادُ الخوف: الأمن، ويُستعملُ ذلك في الأمورِ الدّنيويةِ والأُخروية. قال تعال: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾[53]، وقال: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾[54]"[55].

أما "الخَشْيَةُ خَوْفٌ يَشُوبُه تَعْظِيمٌ وأكثرُ ما يكونُ ذلك عنْ عِلمٍ مما يُخْشى منه، ولذلك خُصَّ العلماءُ بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[56]"[57].

"الخَشْيَةُ منَ الله معناها الكَرَاهَةُ، ومن الآدميين الخوف"[58]

"والخشوع والخشية، كلاهما، من أفعال القلوب التي لا تصدر عن جماد.. وتفترق الخشية عن الخوف، بأنها تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، كما يفترق الخشوع عن الخضوع، بأننا لا نخشع إلا عن الفعال الصادق بجلال من نخشع له. أما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلّط بالقهر والإرهاب، كما أن الخضوع قد يكون تكلفا عن نفاق وخوف، أو تقية ومداراة. والعرب تقول: خشع قلبه، ولا تقول: خضع، إلا تجاوزا"[59].

الخشية تكون عن يقين صادق بعظمة من نخشاه، أما الخوف فيجوز أن يحدث عن تسلّط بالقهر والإرهاب.

و"الوجل، والخوف، والخشية، والرهبة، ألفاظ متقاربة غير مترادفة. قال أبو القاسم الجنيد: الخوف توقع العقوبة على مجاري الأنفاس.. و"الخَشية" أخصّ من الخوف. فإنّ الخشية للعلماء بالله. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[60] فهي خوف مقرون بمعرفة.. فالخوف حركة. والخشية انجماع، وانقباض وسكون... فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين، والإجلال للمقربين"[61].

الخشية خاصة بالعلماء العارفين، والخوف لعامة المؤمنين.

خون ونفق: "الخِيانةُ والنِّفاقُ واحدٌ إلا أنّ الخيانةَ تُقال اعتبارا بالعهدِ والأمانةِ، والنّفاقُ يُقالُ اعتبارا بالدين، ثم يتداخلان، فالخيانةُ مُخالفَةُ الحقِّ بنقضِ العهد في السِّرِّ. ونقيضُ الخيانةِ: الأَمانةُ، يُقالُ خُنتُ فلانا وخنتُ أمانةَ فلانٍ وعلى ذلك ﴿لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ﴾[62]...وقوله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾[63] والاخْتِيَانُ مراوَدَةُ الخيانة ولم يقلْ تخونُون

أَنْفُسَكَم لأنه لم تكن منهم الخيانةُ بل كان منهم الاختيان، فإنَّ الاختيانَ تَحَرُّكُ شَـــهوَةِ الانسان لتحرِّي الخيانةِ وذلك هو المشار إليه بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[64]"[65].

وقال ابن فارس: "الخاء والواو والنون أصلٌ واحدٌ، وهو التنقص. يقـــال خانَـــه يخُونه خَوْنًا. وذلك نُقصانُ الوَفاء. ويقال تخوَّنَني فلانٌ حَقِّي، أي تَنقَّصَـــني...ويقالُ الخوَّانُ: الأسَد. والقياسُ واحد"[66].

و"نَفَقَ الشيءُ مضى ونَفِذَ...والنَّفَقُ الطَّريقُ النَّافِذُ والسَّرَبُ في الأَرْض النَّافِـــذُ فيـــه: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[67]، ومنه نافِقاءُ اليَرْبُوعِ...ومنه النفـــاق وهو الدُّخولُ في الشّرع من باب والخروجُ عنه من باب وعلى ذلك نبّه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[68]، أي الخارجون من الشرع"[69].

و"النون والفاء والقاف أصلانِ صحيحان، يدلُّ أحـــدُهما علـــى انقطـــاعِ شـــيءٍ وذهابه، والآخر على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه. ومتىَ حُصِّل الكلامُ فيهما تقاربا"[70].

متى حُصّلَ الكلام في اللفظين تقاربا، وهما واحد، إلا أنّ الراغب فرَّق بينهما، فالخيانة تُقال اعتبارا بالعهد الأمانة والنفاق يُقال اعتبارا بالدين وبهذا تكون الخيانة عامة، والنّفـــاق خاص بمن دخل الشرع من باب وخرج عنه من باب، وهذا نقيض الإيمان.

ويرى الفخر الرازي في الآيـــة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[71] مسائل: "المسألة الأولى.. قال ابـــن زيـــد: نهاهم الله أن يخونوا كما صنع المنافقون، يظهرون الإيمـــان ويســـرون الكفـــر.. المسألة الثانية: قال صاحب الكشاف: معنى الخون النقص. كما أنَّ معنـــى الوفـــاء التمام. ومنه تخونه إذا انتقصه، ثم استعمل في ضدّ الأمانة والوفاء. لأنّك إذا خنـــت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه"[72].

نقيض الخيانة الأمانة ومخالفة الحقّ، يقال خنت فلانــا وخنــت أمانــة فــلان، ونقيض النّفاق الإيمان.

كما استحدثَ القرآن الكريم الكثير من دلالة الألفاظ الإسلامية، لم يكن للعربيــة عهدٌ بها قبل الإسلام، ومن ذلك لفظ الوحي، الذي يغلب اســتعمالُه فــي الإلهــام، ملحوظًا فيه أصلُ دلالته على السرعة والخفاء، ويأخذ في القرآن دلالة إسلامية مما يوحي به الله – تعالى – إلى رُسله الأنبياء، فإذا تعلق بغير الأنبياء، فهو من الإلهام كمــا فــي ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِ﴾[73]، ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا﴾[74]

أدى ظهور الإسلام إلى ظهور دلالات جديدة وترك أخرى، ونقل مفاهيم جديدة غير معروفة في عصر ما قبل الإسلام، مثل الصلاة، والصيام، والتيمم والزكــاة، والشرع، والمؤمن...إلخ من الألفاظ الإسلامية التي جاء بها الإسلام فــي القــرآن الكريم أو على لسان الرسول ﷺ من الألفاظ الإسلامية. ولعب الفقهاء دورا مهمــا في تفريقهم بين الاسم الشرعي والاسم العرفي[75]

"والكلمات في المعجم إذن ذات أبعاد دلالية متعددة تجعلها صالحة للدخول فــي أكثر من سياق، ومن ثبوت ذلك لها يأتي بالضرورة تعدد معناها"[76].

ومن هنا فإن الألفاظ القرآنية التي يُبهم معناها على القارئ، والمفسر، وتحتــاج إلى توضيح معانيها هي ما سمي بالألفاظ الغريبة والمراد بغرابتها هــو أن تكــون مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس[77].

ألفاظ القرآن الكريم هي كلماته التي انتظمت في آياته وسوره كأحسن ما يكون الــنظم، وأحسن ما يكون الترابط، وحمل هذا النظم أسرارا كثيرة لا يعلمها إلا الله تعــالى. "كــان

القرآن الكريم دقيقا في اختيار ألفاظه، وانتقاء كلماته، وقد يختار الكلمة ويهمل مرادفهـــا... وقد يفضل كلمة على أخرى، والكلمتان –ظاهرا– بمعنى واحد"[78].

وبهذا المقياس الدقيق، والميزان المضبوط كانت ألفاظ القرآن الكريم طبقا لمعانيه.

خاتمة: دلالات الألفاظ من أهم المباحث التي تحتاج إلى اعتناء أهل العلم.

1. لا يمكن ضبط فوضى الاستدلالات والجرأة على النصوص إلا بضبط دلالة الألفاظ.
2. من فوائد دلالة الألفاظ اللغوية توسيع المدارك وبسط فهم النصوص؛
3. وردت في القرآن الكريم ألفاظٌ تتَطلّب السياقُ، فتوجيه معناها بخلاف الظاهر السابق إلى الفهم؛
4. التأويل وسيلة من وسائل الكشف عن مراد المتكلم، ومعرفة ما تعنيه ألفاظه، وذلك لا يتحقق إلا بمراعاة أصول اللغة، فلا يكون إلا بـــدليل أو قرينـــة توجـــب صرف المعنى الظاهر الأصلي إلى غيره؛
5. يجب أن يكون موضعُ اللفظ قابلاً للمعنى المؤول إليه من الناحية اللغويـــة، بوجه من وجوه الدلالة، حقيقيةً، أو مجازية، أو كناية.

الاحالات:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مؤسسة التاريخ العربي وإحياء التراث العربي، بيـــروت، لبنـــان، ط.2، 1993، مادة:(دل):393/4.

[2] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القـــاموس، تـــح: مصـــطفى حجـــازي، وزارة الإعـــلام، الكويت،1925م، 324/7–325

[3] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهوريني، دار الكتب العلمية، بيـــروت، لبنان، ط.2، 2007، ص:1013

[4] سورة سبأ، الآية:14

(5) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تح: يوسف الشيخ محمد البقــاعي، لبنــان، بيروت، دار الفكر، ط.1، (1426 – 1427 هــ) 2006م، مادة (دل)، ص: 130.

(6) الجاحظ، البيان والتبين –وضع حواشيه: موفق شهاب الدين –دار الكتب العلمية –بيــروت – لبنان – ط:2– 2003– ص: 61

(7) الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، ط:3، 1968 مً، ص: 6–8

(8) ينظر: ابن حزم الأندلسي الإحكام في أصول الأحكام، تح: محمد حامد عثمان، دار الحــديث، القاهرة، 2005، 1/53–54.

(9) الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 2004م، ص:91

(10) فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، ط.1، 2005، ص:26

(11) ينظر :عبد القادر عبد الرحم ن السعدي :أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام مــن آيات القرآن التشريعية،

دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط.1،2000 ، ص:12

(12) سورة البقرة، الآية:230

(13) سورة الأنعام، الآية:121

(14) سورة النساء، الآية:21

(15) ينظر: ابراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط.5، 1984م، ص:62

(16) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط.5، 1998م، ص:11

(17) فايز الداية، علم الدلالة العربي، دار الفكر، دمشق، ط.2، 1996م، ص:6

(18) أحمد مومن: اللسانيات -النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائــر، 2008م، ط.4، ص:240–241

(19) المرجع نفسه، ص: 241

(20) فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية، مكتبة، ص:15

(21) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 500/4

(22) الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، تح: عبد المجيد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003م،3/ 24.

[23]ابن منظور، لسان العرب ص:3374

[24] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط.4، 1425ه/2004م، ص:680.

[25] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص:08.

[26] الراغب الأصفهاني، مقدمة تفسير القرآن الكريم، تح: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط.1، 1420هـ،1999م، ج:1، ص:2

[27] السيوطي، المزهر، تح: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان ط.1 (1431 هـ/ 1432ه) 2010م ص:284.

[28] ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تح: أحمد مطلوب، دار المعاني، بغداد، 1967م، ص:142

[29] فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، لجنة الشؤون الإسلامية، القاهرة، 1975م، ص:96

[30] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص:22.

[31] سورة آل عمران، الآية:30

[32] سورة الحديد، الآية:16

[33]سورة الأعراف، الآية:160.

[34]سورة البقرة، الآية:60.

[35]سورة القمر، الآية:12.

[36]ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة (بجس)، ص:33.

[37]سورة الكهف، الآية:33

[38]معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مادة(فجر)، ص:281

[39] ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة(فجر)، مج:5، ص:3351.

[40]سورة الأعراف، الآية: 160

[41] سورة النساء، الآية:37

[42] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(بخل)، ص:34

[43] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة(بخل)، ج:1، ص:207

[44] ابن منظور، لسان العرب، مادة(بخل)، مج:1، ص:222

(45) سورة النساء، الآية:128

(46) سورة الحشر، الآية:9

(47) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(شح)، ص:192

(48) الزمخشري (أبي القاسم محمود بن عمر ت538ه)، الكشاف، تح: عادل أحمد عبـــد الوجـــود وعلي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، د.ط، د.ت، ج:4، ص:370

(49) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (شح)، ج:3، ص:178

(50) الفيروز آبادي (مجد الدين بن يعقوب)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تـــح: محمد علي النجار، القاهرة، مصر،1416ه/1996م، ص:300

(51) ابن منظور، لسان العرب، مادة(شحح)، مج:4، ص:2205

(52) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج:4، ص:79

(53) سورة الإسراء، الآية:57

(54) سورة الأنعام، الآية:81

(55) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خوف)، ص:122

(56) سورة فاطر، الآية:28

(57) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص:114

(58) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خشي)، ص:1169

(59) بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن)، الإعجاز البيـــاني للقـــرآن ومســـائل ابـــن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، مصر، د. ط، 1391هـــ، 1971م، ص:209

(60) سورة فاطر، الآية:28.

(61) ابن قيم الجوزية (أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ت 691،751هـــ)، مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنـــان، ط.7، 1423هـــــ،2003م، ج:1، ص:508،507

(62) سورة الأنفال، الآية:27

(63) سورة البقرة، الآية:187

(64) سورة يوسف، الآية: 53

[65] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(خون)، ص:123

[66] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة(خون)، ص:231

[67] سورة الأنعام، الآية: 35

[68] سورة التوبة، الآية: 67

[69] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مادة(نفق)، ص:380

[70] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة(نفق)، ص:454

[71] سورة الأنفال، الآية:27

[72] الرازي (الإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر (544-604هـ)، التفسير الكبير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط.1، 1401هـ،1981م، ج:15، ص:156-157

[73] سورة القصص، الآية:7

[74] سورة النحل، الآية:68

[75] جاسم محمد عبد العبود، مصطلحات الدلالة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.1، 1428م-2007م، ص:183-184

[76] حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د.ط، 1995م، ص:155.

[77] علاء عبد الأمير شهيد، الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن، الأردن، عمان، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط.1، 1433هـ/2012م، ص: 39

[78] عبد الفتاح لاشين، من أسرار التعبير القرآني (صفاء الكلمة)، الرياض، د.ط، 1403هـ/1983م، ص: 3

ألفاظ الزّمان المحدّد في القرآن الكريم

أ. د. مباركة خمقاني،
د. نور الدين منّاع،
جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

الملخص: نتناول في هذه الورقة البحثية: "ألفاظ الزمان المحـــدد فـــي القـــرآن الكريم" والذي يضم ثلاثة أجزاء وهي مجال الشهر، مجال فصول الســـنة (الشـــتاء والصيف)، ومجال ألفاظ السنة والعام والحول.

فكل هذه الألفاظ استعملتها الجماعة العربية للتعبير عن أجزاء الزمان، فحاولنـــا استعراض هذه الألفاظ في المعجم العربي ثم في الشعر الجاهلي لقربها زمانيا مـــن القرآن الكريم لنصل إلى تنوع دلالات هذا اللفظ وتحديدها بحسب السياق القرآنـــي بحيث نحدد عدد ورود هذا اللفظ في القرآن الكريم، ثم تحديد دلالات هـــذا اللفـــظ بحسب السياق القرآني معتمدين على التفسير القرآني والنسب المئوية وتحليلها.

Résumé

Nous traitons, danscet article, " les mots du temps spécifié" dans le saint Coran, qui comprendtrois parties, qui sont, le champ du mois, le champ des saisons de l'année (hiver et été) et le champ des mots de l'année.Tousces mots ontétéutilisés par le groupearabe pour exprimer les différentes parties du temps. Nous avonsdoncessayé de les mettre en évidencedans le dictionnairearabe.

Ensuite, dans la poésieignorante en raison de la proximitétemporelle du Coran, pour parvenir à la diversitésémantique de ce mot, en la déterminant en fonction du contexteCoranique en vue de déterminer le nombred'occurrences de ce mot dans le Coran.Ensuite, nous déterminons la signification de ce mot en fonction du contexte du Coran, en s'appuyantsurl’interprétationCoranique, sur les pourcentages et surl’analyse.

إن العرب لهم السبق في بناء المعاجم على أساس المعاني، بداية مع الرسائل اللغوية التي صنفت فيها المفردات تصنيفا موضوعيا على معنى واحد من المعاني، وتعد هذه الرسائل النواة الأولى لفكرة المجالات الدلالية، وإن لم تكن بالاسم نفسه، فكانت جهود اللغويين المرشدة إلى مواضيع القرآن الكريم وغريبه وإعرابه قائمة على هذه الفكرة. كالمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي، لذلك اخترنا ألفاظ الزمان المحدد في القرآن الكريم والذي يضم ثلاثة أجزاء وهي مجال الشهر، مجال فصول السنة (الشتاء والصيف)، ومجال ألفاظ السنة والعام والحول.

قبل الحديث عن هذه الألفاظ نتطرّق لمفهوم لفظ (زمان).

ينصّ المعجم على أنّ الزّمان والزّمن اسم لقليل الوقت وكثيره. وفي المحكم الزّمن والزّمان العصر، والجمع أَزْمُنٌ وأَزْمَانٌ وأَزْمِنَةٌ[1].

من خلال تتبّعنا للفظ (زمان) في القرآن الكريم وجدنا أنّه لم يرد بأيّة صيغة له، وإنّما ورد ما يقاربه في الدّلالة كلفظ (الوقت) لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٣٨﴾ (الحجر38).

ووردت اللّفظة في الشّعر الجاهلي ومن ذلك قول الأعشى[2]:

وَكُنْتُ امْرَأً، زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

وإذا كان المعجم العربيّ لم يفرّق بين لفظي الزّمان والزّمن، وأنّ القدماء قد استعملوا لفظ الزّمان بصورة متواترة، فإنّنا نجد بعض المحدثين ممّن يفرّق بين دلالة اللّفظين، منهم: (تمّام حسّان) الذي يرى أنّ الزّمان كمّية رياضيّة من كمّيات التّوقيت تُقاس بأطوال معيّنة كالثّواني والدّقائق والسّاعات واللّيل والنّهار والأيام والشهور[3] وهو ما يعرف بالزّمن الفلسفي. أمّا الزّمن فهو الوقت النّحويّ الذي يعبّر عنه الماضي، والمضارع تعبيرًا لا يستند إلى دلالات زمانيّة فلسفيّة[4] ويعتبر

الزّمن النّحوي جُزءًا من معنى الفعل، بناءً على هذه التّفرقة فإنّ الزّمان يُقابله في الإنجليزية (Time) أمّا الزّمن فيقابله (Tense). وفرّق بينهما كهذه التّفرقة "كمال بشر" ويبدو أنّهما متأثران باللّغة الإنجليزية التي تُفرّق بينهما لغة[5]. غير أنّنا نجد بعض الإشارات للتّفريق بين هذين اللّفظين عند علماء اللّغة القدامى أمثال الرازي، والبيضاوي، والبلخي.

إنّنا نجد المعجم العربي للجماعة العربيّة يمدّنا بألفاظ مختلفة للتّعبير عن أجزاء الزّمان، وسنحاول في هذه الورقة البحثيّة استعراض ألفاظ الزّمان المحدّد والتي عبّرت بها الجماعة العربيّة.

- حقل الشّهر؛
- حقل فصول السّنة (الشّتاء والصّيف)؛
- حقل ألفاظ السّنة والعام والحول.

أ- حقل الشّهر:

الشّهر: هو واحد الشّهور، وقد أشهرنا أي أتى علينا الشّهر، وهو: مدّة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتباره جزءًا من اثني عشر جزءًا من دوران الشّمس من نقطة إلى تلك النّقطة[6].

قال ابن الأعرابي: «سُمِّي القمر شهرًا لأنّه يشهر به». والجمع أشهرٌ وشهورٌ[7].

وقد ورد لفظ الشّهر في القرآن الكريم إحدى وعشرين مرّة؛ بصيغة المفرد اثنتي عشرة مرّة، وبصيغة الجمع مرتين، وبصيغة الجمع سبع مرّات.

وقد أدّى اللّفظ ستّ دلالات هي كالآتي:

1- **دلالة العدد:** في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ (التّوبة36).

إنّ عدّة شهور سنة المسلمين التي يعتدّون بها اثنا عشر شهرًا على منازل القمر وسيره فيها[8]، وهي: محرّم، صفر، ربيع الأوّل، ربيع الثّاني، جمادى الأولى، جمادى الثّانية، رجب، شعبان، رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجّة. يعتدّ بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجّهم وأعيادهم وسائر أمورهم وأحكامهم.

والعدّة: العدد بمعنى عدد الشّهور[9].

وهذا ما جاء في مواضع عديدة من القرآن الكريم[10].

وتعدّد ذكر العدد في أشعار الجاهليين ومثال ذلك قول امرئ القيس[11]:

وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ أَحْدَثَ عَهْدِهِ ثَلَاثِينَ شَهْرًا فِي ثَلَاثَةِ أَحْوَالِ

2- **دلالة الهلال:** في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة 186).

بمعنى من علم هلال الشّهر وتيقّن به فليصم[12].

وهذا المعنى قول الشّاعر:

أَخَوَانِ مِنْ نَجْدٍ عَلَى ثِقَةٍ وَالشَّهْرُ مِثْلَ قُلَامَةِ الظُّفْرِ

حَتَّى تَكَامَلَ فِي اسْتِدَارَتِهِ فِي أَرْبَهِ زَادتْ عَلَى عَشْرِ

3- **دلالة تحريم القتال:** في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (البقرة217).

بعث النّبي ﷺ رهطًا، وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أنّ ذلك من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشّهر الحرام[13]! فأنزل الله هذه الآية والمقصود بالشّهر الحرام: أربعة أشهر وهي: رجب وذو القعدة وذو الحِجَّة ومحرّم. وهي الأشهر التي حرّم الله فيها على

المؤمنين دماء المشركين والتّعرّض لهم، كما ورد هذا اللّفظ في الشّـعر الجـاهلي، وقد استعمل كناية عن السّلم والأمن كما في قول النّابغة الذّبياني[14]:

فَإِنْ يَهْلِكْ أَبُو قَابُوسٍ يَهْلِكْ رَبِيعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ*

4- **دلالة الوقت:** في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾(البقرة197).

من المعروف وقت الحجّ هو الأشهر المعروفة بين النّاس وهـي: شـوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجّة، وفي هذه الآية يقول الزّجاج: «معناه وقت الحجّ أشهر معلومات»[15].

5- **دلالة الأيام:** في قوله تعـالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(البقرة185).

قال الصّابوني: «الأيام التي فرضـتها علـيكم أيّهـا المؤمنـون هـي شـهر رمضان»[16] أي ذلكم شهر، أو المفترض عليكم صيامه شهر رمضان، أو الصّـوم أو الأيام[17].

قال أهل التّاريخ: «أوّل من صام رمضان هو نوح عليه السّلام لمَّا خـرج مـن المدينة»[18]. كما كتب رمضان على كلّ أمّة.

6- **دلالة المقدار:** فـي قولـه تعـالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ (سبأ12).

بمعنى الرّياح مسخَّرة لسليمان، جريها بالغداة مسيرة شهر، وجريهـا بالعشـي كذلك[19]. وقال ابن الحاجب: «الفائدة في إعادة لفظ (شهر) الإعلام بمقـدار زمـن الغدو وزمن الرّواح، والألفـاظ التـي تـأتي مبنيـة للمقـادير لا يحسـن فيهـا الإضمار»[20]. وفي هذا يقول النّابغة الذّبياني في وصف الصّيد[21]:

أَقَامَ بِرِجْلَةِ الْبِقَارِ شَهْرًا وِشَامَ الْغَيْثِ مِنْ كُثُبٍ فَرَاحَا

وفيما يلي جدول يبيّن اللّفظ وعدد وروده ودلالته ومواضعه في القرآن الكريم:

اللّفظ	**عدد المرّات**	**الدّلالة**	**السُّورة ورقم الآية**
الشّهر	(21)	– العدد – الهلال – تحريم القتال المؤقت – الوقت – الأيام – المقدار	– البقرة (262)، التّوبة (2، 3، 6) الأحقاف (15)، الطّلاق (4)، النّساء (92)، المجادلة (4)، القدر (3). – البقرة (185). – البقرة (194)، المائدة (2، 97)، التّوبة (2). – البقرة (197). – البقرة (185). سبأ (12).

جدول يبيّن دلالات لفظ "الشهر" في القرآن الكريم

ب– حقل فصول السّنة: ولم يذكر في القرآن الكريم سوى الشّتاء والصّيف.

قال ابن السّكيت: «السّنة عند العرب اسم لاثني عشر شهرًا، ثم قسّموا السّنة فجعلوها نصفين ستة أشهر وستة أشهر. فبدؤوا بأوّل السّنة أوّل الشّتاء لأنّه ذَكَر، والصّيف أُنثى»[22].

الشّتاء: معروف أحد أرباع السّنة، وهي الشّتوة وقيل الشّتاء جمع شَتْوَةٍ[23].

أمّا الصّيف: واحد فصول السّنة، وهو بعد ربيع الأوّل، وقيل القيظ وجمعه أصياف وصيوف.

وورد اللّفظان معًا في القرآن الكريم وفي آية واحدة جمعتهما وأدّيا دلالة الوقت في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾ (قريش1،2).

كانت لقريش رحلتان في كلّ عام للتّجارة؛ رحلة الشّتاء إلى اليمن لأنّها أدفأ ورحلة في الصيف إلى الشّام. وكان الحرم واديًّا مجدبًا لا زرع فيه ولا ضرع، وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم[24] وكانوا ينعمون بالأمن في رحلتهم لأنّهم أهل حرم الله وولاة بيته بينما يتعرّض غيرهم للغارات والخطف، كما أنّ حدود الفصلين لم تكن واضحة تمامًا في تقدير النّاس وقد وضّح القرطبي هذه المسألة كما يلي:

1- قال مالك: «الشّتاء نصف السّنة والصّيف نصفها، ولم أزل أرى ربيعة بن أبي عبد الرّحمـٰن ومن تبعه لا يخلعون عمائمهم حتّى تطلع الثّريّا**»[25].

2- وذهب قوم إلى أنّ الزّمان أربعة أقسام: شتاء وربيع وصيف وخريف. وقال قوم هو شتاء وصيف وقيظ وخريف[26].

وقد رجّح القرطبي قول مالك قائلًا: «والذي قاله مالك أصحّ لأنّ الله قسّم الزّمان إلى قسمين ولم يجعل لهما ثالثًا»[27].

وذهب ابن عاشور إلى أنّ: فصل الشّتاء تسعة وثمانون يومًا وبضع دقائق.

أمّا الصّيف فهو زمن الحرّ ومدّته ثلاثة وتسعون يومًا وبضع ساعات[28]، هذا على اعتبار أنّ السّنة أربعة فصول.

وفي الشّعر الجاهلي ارتبط ذكر الشّتاء بالبرد، وفي هذا يقول النّابغة الذّبياني[29]:

لَا يُبْرِمُونَ، إذا مَا الْأُفُقَ جَلَّلَهُ   بَرْدُ الشِّتَاءِ مِنَ الإمْحَالِ، كالْأَدَمِ***

أمّا ذكر الصّيف فقد ارتبط بشدّة الحرّ وفي هذا يقول لبيد بن أبي ربيعة:

ورمى دَوابِرَهَا السَفا وتَهِيّجَتْ   رِيحُ الْمَصَارِيفِ سَوْمُهَا وَسِهَامُهَا

بمعنى أصاب شوك البهمي مآخير حوافرها، فهو يشير إلى انقضاء الرّبيع ومجيء الصّيف واحتياجها لورود الماء[30].

وفيما يلي جدول يبيّن اللّفظ وعدد وروده ودلالته ومواضعه في القرآن الكريم:

اللّفظ	عدد المرّات	الدّلالة	السُّورة ورقم الآية
الشّتاء والصّيف	1	الوقت	قريش (1، 2)

جدول يبيّن دلالات لفظ "الشّتاء والصّيف" في القرآن الكريم.

ج- حقل ألفاظ السّنة والعام والحول:

●**السّنة:** العام ويجوز أن يكون الذّاهب منها واو أو هاء بدليل قولهم سانهتوسانيت[31].

●**والعام:** السّنة والجمع أعوام[32] وهو الحول يأتي على شتوة وصيفة[33].

●**والحول:** السّنة اعتبارًا بانقلابها ودوران الشّمس في مطالعها ومغاربها[34].

قبل أن نفصل الدّارسة في كلّ لفظة على حدّة ينبغي أن نشير إلى الفروق الدّقيقة بين هذه الألفاظ الثّلاث التي يعتقد أنّها مترادفات.

- العام جمع أيام والسّنة جمع شهور[35].

- كثيرًا ما تستعمل السّنة في الحول الذي يكون فيه الجدب والشّدّة، لهذا يعبّر عن الجدب بالسّنة، والعام فيه الرّخاء والخصب[36].

- يجوز أن يقال العام يفيد كونه وقتًا لشيء، والسّنة لا تفيد ذلك. ولهذا يقال عام الفيل ولا يقال سنة الفيل[37].

- السّنة أطول من العام لأنّ السّنة ترتبط بدورة الشّمس ومدّتها ثَلاثمائة وخمسة وستّون يومًا وثمانِ ساعاتٍ (365 يومًا و5 ساعات) أمّا العامّ فيرتبط بدورة القمر ومدّتها ثلاثمائة وأربعةُ وخمسين يومًا وثمانِ ساعاتٍ (354 يومًا و8 ساعات).

ج-1- السّنة: وقد ورد لفظ "السّنة" في القرآن الكريم عشرين مرّة، سبع مرّات بصيغة (سنة) واثنتي عشرة مرّة بصيغة (السنين) ومرّة بصيغة (سنين) ومرّة بصيغة (يتسنّه) وأدى اللّفظ دلالات متنوّعة:

1- **دلالة الجدب:** في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ١٣٠﴾ (سورة الأعراف الآية 130).

ومعنى الآية: لقد أخذنا آل فرعون بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة[38] فكانت النّخلة لا تحمل إلّا ثمرة واحدة! فالسّنين تعني الجدب[39] وهذا ما نجده في قول الشّاعر[40]:

وَرِجَالَ مَكَّةَ مُسْنِتُون عِجَاف

2- **دلالة السّنين والأيام والدّهور:** في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾(يونس05).

يعني قدّر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السّنين والحساب ووقت دخولها وانقضائها. ولتعلموا حساب الشّهور والأيام والسّاعات ونقصانها وزيادتها فاللّفظة تعني إذن الأيام والدّهور[41] لأنّنا بالشّمس نعرف الأيام، وبسير القمر نعرف الشّهور والأعوام. وهذا ما نجده في موضع آخر من القرآن الكريم[42].

3- **دلالة العدد:** قال الله تعالى في شأن اليهود: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾(المائدة26).

هذا الكلام وجّهه الله سبحانه وتعالى لموسى عن اليهود الذين حرم عليهم دخول الأرض المقدّسة مدّة أربعين سنة يتيهون في الأرض، ولا يهتدون إلى الخروج منها، فكانوا يسيرون في فراسخ قليلة من مقدار الأرض التي تاهوا فيها -قيل في قدر ستة فراسخ- يومهم وليلتهم فيصبحون حين أمسوا ويمسون حين أصبحوا فكانوا كسيارة لا قرار لهم[43].

والعدد في مواضع عديدة من القرآن الكريم[44] وكلّ هذا يعني السّنة الفلكية أمّا السّنة الشّمسيّة ففي قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ (الكهف 25).

قيل هو الإشارة إلى أنّها ثلاثمائة بحساب أهل الكتاب واعتبار السّنة الشّمسيّة. وثلاثمائة وتسع بحساب العرب واعتبار السّنة قمريّة، فالتّسع مقدار التّفاوت[45] لأنّ في كلّ مائة سنة يكون التّفاوت بين الشّمسيّة ثلاث سنين، وخلال الثلاثمائة يكون التّفاوت تسع سنين لتكون السّنة الشّمسيّة ثلاثمائة سنة مقابل ثلاثمائة وتسع سنوات قمريّة.

4- **دلالة المدّة:** في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (يوسف 42).

لبث يوسف في السّجن بضع سنين، والبضع ما بين الثّلاث إلى التّسع[46] وأكثر الأقاويل على أنّه لبث فيه سبع سنين[47] وهذه مدّة قصيرة ونجدها في موضع آخر من القرآن الكريم[48]. أمّا المدّة الطّويلة فنجدها في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ (الكهف 11).

بمعنى أنامهم سنين كثيرة، فإنّ العدد يدلّ على الكثرة[49].

والمدّة الطّويلة نجدها في مواضع عدّة من القرآن الكريم[50].

5- **التّنوّع الدّلالي:** في قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ (البقرة 259).

ومعنى (لم يتسنّه) لم يتغيّر وأصله مشتق من السّنة لأنّ ممرّ السّنين يوجب التّغيّر، وهو مثل تحجر الطّين، والهاء أصلية لا هاء السّكت[51]، ويحتمل أن تكون من السّنة والتي هي الجدب فيكون المعنى: لم يتغيّر طعامك القحوط والجدوب، أو لم تغيّره السّنون والأعوام، أي هو باقٍ على طراوته وغضارته[52].

وقال النّحّاس: «أصبح ما قيل فيه من السّنة، أي لم تغيّره السّنون»[53].

وعرف شعراء الجاهليّة هذا اللّفظ ودليل ذلك عندما سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن قوله تعالى: (لم يتسنّه) قال لم تغيّره السّنون أما سمعت قول الشّاعر[54]:

طَابَ مِنْهَا الطّعمُ والذَّبْحُ مَعًا لَنْ تَرَاهُ متغيّرًا من أسنٍ

وفيما يلي جدول يبيّن اللّفظ وعدد وروده ودلالته ومواضعه في القرآن الكريم:

اللّفظ	عدد المرّات	الدّلالة	السُّورة ورقم الآية
السّنة	(20)	- الجدب. - السنين، الأيام، الشّهور. - العدد. - المدّة. - لم يتغيّر. - السّنين.	- الأعراف (130). - يونس (05)، الإسراء (12). - البقرة (259)، المائدة (26)، العنكبوت (19)، لقمان (14). - يوسف (42)، الرّوم (04)، الكهف (11)، المؤمنون 112، الشعراء (18، 205)، طه (40). - البقرة (259). - البقرة (259).

جدول يبيّن دلالات لفظ "السّنة" في القرآن الكريم

ج-2- لفظ العام:

ورد لفظ العام في القرآن الكريم تسع مرّات: أربع مرّات بصيغة (عام)، وثلاث مرّات بصيغة (عامًا) ومرّة واحدة بصيغة (عامهم) وأخرى بصيغة (عامين) وقد أدّى هذا اللّفظ خمس دلالات هي:

1- **دلالة العدد:** في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ﴾(البقرة259).

بمعنى أنّ الله أمات السّائل وهو عزيرٌ واستمرّ ميتا مائة سنة ليريه كمال قدرته.

ووجدنا هذه الدّلالة في مواضع عدّة من القرآن الكريم[55]. كما ورد ذكره أيضا في الشّعر الجاهلي ومثال ذلك قول النّابغة الذّبياني[56]:

تَوَهَّمْــتُ آيَــاتٍ لَهَــا، فَعَرَفْتُهَــا لِسِــتَّةِ أَعْــوَامٍ، وَذَا الْعَــامُ سَــابِعُ

2- **دلالة السّنة:** في قوله تعــالى: ﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ١٢٦﴾(التّوبة126).

أي يبتلون بالأمراض والشّدائد، وقيل القحط والجدب، وقيل الغــزو والجهــاد، وقيل إنّهم يفتضحون بإظهار نفاقهم وقيل إنّهم ينافقون ثمّ يؤمنون، ثمّ ينافقون، وقيل إنّهم ينقضون عهدهم في السّنة مرّة أو مرّتين[57].

دلالة الرّخاء والخصب: في قوله تعــالى: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ٤٩﴾(يوسف49).

بمعنى ثمّ يأتي بعد سنين القحط والجدب العصيبة عام رخــاء فيــه يمطــر النّــاس ويغاثون[58]. ويعصرون العنب خمرًا، والزّيتون زيتًا، والسّمسم دهنًا،... وفي هذا العام قال الزّمخشري: «العام الثّامن يجيء مباركًا خصيبًا كثير الخير، غزير النِّعم»[59].

4- **دلالة الإحلال والتّحريم:** فــي قولــه تعــالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾(التّوبة37).

والمعنى: يحلّون الشّهر الحرام عامًا فيجعلونه حلالًا ليُغِيروا فيه ويحرّمونه عامًا فيجعلونه محرّمًا فلا يُغِيرُون فيه[60] وهذا حتّى يوافقوا العدّة والتي هي أربعة أشهر حرم ولا يخالفونها، فيكون ذلك موافقة في العدد لا في الحكم[61].

5- **دلالة الحـــجّ**: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾(التّوبة28).

بمعنى لا يدخلون الحرم كلّه بعد حجّ عامهم هذا، وهو عام تسع من الهجرة حين أُمِّـــر أبو بكر الصّدّيق على الموسم[62]، وفيه نادى علي ببراءة أن لا يحجّ بعد العام مشرك[63].

وفيما يلي جدول يبيّن اللّفظ وعدد وروده ودلالته ومواضعه في القرآن الكريم:

اللّفظ	عـــدد المرّات	الدّلالة	السُّورة ورقم الآية
العام	(09)	- العدد - السّنة - الرّخاء والخصب - الإحلال والتّحريم - الحجّ	-البقرة(259)، العنكبوت(14)، لقمان(14). - التّوبة (126). - يوسف (49). - التّوبة (37). - التّوبة (28).

جدول يبيّن دلالات لفظ "العام" في القرآن الكريم

ج-3- لفظ الحول: ورد ذكر لفظ الحول في القرآن الكريم مرّتين: مرّة بصيغة المفرد، وأخرى بصيغة المثنى وأدّى اللّفظ دلالتين هما:

1- **دلالة المتاع:** في قوله تعـــالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾(البقرة240).

وذلك أنّ: المتوفّى عنها زوجها كانت تجلس في بيت المتوفى عنها حولًا. وينفق عليها من ماله ما لم تخرج من المنزل. إن خرجت لم يكن على الورثة جناح قطع النّفقة عنها[64]. وذلك على الصّحيح في أوّل الإسلام ثمّ نسخت المدّة بقوله تعالى: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وهو إن كان متقدّما في التّلاوة فهو متأخر في النّزول[65].

2- **دلالة مدّة الرضاع:** في قوله تعالى: ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾(البقرة233).

هذه الآية في شأن المطلّقات اللّائي لهنّ أولاد من أزواجهم، فهنَّ أحق برضاع أولادهنّ من الأجنبيات لأنّهنّ أحنّ وأرق. وانتزاع الولد الصغير إضرار به وبها[66].

والحولين تحديد لقطع التّنازع بين الزّوجين في مدّة الرضاع، فلا يجب على الزّوج إعطاء الأجر لأكثر من حولين[67]. وقد ورد ذكر "الحول" في الشّعر الجاهلي ومن ذلك قول النّابغة الذّبياني[68]:

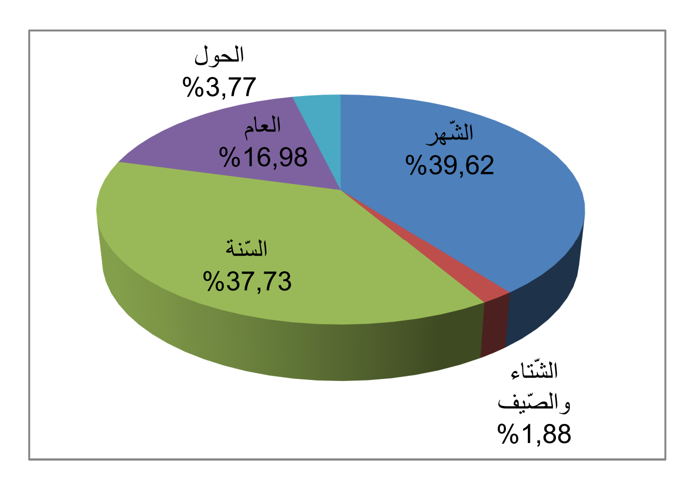
وَقَدْ عُرِّيَتْ نِصْفَ حَولٍ أَشْهرًا حددًا * يَسْفِى عَلَى رحلها بالحيرة المورُ**

وفيما يلي جدول يبيّن اللّفظ وعدد وروده ودلالته ومواضعه في القرآن الكريم:

اللّفظ	عدد المرّات	الدّلالة	السُّورة ورقم الآية
الحول	(02)	- المتاع - مدّة الرّضاع	- البقرة (240). - البقرة (233).

جدول يبيّن دلالات لفظ "الحول" في القرآن الكريم


والدائرة النسبية توضح ورود ألفاظ الزمان المحدد في القرآن الكريم



رسم بياني يوضّح نسبة ورود حقل ألفاظ الزّمان المحدّد في القرآن.

وفي الأخير بعد دراسة ألفاظ الزّمان المحدّد في القرآن الكريم والذي ضمّ ثلاثة مجالات وهي: حقل الشّهر، حقل فصول السّنة، حقل ألفاظ السّنة والعام والحول يمكن أن نصل إلى:

1- **حقل الشّهر:** ورد لفظ الشّهر إحدى وعشرين مرّة وأفاد ستّ دلالات هي:(العدد، الهلاك، تحريم القتل المؤقت، الوقت، الأيام، المقدار).

والملاحظ على هذا اللّفظ ارتباطه الكبير بالعبادة: كالصّوم، والحجّ، وارتباطه بالأحكام الشّرعيّة.

2- **حقل فصول السّنة:** ورد ذكر كلّ من فصلي الشّتاء والصّيف معًا في آية واحدة من القرآن الكريم مؤدية لمعنى الوقت. إلى جانب الاختلاف في حدود الفصول.

3- **حقل ألفاظ السّنة والعام والحول:** والجامع بين هذه الألفاظ الثّلاث أنّها تعني عند الجميع شيئًا واحدًا رغم وجود بعض الفروق الدّقيقة بينها غير أنّنا نجد في القرآن الكريم أنّه لا يمكننا أن نضع لفظًا مكان آخر ولا يمكن أن يخلفه أو يؤدي معناه.

أ- **لفظ السّنة:** ورد عشرين مرّة وأدى خمس دلالات وهي: (الجدب، السّنين، العدد، المدّة، التّنوّع الدّلالي).

ب- **لفظ العام:** ورد تسع مرّات وأدّى خمس دلالات وهي:(العدد، السّنة، الرّخاء والخصب، الإحلال والتّحريم، والحجّ).

ج- **لفظ الحول:** ورد مرّتين وأفاد دلالتين وهما: (المتاع والرّضاع).

المصادر والمرجع:

- **القرآن الكريم.**

1- الأصفهاني، معجم مفردات القرآن الكريم، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 22 شوال 1392هـ- 28 نوفمبر 1972م.

2- الأعشى (ميمون بن قيس 629م)، ديوان الأعشى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، (د.ط)، 1406هـ-1986م.

3- الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين، ت 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت-لبنان، (د.ط)، (د.ت).

4- امرؤ القيس (ابن حجر الكندي 565م)، ديوان إمرؤ القيس، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

5- تمام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1407هـ-1986م.

6- تمام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناها، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، (د.ط)، (د.ت).

7- الخازن (علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي، ت 725هـ)، لباب التّأويل في معاني التنزيل، شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده مصر، ط2، 1375هـ-1995م.

8- الدّامغاني (الحسين بن محمّد)، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنّظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط3، آيار (مايو) 1980م.

9- الزّبيدي (محمّد مرتضى)، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتّوزيع بن غازي، ط1، 1306هـ.

10- الزّركشي (بدر الدين محمّد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط3، 1391هـ-1972م.

11- الزّمخشري (جاد الله محمود بن عمر، ت 528هـ)، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، (د، ط)، (د.ت).

12- الزوزني (أبو عبد الله الحسين)، شرح المعلّقات السّبع، مكتبة المعارف، بيروت، ط5، 1405هـ-1995م.

13- السّجستاني، غريب القرآن، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة الرّغاية الجزائر، (د.ط)، 1990م.

14- ابن سيده، المخصّص، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

15- السّيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، ط3، 1400هـ-1980م.

16- الصّابوني (محمّد علي)، صفوّة التّفاسير، قصر البليدة شركة الشّهاب، الجزائر، ط5، 1411هـ-1990م.

17- ابن عاشور (محمّد الطّاهر)، تفسير التّحير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنشر (تونس)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، (د.ط)، 1984م.

18- عبد الجبار توامة، زمن الفعل في اللّغة العربيّة قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، 03-1994م.

19- القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، ت 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء علوم التراث العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1405هـ-1985م.

20- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط2، 1412ه-1992م.

21- النّابغة الذّبياني (زياد بن معاوية...بن سعد بن ذبيان، ت 604م)، ديوان النّابغة الذّبياني، قدّم وبوّبه وشرحه: علي بوملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ط1، 1991م.

22- أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م.

الاحالات:

---

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، ت 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط2، 1412ه-1992م، مادة (زمن)، 13/199.

[2] الأعشى (ميمون بن قيس 629م)، ديوان الأعشى، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت–لبنـــان، (د.ط)، 1406هـــ–1986م، ص 211.

[3] تمام حسّان، اللّغة العربية معناها ومبناه، مطبعة النّجـــاح الجديـــدة، الـــدّار البيضــــاء، (د.ط)، (د.ت)، ص 242.

[4] تمام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، 1407هـــ–1986م، ص 245.

[5] عبار الجبار توامة، زمن الفعل في اللّغة العربيّة قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعيـــة، 03–1994م، ص 2.

[6] الأصفهاني، معجم مفردات القرآن الكريم، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (د.ط)، 22 شوال 1392هـــ– 28 نوفمبر 1972م، ص 277.

[7] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم، ت 711هـــ)، لسان العرب، دار صــــادر، بيروت–لبنان، ط$_2$، 1412ه–1992م، مادة (شهر)، 432/4.

[8] الخازن (علاء الدين علي بن محمّد بن إبراهيم البغدادي، ت 725هـــ)، لباب التّأويل في معاني التنزيل، شركة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولادهـــ مصر، ط$_2$، 1375هـــ–1995م، 89/3.

[9] الدّامغاني (الحسين بن محمّد)، قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنّظائر، تحقيق: عبد العزيز سيد الأهل، ط$_3$، آيار (مايو) 1980م، ص 317.

[10] ينظر: البقرة: 226، التّوبة 2، الأحقاف 15، الطّلاق 4، النّساء 92، المجادلة 4، القدر 3.

[11] امرؤ القيس (ابن حجر الكندي 565م)، ديوان إمرؤ القـــيس، دار صــــادر، بيـــروت، (د.ط)، (د.ت)، ص 139.

[12] الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين، ت 1270هـــ)، روح المعاني في تفســـير القـــرآن العظـــيم والسّبع المثاني، دار إحياء التّراث العربي، بيروت–لبنان، (د.ط)، (د.ت)، 61/2.

[13] السّيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، ط$_3$، 1400هـــ–1980م، ص 41.

[14] النّابغة الذّبياني (زياد بن معاوية...بن سعد بن ذبيان، ت 604م)، ديوان النّابغة الذّبياني، قـــدّم وبوّبه وشرحه: علي بوملحم، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت–لبنان، ط$_1$، 1991م، ص 225.

* ربيع النّاس: كناية عن الخير.

[15] ابن منظور، لسان العرب، مادة (وقت)، 432/4.

[16] الصّابوني (محمّد علي)، صفوّة التّفاسير، قصـــر البليـــدة شــركة الشّـــهاب، الجزائـــر، ط5، 1411هـ–1990م، 121/1.

[17] القرطبي (أبو عبد الله محمّد بن أحمد الأنصاري، ت 671هـ)، الجامع لأحكـــام القـــرآن، دار إحياء علوم التراث العربي، بيروت–لبنان، ط2، 1405هـ–1985م، 296/2.

[18] المصدر نفسه، 290/2.

[19] الزّمخشري (جاد الله محمود بن عمر، ت 528هـ)، الكشّاف عن حقـــائق التنزيـــل وعيـــون الأقاويل في وجوه التّأويل، دار الكتاب العربي، بيروت–لبنان، (د،ط)، (د.ت)، 572/3.

[20] الزّركشي (بدر الدين محمّد بن عبد الله)، البرهان في علوم القرآن، تحقيـــق: أبـــو الفضـــل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط3، 1391هـ–1972م، 98/4.

[21] النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، ص 201.

[22] ابن منظور، لسان العرب، مادة (شتا)، 121/14.

[23] المصدر نفسه والصفحة.

[24] الخازن، لباب التأويل، 298/7.

** طلوع الثّريا: أوّل الصّيف ودبر الشّتاء.

[25] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 207/20.

[26] المصدر نفسه، 208/20.

[27] المصدر نفسه والصّفحة.

[28] ينظر: ابن عاشور (محمّد الطّاهر)، تفسير التّحير والتّنوير، الدّار التّونسيّة للنشـــر (تـــونس)، المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)، (د.ط)، 1984م، 557/30.

[29] النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، ص 103.

*** لا يبرمون: لا يبخلون، الامحال: الجدب، الأدم: المقصود منه السّحاب الأحمر الذي يدلّ على الامحال.

[30] الزوزني (أبو عبد الله الحسين)، شرح المعلّقات السّـــبع، مكتبـــة المعـــارف، بيـــروت، ط5، 1405هـ–1995م، ص 231.

[31] ابن سيدة، المخصّص، تحقيق: لجنة إحياء التّراث العربي، دار الآفـــاق الجديـــدة، بيـــروت، (د.ط)، (د.ت)، 97/2.

[32] المرجع نفسه والصّفحة.

[33] ابن منظور، لسان العرب، مادة (عوم)، 121/14.

[34] الأصفهاني، معجم مفردات القرآن، ص 136.

[35] أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، تحقيق: حسام الـدين القدسـي، دار الكتـب العلميّـة، بيروت-لبنان، 1401هـ-1981م، ص 224.

[36] الزّبيدي (محمّد مرتضى)، تاج العروس، دار ليبيا للنشر والتّوزيع بن غازي، ط1، 1306هـ، 412/7.

[37] أبو هلال العسكري، الفروق اللّغويّة، ص 224.

[38] الخازن، لباب التّأويل، 275/2.

[39] الدّامغاني، إصلاح الوجوه والنّظائر، ص 249.

[40] ينظر: الخازن، لباب التّأويل، 275/2.

[41] الدّامغاني، إصلاح الوجوه والنّظائر، ص 249.

[42] ينظر: الرّوم، الآية 04.

[43] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 126/6.

[44] ينظر: البقرة 259، العنكبوت 14، بقمان 14.

[45] الألوسي، روح المعاني 252/15.

[46] السّجستاني، غريب القرآن، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعيّة الرّغاية الجزائر، (د.ط)، 1990م، ص 46.

[47] الزّمخشري، الكشّاف، 472/2.

[48] ينظر: الرّوم، الآية 04.

[49] الخازن، لباب التّأويل، 204/4.

[50] ينظر: المؤمنون 112، الشعراء 18، 205، طه 40.

[51] ابن عاشور، التّحير والتّنوير، 37/3.

[52] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 294/3.

[53] المصدر نفسه والصّفحة.

[54] السّيوطي، الإتقان في علوم القرآن، 132/1.

(55) ينظر: البقرة 259، العنكبوت 14، لقمان 14.

(56) النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، ص 71.

(57) الخازن، لباب التأويل، 170/3.

(58) الصّابوني، صفوّة التّفاسير، 56/2.

(59) الزّمخشري، الكشّاف، 477/2.

(60) الخازن، لباب التأويل، 92/3.

(61) المرجع نفسه والصّفحة.

(62) الزّمخشري، الكشّاف، 261/2.

(63) الخازن، لباب التأويل، 92/3.

(64) الزّمخشري، الكشّاف، 261/2.

(65) الخازن، لباب التأويل، 78/3.

(66) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 160/3.

(67) المصدر نفسه والصفحة.

(68) النّابغة الذّبياني، ديوان النّابغة الذّبياني، ص 68.

*** حول: عام، يسقيها المور: يذروها التّراب.